

مُحَاضِرَاتٌ فِي

تَارِيخِ الْحَضَارَةِ

الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ

الدُّكْتُورُ

عبدالعزیز سعید سالم بازرعہ

الطَّبعةُ الثَّانِيَّةُ

١٤٤٥ھ - ٢٠٢٣م

مُحَاضِرَاتٌ فِي

تَارِيخِ الْحَضَارَةِ

الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ



اسم الكتاب: محاضرات في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية

اسم المؤلف: عبدالعزيز سعيد سالم بازرعه

عدد الصفحات: ٢٦٧ صفحة

المقاس: ١٧ * ٢٤ سم

رقم الإيداع:

مُحَقَّقُ الطَّبِّعِ مَحْفُوظَةٌ

الطبعة الثانية

١٤٤٥هـ - ٢٠٢٣م

مَجَلَد

لتنسيق الكتب

والبحوث العلمية

+٩٦٧ ٧٧٩٢٤٥٩٤٤



مُحَاضِرَاتٌ فِي

تَارِيخِ الْحَضَارَةِ

الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ

الدُّكْتُور

عبدالعزیز سعید سالم بازرعہ





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُحَاضِرَاتٌ فِي

تَارِيخِ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ





مقدمة

مُحَاضِرَاتٌ فِي

تَارِيخِ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ



مقدمة



هذا الكتاب "محاضرات في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية" يتناول مفردات مقرر الحضارة العربية الإسلامية وهو من مقررات كلية التربية جامعة حضرموت قسم العلوم الاجتماعية.

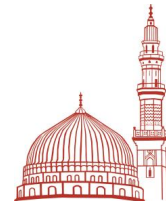
يتناول المقرر الحضارة العربية الإسلامية منذ قيام الإسلام، مركّزاً على خصائص العقيدة والشريعة ورسالة الاسلام الانسانية السّمحة ويركّز على التركيب الاجتماعي والاقتصادي والنظام السياسي والاداري والعسكري، ويهتم بالفكر والثقافة وإبراز الريادة العلمية والفكرية والثقافية للرواد والعرب والمسلمين.

الأهداف العامة للمقرر:

- ١- تعريف الطالب بعظمة الحضارة الإسلامية وتراثها الخالد.
- ٢- تعريف الطالب بالأثر الحضاري والثقافي للحضارة الإسلامية على الحضارة والثقافة العالمية عامة والثقافة الأوروبية الحديثة على وجه الخصوص.
- ٣- التعرف على عوامل قوة الحضارة الإسلامية وضعفها والتحديات الموجه لها.

مُحَاضَرَاتٌ فِي

تاريخ الحضارة العربية الإسلامية



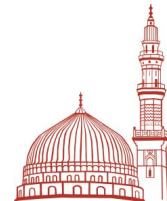
محتويات المقرر:

يحتوي المقرر على عشر وحدات رئيسية:

- الوحدة الأولى: الحضارة الإسلامية أصولها وخصائصها.
- الوحدة الثانية: النظام السياسي في الحضارة الإسلامية.
- الوحدة الثالثة: النظام الإداري في الحضارة الإسلامية.
- الوحدة الرابعة: النظام القضائي في الحضارة الإسلامية.
- الوحدة الخامسة: النظام المالي والاقتصادي في الحضارة الإسلامية.
- الوحدة السادسة: النظام العسكري في الحضارة الإسلامية.
- الوحدة السابعة: النظام الاجتماعي في الحضارة الإسلامية.
- الوحدة الثامنة: المظاهر العلمية والفكرية في الحضارة الإسلامية.
- الوحدة التاسعة: المظاهر الفنية في الحضارة الإسلامية.
- الوحدة العاشرة: تأثير الحضارة الإسلامية على الحضارة العالمية.

مُحَاضَرَاتٌ فِي

تَارِيخِ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ



تمهيد:

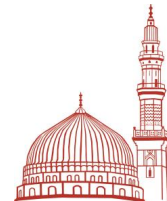
الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه
ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

الحضارة الإسلامية تمثل شجرة باسقة ضاربة جذورها في أعماق
الأرض، باسقة فروعها وأغصانها عنان السماء. تنبع من تلك الكلمة الطيبة:
﴿ كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴾ (١)، وقد آتت
هذه الحضارة أكلها في تلون علومها وأشكالها، وفي أطراف رجالها، وفي تنوع
عمرانها وثقافتها، وفي غزارة إنتاجها، وفي عمق وسعة تأثيرها. فقد جمعت
هذه الحضارة، من فجر نشأتها، كل المقومات الأساسية لحضارة مكتملة
شاملة، وأحدثت ذلك الانقلاب في الجزيرة العربية وسائر البلاد التي دخلت
حظيرتها منذ إعلان نبينا محمد **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** لها في مكة قلب الجزيرة
العربية، وآتت ثمارها بعد ثلاثة عشر عامًا من ولادتها، حين ارتكزت في
المدينة المنورة، ثم انتشرت بعد ذلك بعشر سنوات في كل الجزيرة العربية،
لتتابع بعد ذلك مسيرتها في سائر العالم القديم. ولقد استمرت مسيرة الحضارة
الإسلامية - بعد عصر النبوة - تحمل صفة العالمية في تركيبها الاجتماعي،
ونشاطاتها الحضارية حيث أسهم في بنائها العربي والفرسي والتركي،
والرومي والهندي والكردي والإفريقي وغيرهم من الأجناس، والأعراق.

(١) سورة إبراهيم: ٢٤.

محاضرات في

تاريخ الحضارة العربية الإسلامية



إن هذه الدراسة تتضمن خطوط عريضة في تاريخ الحضارة الإسلامية، فهذه الحضارة أسهمت بنصيب وافر في تقدم الإنسانية وشكلت قفزة في السلوكيات والمبادئ وأسلوب الحياة وتركت آثاراً جليلاً في شتى الميادين الحضارية والمعرفية، برز ذلك في الحكم والإدارة، والعمران، والعلوم، والثقافة، والآداب، والفنون، والاقتصاد، وغير ذلك من فنون النشاط المعرفي الإنساني.

وأخيراً أرجوا من الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** أن يكون هذا العمل لوجهه خالصاً، ولعباده نافعاً ويجعله في ميزان حسانتني ونسأله الهداية والتوفيق وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

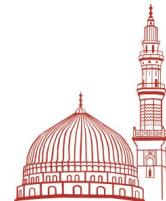
عبدالعزیز بن سعید بن سالم بازرعه

٢٨ / صفر / ١٤٤٥ هـ

١٤ / سبتمبر / ٢٠٢٣ م

مُحَاضَرَاتٌ فِي

تاريخ الحضارة العربية الإسلامية





الوحدة الأولى:
الحضارة الإسلامية
أصولها وخصائصها

مُحَاضِرَاتٌ فِي

تَارِيخِ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ



الوحدة الأولى: الحضارة الإسلامية أصولها وخصائصها



تعريف الحضارة:

أولاً: الحضارة في اللغة:

تأتي الحضارة على عدة معانٍ منها:

أ- ضد البداوة: وتعني الإقامة في الحَضْر أي المدن.

قال الجوهري^(١): والحَضْر خلاف البدو، والحاضر خلاف البادي، والحاضرة خلاف البادية، وهي المدن، والقرى والريف والبادية خلاف ذلك.

ب- كما يقال: رجل حاضر وقوم حضور وحُضر: ضد الغياب.

ومن الاستعمالات الأولى للحضارة في معنى مقابل للبداوة قول القطامي التغلبي^(٢):

فمن تُكُن الحضارةُ أعجبتَه فأيّ رجالِ باديةٍ ترانا!

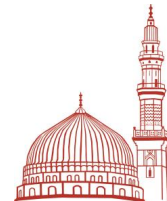
(١) الجوهري: هو إمام اللغة إسماعيل أبو نصر الجوهري، لغوي ونحوي مشهور، من أشهر كتبه اللغوية الصحاح. توفي في أواخر القرن الرابع الهجري.

(٢) القطامي: هو عمير بن شيم التغلبي، من شعراء قبيلة تغلب في العصر الأموي، توفي

سنة ١٠١هـ.

مُحَاضَرَاتٌ فِي

تاريخ الحضارة العربية الإسلامية



ثانيًا: الحضارة في الاصطلاح:

عرّفها ابن خلدون^(١) (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٦م) بقوله: «هي أحوال عادية زائدة على الضروري من أحوال العمران زيادة تتفاوت بتفاوت الرّفه وتفاوت الأمم في القلّة والكثرة تفاوتًا غير منحصر»^(٢).

وهي عبارة عن: «نظام متكامل يشمل كل ما للإنسان من أفكار وآراء وأعمال وأخلاق في حياته الفردية أو العائلية أو الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية».

وهي أيضًا: «منظومة الأفكار والمشاعر والأنظمة لدى مجتمع من المجتمعات» ويمكن تعريفها بأنّها: «تراث وإنتاج مشترك بين الأمم المختلفة».

ومن التعريفات المختارة عند المفكرين المسلمين المعاصرين هي: «التجسيد العملي لتلك الاستجابات والمواقف التي ينزع إليها الأفراد، وهي بالتالي تنزع إلى العمومية خلافًا للثقافة التي تنزع للخصوصية، فهي "الحضارة" الطور الأرقى في سلّم تقدم الإنسان»^(٣).

(١) ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد الحضرميّ الإشبيلي، المؤرخ، العالم الاجتماعي، اشتهر بكتابه العبر وديوان المبتد والخبر في تاريخ العرب والعجم ومن كتبه شرح البردة وكتاب في الحساب .

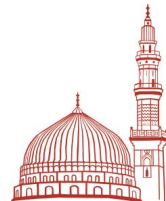
(٢) ابن خلدون. تاريخ ابن خلدون، ج١، ص ٤٦١.

(٣) محمد عمارة . التراث والمستقبل، ص ٢١٥، دار الرشاد، القاهرة، الطبعة الثانية،

١٤١٨هـ.

مُحَاضَرَاتٌ فِي

تاريخ الحضارة العربية الإسلامية



﴿ مفهوم الحضارة الإسلامية: ﴾

الحضارة الإسلامية هي ما قدمه الإسلام للمجتمع البشري من قيم ومبادئ، وقواعد ترفع من شأنه، وتمكنه من التقدم في الجانب المادي وتيسر الحياة للإنسان.

وهي نتاج لتفاعل ثقافات الشعوب التي دخلت في الإسلام، سواء إيماناً وتصديقاً واعتقاداً، أو انتماءً وولاءً وانتساباً.

وهي خلاصة لتلاقح هذه الثقافات والحضارات التي كانت قائمة في المناطق التي وصلت إليها الفتوحات الإسلامية، ولانصهارها في بوتقة المبادئ والقيم والمثل التي جاء بها الإسلام هدايةً للناس كافة .

﴿ أنواع الحضارة الإسلامية: ﴾

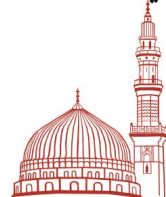
للحضارة الإسلامية ثلاثة أنواع:

١- حضارة التاريخ (حضارة الدول): وهي الحضارة التي قدمتها دولة من الدول الإسلامية لرفع شأن الإنسان وخدمته، وعند الحديث عن حضارة الدول ينبغي أن نتحدث عن تاريخ الدولة التي قدمت هذه الحضارة، وعن ميادين حضارتها، مثل: الزراعة، والصناعة، والتعليم.

٢- الحضارة الإسلامية الأصيلة: وهي الحضارة التي جاء بها الإسلام لخدمة البشرية كلها، وتشمل ما جاء به الإسلام من تعاليم في مجال: العقيدة، والسياسة، والاقتصاد، والقضاء، والتربية، وغير ذلك من أمور الحياة التي تسعد الإنسان وتيسر أموره.

مُحَاضَرَاتٌ فِي

تاريخ الحضارة العربية الإسلامية



٣- الحضارة المقتبسة: وتسمى حضارة البعث والإحياء، وهذه الحضارة كانت خدمة من المسلمين للبشرية كلها، فقد كانت هناك حضارات وعلوم ماتت، فأحيها المسلمون وطوروها، وصبغوها بالجانب الأخلاقي الذي استمدوه من الإسلام^(١).

❦ خصائص الحضارة الإسلامية ومظاهرها:

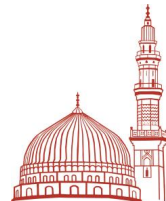
للحضارة الإسلامية خصائص تميزت بها عن الحضارات الأخرى أبرزها ما يلي:

١- حضارة إيمانية: فهي حضارة ذات منطلقات إيمانية، كان الدين الحنيف من أقوى الدوافع إلى قيامها وازدهارها وهي انبثقت من العقيدة الإسلامية، فتشربت مبادئها واصطبغت بصبغتها.

٢- حضارة عالمية: فهي عالمية الأفق والرسالة و لذلك كانت كل حضارة تستطيع أن تفاخر بالعباقرة من أبناء جنس واحد وأمة واحدة إلا الحضارة الإسلامية، فإنها تفاخر بالعباقرة الذين أقاموا صرحها من جميع الأمم والشعوب.

٣- متماسكة في مواجهة التحديات: فقد بنى المسلمون هذه الحضارة في ظل أشرس التحديات، فلقد حرّرت فتوحاتهم الأولى الشرق من الفرس

(١) الشحود. علي بن نايف، الحضارة الإسلامية بين أصالة الماضي وآمال المستقبل،



والروم، وعلى أيديهم تمت هزيمة للمغول بل استطاعوا أن يُدخلوا كثيراً منهم في الإسلام.

٤- حضارة معطاءة: فهي حضارة معطاءة؛ أخذت واقتبست من الحضارات والثقافات الإنسانية، وأعطت عطاءً زاخراً بالعلم والمعرفة، وكان عطاؤها لفائدة الإنسانية جمعاء.

٥- حضارة باقية: فهي باقية بقاء الحياة في الأرض تستمد بقاءها من الإسلام الذي قامت على مبادئه.

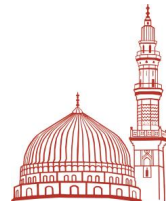
٦- ذات وحدة في الروح والطابع: ويرجع ذلك إلى الإسلام، الذي هو عقيدة وشريعة ونظام اجتماعي وحضارة.

٧- حضارة متوازنة: وازنت الحضارة الإسلامية بين الجانب الروحي والمادي في اعتدال، فلا تفريط ولا إفراط ولا غلو^(١).

ومن الأسس التي قامت عليها الحضارة الإسلامية وتميزت بها عن الحضارات الأخرى:

١- العقيدة: جاء الإسلام بعقيدة التوحيد التي تُفرد الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** بالعبادة والطاعة، وحرص على تثبيت تلك العقيدة وتأكيد لها، ونفي كل تحريف سابق لتلك الحقيقة الأزلية.

(١) عفاف سيد صبرة ومصطفى محمد الحناوي. دراسات في الحضارة الإسلامية،



٢- شمولية الإسلام وعالميته: الإسلام دين شامل، وقد ظهرت هذه الشمولية واضحة جليّة في عطاء الإسلام الحضاري، فهو يشمل كل جوانب الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والفكرية.

٣- الحث على العلم: حثت الحضارة الإسلامية على العلم، وبين القرآن فضل العلماء، فكانت الحضارة الإسلامية سباقاً في هذا المضمار. قال تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ (١)، وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مبيّناً فضل السعي في طلب العلم: (من سلك طريقاً يتغي فيه علماً؛ سهل الله له به طريقاً إلى الجنة) (٢)، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (طلب العلم فريضة على كل مسلم) (٣).

❁ أصول الحضارة الإسلامية:

نبعت الحضارة الإسلامية من مجموعة من الأصول أهمها:

١- الدين الإسلامي: يعتبر الدين الإسلامي جوهر الحضارة الإسلامية وهو الدين الذي ينظم كل مظاهر وأنشطة الحياة الفردية والأسرية والاجتماعية والاقتصادية. كما أنه تشريع كامل وتراث متنوع، ولهذا كان الأساس الأول لقيام الحضارة الإسلامية.

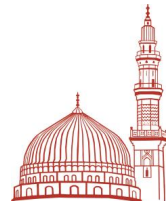
(١) سورة المجادلة: ١١.

(٢) ابن ماجه. سنن ابن ماجه. ج١، ص ٨١.

(٣) البزار. مسند البزار. ج٤، ص ٤٥.

مُحَاضَرَاتٌ فِي

تَارِيخُ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ

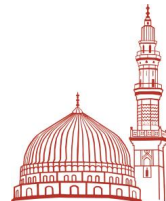


٢- العنصر العربي واللغة العربية: تعتبر العروبة منطلق الحضارة الإسلامية فهي وعاء الإسلام، والإسلام روح العروبة، والإسلام هو الرسالة الخالدة التي حملها العرب إلى البشرية، والأمة التي كرمها الله بحمل رسالة الإسلام وحدها هي الأمة العربية، والنبى الذي اختاره الله ليكون خاتم الأنبياء والمرسلين هو النبى العربي محمد **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، والأرض التي أختارها الله مهبط للدين الإسلامي وحاضنة لمقدساته ومقدسات الأديان السابقة له هي الأرض العربية، واللغة التي اختارها الله لتكون لغة القرآن هي اللغة العربية.

٣- أهالي البلاد المفتوحة: كان لأهالي البلاد المفتوحة دور في نشأة وتكوين الحضارة الإسلامية فقد انضوى تحت لواء الإسلام شعوب كثيرة كان لمعظمها ماضٍ حضاري كبير، حيث كان أهلها ورثة للحضارات القديمة سواء في البحر المتوسط أو في قارة آسيا.

٤- التأثيرات الأجنبية: استفادت الحضارة الإسلامية من التراث البشري لكل من الإغريق، والفرس، والروم، والهنود، وغيرهم من أصحاب الحضارات العريقة. فقد تسلم العرب الفاتحون للشام ومصر وفارس والعراق والمغرب واستفادوا من التراث الفارسي والبيزنطي، واستطاعوا أن يفيدوا منهما، فيقتبسوا ما وجدوه يتلائم مع تقاليدهم ويتفق مع عقيدتهم^(١).

(١) عفاف سيد صبرة ومصطفى محمد الحناوي. دراسات في الحضارة الإسلامية،



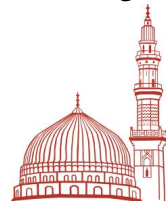
مكونات الحضارة الإسلامية:

يمكن إيجاز عناصر ومكونات الحضارة الإسلامية في الآتي:

- ١- النظم العقديّة والدينيّة: وتشمل العبادات من صلاة وصيام وحجّ وجهاد.
- ٢- الجوانب الفكرية والثقافية: وتشمل العناية بدراسة العلوم ونشرها وتأسيس دور العلم كالمساجد والمدارس والجامعات.
- ٣- النظم السياسيّة: وتهدف إلى دراسة نظم الدولة من قواعد الحكم وقواعده.
- ٤- النظم الماديّة والاقتصاديّة: وتتناول موارد الدولة وأوجه إنفاقها حسب القواعد الشرعيّة، وتشمل أمور الزراعة ونظم الأراضي والملكيّات والتجارة ووسائل تبادلها.
- ٥- النظم الإداريّة: وتشمل تنظيم الدولة إداريًّا ونقسيمها إلى ولايات وشروط تعيين الولاة والعمال وإنشاء الدواوين والحسبة والشرطة وصلاحيّاتهم وفق الأسس الشرعيّة.
- ٦- النظم القضائيّة: وتبحث في أصول القضاء وقواعده.
- ٧- النظم العسكريّة: وتبحث في تكوين الجيوش وتنظيمها وتسليحها وقياداتها وأصنافها وفي الأسلحة وفي قواعد الحرب والسلم، والأحلاف والمعاهدات ومعاملة الأسرى وفي العناية بالأسطول الحربي وأنواعه وأصنافه ودور صناعته.
- ٨- النظم الاجتماعيّة: وتبحث في مكونات المجتمع العربي الإسلامي وسبل ضمان الحقوق والحريات بين فئاته والعناية بالآداب العامّة.

مُحاضرات في

تاريخ الحضارة العربيّة الإسلاميّة



٩- النظم الفكرية والعلمية والمهنية: وتتناول نشوء الأصناف والحرف والمهن والصناعات وسبل حمايتها وتكوين النقابات المهنية والصناعية ووسائل حمايتها.

١٠- الفنون: وتبحث في فنون العرب وخاصة في هندسة البناء وتخطيط المدن والقصور والمساجد والمدارس وبناء السدود والزخرفة والخط العربي (١).

﴿ انطلاق الحضارة الإسلامية في العهد النبوي: ﴾

كانت الفترة التي قضاها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في دعوته أساساً متيناً لبنيان الحضارة الإسلامية الشامخ، الذي غيّر وجه التاريخ، وأمدّه بذخيرة حضارية في مختلف نواحي الحياة (٢)، فبعد أن رسخت العقيدة في قلوب الرعيل الأول، أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذين أمسكوا بطرف الخيط لنسج الحضارة الإسلامية، فلم يمض وقت طويل على بدء الدعوة وتبليغ الرسالة حتى غمر الإسلام بنوره النصف الجنوبي من العالم -المعروف آنذاك- أي من جنوب الصين شرقاً إلى جنوب أوروبا غرباً، وقد

(١) محمد عبدالنور. محاضرات في النظم والحضارة الإسلامية، ص ٩، ١٠ دار تريم

للدراسات والنشر، حضرموت، اليمن، الطبعة الأولى، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٢م.

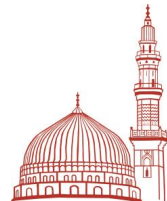
(٢) محمد عجاج بن محمد تميم بن صالح بن عبد الله الخطيب، السنة قبل التدوين

ص ٢١، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان الطبعة: الثالثة،

١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

مُحَاضَرَاتٌ فِي

تَارِيخُ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ



استوعب الشعوب بمنظومته المعرفية وهيمنة خصائص وثقافة الحضارة الإسلامية. وانهار الكيان الرومي في الشام ومصر، وتحللت القومية الفارسية، ليصبح قلب العالم المعمور كله مركزاً للحضارة الإسلامية.

الحضارة الإسلامية في العهد الراشدي:

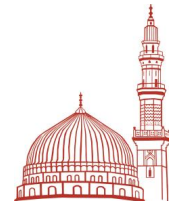
أرسا الخلفاء الراشدون **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** قواعد الحياة الإسلامية الحقيقية كلها. هذه الحياة الكاملة التي تناول العقيدة والعبادات والأخلاق في دائرة واحدة يعبرون عنها بحياتهم اليومية العادية والمعارك العسكرية والمعاملات التجارية والعلاقات الاجتماعية في الزواج والعتاق والمسرات والأحزان، فكان أصحاب النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** هم أهل البصيرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** والمجتمع الإسلامي في الخلافة الراشدة وما حققته الحضارة الإسلامية في هذا الطور العظيم، فإذا تكلمنا عن الشورى والبيعة والعدالة، وإذا تكلمنا عن المساواة في الحقوق والواجبات بين الناس، وإذا تكلمنا عن الفتوحات ورايات الإسلام الخفاقة المنتشرة في الأرض حينذاك، فلن نجد مصدراً غنياً كاملاً بكل ما تحقق في هذه الميادين إلا في وقت الخلافة الراشدة والقرون الأولى.

الحضارة الإسلامية في العهد الأموي:

سعى الأمويون منذ وقت مبكر إلى دفع عملية البناء الحضاري في كل الميادين، الفكرية والمعمارية والإدارية، فبنوا المساجد والقصور، وأشاعوا حركة العلوم في شتى المجالات، وعربوا مصالح الدولة وإدارتها الحساسة.

مُحَاضِرَاتٌ فِي

تَارِيخُ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ



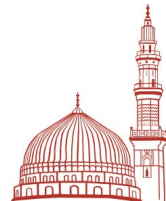
وساعدت عدة عوامل على ازدهار الحضارة الإسلامية في العهد الأموي فهذه الحضارة ساهمت في كافة الميادين ذات الخبرة الإنسانية، سواء الدراسات القطرية والعملية والأطعمة والأشربة والأسلحة والفنون والصناعات والنشاط التجاري وكانت اللغة العربية أداة تلك الحضارة العظيمة.

﴿ الحضارة الإسلامية في العهد العباسي: ﴾

شهد عهد القوة العباسي نهضة علمية بالغة القوة والتنوع في شتى المجالات، فشهد هذا العصر ظهور علوم نقلية كثيرة مثل: علم التفسير وعلم القراءات وعلم الحديث، والفقه، وعلم الكلام، والنحو واللغة، والبيان، والأدب. وزاد الاهتمام بالعلوم العقلية مثل: الفلسفة، والهندسة والطب، والكيمياء والتاريخ، والجغرافيا.

مُحَاضَرَاتُ فِي

تَارِيخِ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ





الوحدة الثانية: النظام السياسي في الحضارة الإسلامية

مُحَاضِرَاتٌ فِي

تَارِيخِ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ



الوحدة الثانية:

النظام السياسي في الحضارة الإسلامية



تمهيد: الحكم والإمارة عند العرب قبل الإسلام:

كان النظام السياسي عند العرب قبل الإسلام ملكياً وراثياً. وكان حكام الجزيرة حين بزغت شمس الإسلام قسمين: قسم منهم ملوك متوجون، إلا أنهم في الحقيقة كانوا غير مستقلين، وقسم هم رؤساء القبائل والعشائر، لهم ما للملوك من الحكم والامتياز، ومعظم هؤلاء كانوا على تمام الاستقلال. وربما كانت لبعضهم تبعية لملك متوج، والملوك المتوجون هم ملوك اليمن، وملوك آل غسان، وملوك الحيرة، وما عدا هؤلاء من حكام الجزيرة فلم تكن لهم تيجان. وبرزت في جنوب الجزيرة العربية وشمالها بعض الممالك التي كونت نظاماً سياسية سيطرت قروناً طويلة على هذه المنطقة، ومن أهم ممالك الجنوب:

١- مملكة معين (١٣٠٠-٦٥٠ ق.م).

٢- مملكة حضرموت (١٠٢٠-٣٠٠ ق.م).

٣- مملكة سبأ (٨٠٠-١١٥ ق.م).

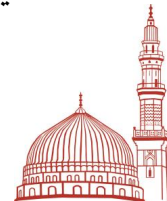
٤- مملكة قتيبان (٧٦٥-٥٤٥ ق.م).

٥- مملكة أوسان (-٤١٠ ق.م).

٦- مملكة حمير (١١٥ ق.م - ٥٠٠ م).

مُحَاضَرَاتٌ فِي

تاريخ الحضارة العربية الإسلامية



أما النظام السياسي في بادية العرب وفي إقليم الحجاز ونجد فكان نظاماً قَبلياً، حيث أضعفت الحروب العربية العربية^(١) في المناطق الشمالية القوة العربية، فلم تقو -آنذاك- على ضرب نفوذ الفرس والروم، واستمر الحال إلى أن جاء الإسلام واستطاع المسلمون هزيمة الفرس والروم، ونشر الإسلام خارج حدود الجزيرة العربية.

النظام السياسي للحضارة الإسلامية:

يتميز النظام السياسي الإسلامي عن الأنظمة السياسية الأخرى بمميزات فريدة وسمات مهمة رشحته لقيادة البشرية بأسرها، وهذه السمات تجعله صالحاً أيضاً لتطبيقه والعمل به مهما اختلف الزمان والمكان، يضاف إلى ذلك أن لهذا النظام من الخصائص والمقومات ما جعله نظاماً عالمياً، فقد اشتملت تشريعاته وقوانينه على جميع مصالح الناس ومنافعهم.

يهدف النظام السياسي الإسلامي إلى غايات نبيلة وأهداف سامية تدور

في إطار:

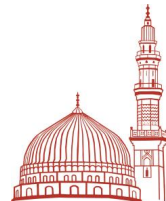
١- إقامة الدين وتحقيق العبودية لرب العالمين.

٢- إقامة العدل.

(١) كانت الحروب كثيرة بين العرب قبل الإسلام. وكان العرب يسمون حروبهم أياماً، وتسمى هذه غالباً بأسماء الأماكن التي وقعت فيها مثل يوم الكلاب، وذي قار، وبأسماء الأشخاص أو الحوادث البارزة فيها، كيوم البسوس، وأيام داحس والغبراء، أو باسم الصفة التي تميزت فيها كيوم تحلاق اللحم، ويوم الفجار.

مُحاضرات في

تاريخ الحضارة العربية الإسلامية



٣- إصلاح دنيا الناس وهدايتهم واليسير عليهم (١).

❦ قواعد وأسس النظام السياسي الإسلامي:

يقوم هذا النظام على قواعد وأسس هي:

١- الشورى.

٢- السمع والطاعة.

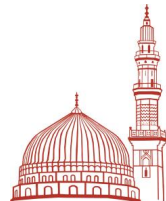
٣- العدل والمساواة.

٤- الحرية.

❦ قيام الدولة الإسلامية:

تعد مرحلة نشأة الدولة الإسلامية وقيامها والإجراءات المتخذة لاستقرارها من أهم مراحل التاريخ الإسلامي، لأنها تعد مرحلة أساس قيام المجتمع المسلم، وأساس التحرك العالمي للإسلام، لذلك فقد بذل رسول الله ﷺ جهودًا متواصلة لإرساء قواعد الدولة قبل أن يتحرك في مواجهة القوى المجاورة للدولة الوليدة الناشئة. وبعد انتقال الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى، كان على من جاءوا بعده مسؤولية وضع نظم متممة لنظامه في حكم الدولة الإسلامية.

(١) عفاف سيد صبرة ومصطفى محمد الحناوي. دراسات في الحضارة الإسلامية،



النظام السياسي في عهد الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

كانت هجرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من مكة إلى يثرب فتحاً في تاريخ العرب السياسي والديني، إذ فسحت المجال لبروز عبقريته السياسية، ومقدرته على التنظيم في مختلف جوانب الحياة فجمع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين السلطتين الدينية والدينية فالإلى جانب دعوته وتربيته لأمته على الأخلاق الإسلامية، كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقود الجيوش ويفصل في الخصومات والخلافات بين القبائل وينظم الأموال، ويعين العمال والولاة على ولايات الدولة كما قام بأعمال جليلة من اللحظات الأولى لموجهة الوضع الراهن في المدينة بعد الهجرة، فكان بناء المسجد^(١) والمؤاخاة بين المسلمين، وإصدار صحيفة أو دستور المدينة "وثيقة المدينة"^(٢)، وعقد معاهدة مع

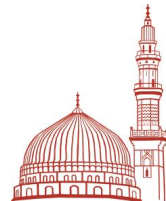
(١) كان المسجد قاعدة الحضارة الإسلامية وكل ما يشعه المسجد مفتاح هذه الحضارة وكان ما يصدر عنه يطبع الحياة بطابعه، فكما كان وظيفته التقليدية كمكان للصلاة كان مكان تنطلق منه الجيوش الإسلامية، وكان المسجد مقراً للتعليم ومن المسجد كانت تعقد ألوية الجيش الإسلامي.

(٢) وثيقة المدينة: هي أول وثيقة تفصيلية، بين المسلمين وأهل الكتاب. اختلف في صحتها. ينظر في صحة هذه الوثيقة من عدمها: السيرة النبوية الصحيحة، لأكرم ضياء العمري، ج١، ص ٢٧٢-٢٧٥، وصحيفة المدينة دراسة حديثة، تحقيق، هارون رشيد محمد إسحاق، وبيان الحقيقة في الحكم على الوثيقة - وثيقة المدينة، لضيدان الياامي. وقد أسهب الدكتور أكرم العمري في الحديث عن صحة هذه الوثيقة، وتفنيدها ادعاء وضعها حيث يقول: "وإذا كانت الوثيقة بمجموعها لا

=

مُحَاضَرَاتٌ فِي

تاريخ الحضارة العربية الإسلامية



اليهود، وإرساء قواعد تربوية وأخلاقية تحكم العلاقات بين المسلمين، فبعد التعاقد السياسي بين النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** والأنصار في بيعة العقبة الثانية وهجرة النبي إلى المدينة تكونت دولة جديدة لها ذاتية مستقلة تميزها عن غيرها يحكمها قانون واحد.

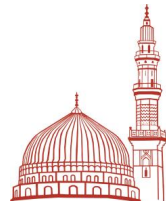
ومن أوائل الخطوات التي اتخذها الرسول **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في إقامة الدولة الإسلامية الأولى إصدار (وثيقة المدينة)، التي حددت لمجتمع المدينة رسالته في دعم الحق والخير، فكانت أسبق في إنسانيتها العالمية من القوانين والمعاهدات العالمية. إن "الوثيقة" التي كتبت بإملاء من الرسول **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في العام الأول من هجرته إلى المدينة مثلت السياسة الداخلية للدولة الإسلامية مع (الآخر) -اليهودي والوثني- وكذلك مثلت نظاماً متكاملًا للعلاقات الخارجية مع القبائل والشعوب والدول^(١).

أما المبادئ المميزة والخطوط العريضة التي رسمتها هذه الوثيقة فيمكن تلخيصها في النقاط التالية:

١- مبدأ المواطنة الإيمانية في الدولة الإسلامية.

تصلح للاحتجاج بها في أحكام الشريعة سوى ما ورد منها في كتب الحديث الصحيحة؛ فإنها تصلح أساساً للدراسة التاريخية التي لا تتطلب درجة الصحة التي تقتضيها الأحكام الشرعية؛ خاصة أن الوثيقة وردت من طرق عديدة تتضافر في إكسابها القوة.

(١) هيكل. محمد حسين، حياة محمد، ص ٢٦، دار المعارف، القاهرة.



- ٢- مبدأ التكافل الاجتماعي بين المواطنين.
- ٣- مبدأ المحافظة على أمن الدولة والمجتمع.
- ٤- مبدأ المساواة والتسيير الذاتي للمجتمع.
- ٥- مبدأ الدفاع المشترك بين جميع المتساكنين.
- ٦- مبدأ حرية الاختيار وتقرير المصير للمخالفين.
- ٧- مبدأ سيادة الشريعة وحاكمة الكتاب والسنة.

إن الدولة الإسلامية التي أنشأها الرسول **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في المدينة وفق أسلوب حضاري راقٍ، لا تتعامل مع سلبيات الماضي ورواسبه، وفي طليعة ذلك العصية القبلية، والثارات الجاهلية لأن دستورها ينص على أن: "يثرب حرام لأهل هذه الصحيفة، وأن جميع المتعاقدين النصح والنصيحة والبر دون الإثم" (١).

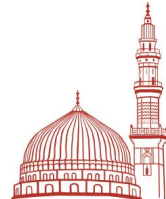
﴿ النظام السياسي في عهد الخلفاء الراشدين: ﴾

توفي الرسول **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** (٢) ولم يعين من يخلفه، بل ترك الأمر شورى بين المسلمين يختارون خليفة لهم، فأدرك الصحابة **رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ** أنه يجب عليهم

- (١) ينظر: الشعيبي أحمد قائد، وثيقة المدينة المضمون والدلالة، ص ٦، ٧، مكتبة الوسطية، صنعاء، الطبعة الثانية، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م.
- (٢) انتقل الرسول **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** إلى جوار ربه في الثاني عشر من ربيع الأول سنة إحدى عشر من الهجرة. وقد تم له ثلاث وستون سنة.

مُحَاضَرَاتٌ فِي

تَارِيخُ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ



تنصيب خليفة يلي أمر المسلمين للحفاظ على أمر الدين ومقتضيات الدعوة الإسلامية حيث أصبحت الدولة الإسلامية بحاجة إلى من يخلف الرسول في إدارة دفة الحكم وحماية ونشر الدين الإسلامي الحنيف و مواصلة الحركة السياسية بعد وفاه الرسول **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**. فالخلافة الإسلامية هي الطريق الصحيح الذي اختارته الأمة الإسلامية واستمدت أصولها من دستور المسلمين القرآن الكريم، وسنة النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**.

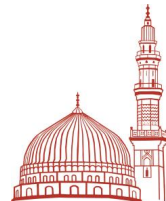
خصائص الخلافة الراشدة ومميزاتها:

تتميز الخلافة الراشدة بخصائص ومميزات جعلتها تتبوأ المكانة العالية، وتكون منهجاً فريداً يسير عليه المسلمون بعد ذلك وقد اتصفت بالخصائص الآتية:

- ١- أنها ذات صفة اختيارية.
 - ٢- التطبيق الحر في للإسلام والفهم العميق لما يتضمنه من مبادئ وأسس.
 - ٣- توافر الحرية الكاملة في النقد والتعبير عن الرأي.
 - ٤- أن النظام في الخلافة الراشدة يقوم على العدل.
- ويتضح مما سبق أن الخلافة الراشدة تميزت عن غيرها من النظم بهذه الخصائص والتي تنبع من القرآن الكريم والسنة النبوية.

مُحَاضَرَاتٌ فِي

تَارِيخُ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ



مفهوم الخلافة في الإسلام:

أُطْلِقَ على من يتولى ولاية المسلمين العامة (الخلافة) وهي نظام ميزها عن غيرها من الدول، فقد عرف العالم منذ القدم أنواعاً شتى من الحكومات والأنظمة مثل الإمبراطوريات والملكيات والجمهوريات، أما هذا المسمى وهذا النظام، فقد ارتبط بالدولة الإسلامية الناشئة وبالتاريخ الإسلامي.

الخلافة لغةً:

مأخوذة من خلف يخلف أي جاء بعده. والخلف: ما جاء بعد. وإنما سميت خلافة؛ لأن الثاني يجيء بعد الأول قائماً مقامه والخليفة الذي يستخلف ممن قبله، والخلافة: الإمارة. وعليه يتضمن المدلول اللغوي للخلافة النيابة عن الغير أو الإمارة. كما في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكَ خَلِيفَ الْأَرْضِ﴾ (١).

الخلافة اصطلاحاً:

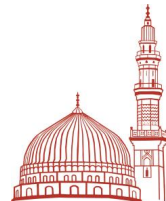
الخلافة هي المؤسسة الأولى في النظام السياسي الإسلامي، وهي المنهج الذي اختارته الأمة الإسلامية طريقة وأسلوباً للحكم. وقد تعددت التعريفات الاصطلاحية لهذا المفهوم ومن أبرز هذه التعاريف: فقد عرفها الماوردي (٢) (ت ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م) بقوله: «الإمامة موضوعة

(١) سورة الأنعام: ١٦٥.

(٢) علي بن محمد حبيب الماوردي: من العلماء الباحثين، أصحاب التصانيف الكثيرة النافعة. ولد في البصرة، وانتقل إلى بغداد. وولي القضاء في بلدان كثيرة، ثم جعل أفضى القضاة " في أيام القائم بأمر الله العباسي.

مُحَاضِرَاتُ فِي

تاريخ الحضارة العربية الإسلامية



لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا».

وعرفها ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٦م) بقوله: «والخلافة هي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدينية الراجعة إليها إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة، فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا به».

وعرفها القلقشندي^(١) (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م) بقوله: «وهي الولاية العامة على كافة الأمة، والقيام بأموورها والنهوض بأعبائها».

وعرفها الكتاني^(٢) (ت ١٨٣٢هـ / ١٩٦٢م) بقوله: «والخلافة هي الرياسة العظمى والولاية العامة الجامعة بحراسة الدين والدنيا».

وعرفها محمد الرئيس^(٣) بأنها: «الحكومة الإسلامية الشرعية أو الحكومة التي تكون الشريعة الإسلامية قانونها». وظاهر من تعاريف الفقهاء أنهم يعدون الخليفة قائمًا مقام النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في رئاسة الدولة ناظرين

(١) أحمد بن علي بن أحمد الفزاريّ القلقشندي المؤرخ الأديب الباحثة. ولد في

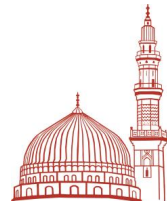
قلقشنده من قرى القليوبية، بقرب القاهرة، ونشأ وناب في الحكم وتوفي في القاهرة.

(٢) الكتاني. محمد عبد الحّي بن عبد الكبير ابن محمد الحسنّي الإدريسي، المعروف

بعبد الحي الكتاني عالم بالحديث ورجاله. مغربي، ولد وتعلم بفاس.

(٣) محمد ضياء الرئيس: أستاذ التاريخ الإسلامي بجامعة القاهرة تولى في مؤلفاته الرد

على شبهات المستشرقين وأذناهم .



في ذلك إلى أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان له وظيفتان: وظيفة التبليغ عن الله، ووظيفة القيام على أمر الله وسياسة الدنيا به. فلما توفي الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انتهت وظيفة التبليغ، وبقيت الوظيفة الأخرى، فوجب أن يقوم بأدائها من يستطيع القيام بأعبائها، ولأنه يخلف الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا الأمر سمي خليفة.

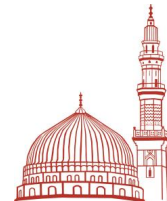
❁ الخلافة في المفهوم السياسي الإسلامي وأدلتها:

استعمل القرآن الكريم لفظ الخليفة بصيغ الجمع للإشارة إلى بعض الجماعات، التي لم تكن لها أدنى علاقة بالمؤسسات السياسية، واستخدمها مفردة في موضعين؛ مرة إشارة إلى آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۗ﴾^(١)، ومرة إلى داود عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ ۗ﴾^(٢). وتدور معظم تفاسير هاتين الآيتين حول المعاني اللغوية، من الاستخلاف والنيابة. كما وردت أحاديث نبوية تدعو إلى وجوب السمع والطاعة للخلفاء وولاية الأمر واستدال العلماء على وجوب تنصيب أمير عام بأحاديث كثيرة منها ومن هذه الأحاديث ما جاء في سنن أبي داود^(٣) عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِذَا كَانَ ثَلَاثَةٌ فِي

(١) سورة البقرة: ٣٠.

(٢) سورة ص: ٢٦.

(٣) سنن أبي داود. ج٣، ص٨١.



سَفَرٍ فَلْيُؤْمَرُوا أَحَدَهُمْ»^(١). فالحديث إذاً ينص على وجوب تأمير أمير ولو على جماعة قليلة كالثلاثة في السفر. وعن عبد الله بن عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**، أن رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال: «أَلَا كَلِّكُمْ رَاعٍ وَكَلِّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رِعِيَّتِهِ: فالأمير الذي على الناس راعٍ عليهم وهو مسؤؤلٌ عنهم، والرجل راعٍ على أهل بيته وهو مسؤؤل عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهي مسؤولة عنهم، والعبد راعٍ على مال سيده وهو مسؤؤل عنه؛ فكلكم راعٍ، وكلكم مسؤؤل عن رعيته»^(٢).

طرق انعقاد الخلافة:

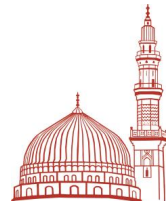
تثبت ولاية إمام المسلمين بواحد مما يلي:

- ١- البيعة^(٣): والتي يقوم بها أهل الحل والعقد بعد أن يُختار بإجماع المسلمين، ويتم نصبه بمبايعة أهل الحل والعقد من العلماء والصالحين، ووجوه الناس وأعيانهم.
- ٢- العهد: وهي أن تكون ولايته بنص الإمام الذي قبله.
- ٣- أن يتولى على الناس قهراً بقوته حتى يدعنوا له، ويدعوه إماماً، فيلزم الرعية طاعته في غير معصية الله، وعلى أن تتوفر في المتولي للخلافة شروطها.

(١) سنن أبي داود. ج٤، ص ٢٤٩.

(٢) سنن أبي داود. ج٤، ص ٥٥٣.

(٣) البيعة هي العهد على الطاعة، وكانت تتم للرجال بالمصافحة، تأكيداً للعهد.



ألقاب الخلافة:

أطلق على من يتولى ولاية المسلمين العامة (الخلافة) عدة ألقاب، منها الإمامة، والخلافة، وإمارة المؤمنين، وهي جميعاً تؤول إلى معنى واحد وهو «رياسة المسلمين العامة التي تخلف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حراسة الدين والدنيا».

أما إمارة المؤمنين فإن أول من تسمى بها عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

شروط الخلافة:

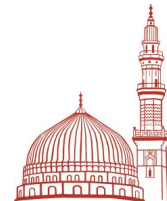
يشترط في الخليفة الذي يتولى أمور المسلمين ما يلي:

- ١- الإسلام، فلا تنعقد إمامة الكافر على المسلمين.
- ٢- البلوغ، فلا تصح إمامة الصغير.
- ٣- العقل، فلا تنعقد الإمامة لمجنون.
- ٤- الحرية؛ لأن العبد لا ولاية له على نفسه، فكيف تكون له ولاية على غيره.
- ٥- العلم، فلا تصح ولاية جاهل بأحكام الله.
- ٦- العدالة، فلا تنعقد الولاية لفاسق.
- ٧- الذكورية، فلا تنعقد ولاية المرأة؛ لحديث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة»^(١).

(١) البخاري. صحيح البخاري، ج٦، ص ٨. رقم الحديث ٤٤٢٥.

مُحَاضِرَاتٌ فِي

تَارِيخُ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ



- ٨- حصافة الرأي في القضايا المختلفة من حاجات الأمة.
 - ٩- صلابة الصفات الشخصية كالجرأة، والشجاعة، والعدل، والغيرة على المحارم، والعزيمة على تنفيذ أحكام الله.
 - ١٠- الكفاية الجسدية، وهي سلامة البدن والأعضاء والحواس.
 - ١١- القرشية، على صحيح الأقوال فقريش أفضل قبائل العرب، والإمامة فيهم ما أقاموا الدين، ويُلحق بها مَنْ كَلِمته نافذة، ومتبوع من الكثرة الغالبة، ليكون مطاعاً مرضياً عنه، وتحصل به الوحدة، وتزول الفرقة.
- وقد استمرت شروط الخلافة سارية في عصر الخلفاء الراشدين، ولم يراع مبدأ الوراثة في مبايعة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وقد تمت خلافتهم بالشورى والاختيار.

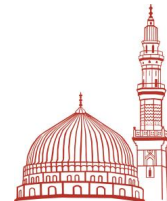
علامات الخلافة:

- ١- البردة: هي بردة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خلعها على الشاعر كعب بن زهير بن أبي سلمى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(١) لما رجع تائباً مسلماً، وظلت البردة عند اهل كعب حتى اشتراها معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وتوارثها الخلفاء الأمويون والعباسيون.

(١) كعب بن زهير بن أبي سلمى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: شاعر من نجد اشتهر في الجاهلية. ولما ظهر الإسلام هجا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهدر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دمه، فجاءه كعب مستأماً، وقد أسلم، وأنشده لاميته المشهورة فعفا عنه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وخلع عليه بردته.

مُحَاضِرَاتٌ فِي

تَارِيخُ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ



٢- الخاتم: اتخذ الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خاتمًا من الفضة وجعل نقشه (محمد رسول الله) فلما توفي الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لبسه أبو بكر ثم عمر ثم عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ فوقع منه في بئر أريس (١) القريبة من مسجد قبا بالمدينة فالتموسه ثلاث أيام فلم يجده ثم اتخذ الخلفاء أختامًا خاصة على بعضها مواعظ وحكم.

٣- القضيب: هو عود كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأخذه بيده فقلده الخلفاء في حملة والقضيب: عصا ترمز إلى السلطة توارثها الخلفاء كشأن البردة.

شارات الخلافة:

١- الخطبة: أي الدعاء للخليفة على المنابر في المساجد في الجمع والاعياد، ودليل على اعترافهم به وامتداد سلطة ونفوذ هولا الخلفاء إلى تلك الأماكن.

٢- السكة (٢): وهي ضرب النقود المتعامل بها بين الناس باسم الخليفة، وكانت عليها اية كريمة أو دعاء موجز.

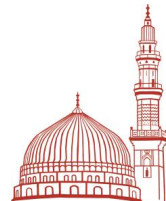
٣- الطراز: وهي ثياب الخلافة، فقد كانت ثياب الخلفاء الراشدين لا

(١) بئر أريس: وهي بئر مشهورة في المدينة. مجاورة لمسجد قباء.

(٢) السكة: حديدة منقوشة، يضرب عليها الدراهم، وتطلق ويُراد بها الدينار والدرهم المضروبين، سمي كل واحد منهما سكة؛ لأنه طبع بالحديدة المعلمة له.

مُحَاضِرَاتٌ فِي

تَارِيخُ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ



تتميز عن ملابس أقل رعاياهم شأنًا ثم اخذ الخلفاء من بعدهم
يبالغون في اقتناء أغلى الثياب وأجلها.

لون الأعلام:

كان الجيش الإسلامي يرفع لواءً أبيض ورايةً سوداء كما كان عليه الأمر
في عهد النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، أما بنو أمية فكان شعارهم اللون الأخضر، وأما
بنو العباس فشعارهم السواد.

رواتب الخلفاء:

كان الخلفاء الراشدين يأخذون من بيت المال (خزينة الدولة) ثمن
طعامهم وكسوتهم لا أكثر ولا أقل، ثم أخذ معظم الخلفاء الأمويين من بيت
المال بغير حساب لتوطيد دعائم الدولة وتأليف القلوب، فلم يكن للخليفة
الأموي والعباسي راتبًا معينًا.

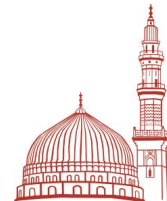
واجبات الخليفة:

يلزم الرعية للخليفة:

- ١- الطاعة: على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب أو كره إلا أن
يؤمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة.
- ٢- المعاوضة، والمناصرة في أمور الدين وجهاد العدو، ومن خرج من
الطاعة أو فارق الجامعة مات ميتة جاهلية.
- ٣- المناصحة وعدم الغش والخيانة لولاية الأمر.

مُحَاضِرَاتٌ فِي

تَارِيخِ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ



أما واجبات الخليفة:

فيجب على خليفة المسلمين ما يلي:

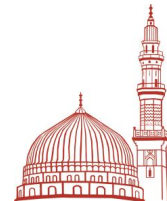
- ١- إقامة الدين وذلك بحفظه، والدعوة إليه، ودفع الشبه عنه، وتنفيذ أحكامه وحدوده بالحكم بما أنزل الله بين الناس، والجهاد في سبيل الله، قال الله تعالى: ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ (١)، وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (٢).
- ٢- اختيار الأكفاء للمناصب والولايات.
- ٣- محاسبة الإمام عماله.
- ٤- تفقد أحوال الرعية وتدير أمورها.
- ٥- الرفق بالرعية والنصح لهم وعدم تتبع عوراتهم.
- ٦- مشاوره أهل الشورى في الأمور.
- ٧- رعاية مصالح الأمة الداخلية والخارجية.
- ٨- أن يكون قدوة حسنة لرعيته، قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ

(١) سورة ص: ٢٦.

(٢) سورة النساء: ٥٨.

مُحَاضِرَاتٌ فِي

تَارِيخُ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ



﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِعَايَتِنَا يُوقِنُونَ﴾ (٢).

طرق تولية الخلفاء الراشدين:

تولى الخلفاء الراشدون الخلافة بطريقتين:

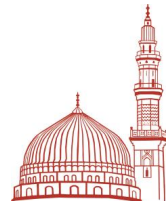
الطريقة الأولى: الاختيار: والذي يقوم بالاختيار هم أهل الحل والعقد، وهذه الطريقة تمت بها تولية أبي بكر الصديق وعلي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.
الطريقة الثانية: الاستخلاف: فإذا أحس الخليفة بقرب أجله، وأراد أن يستخلف على الناس، شاور أهل الحل والعقد، فإذا وقع رأيه على من يصلح لهذا المنصب، عهد إليه.

اختيار أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

اجتمع الصحابة في سقيفة بني ساعدة وتشاوروا فيمن ينبغي أن يخلف رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبعد اللقاء قام المجتمعون ببيعة الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ طائعين بيعة خاصة. ففي هذا الوقت العصيب الذي مر به المسلمون فكروا في الاجتماع لاختيار من يخلف الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل تجهيزه ودفنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وبعد اتفاقهم على من يخلف الأمة بعد نبينا قاموا بتجهيزه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فغسلوه وكفنوه وصلوا عليه ثم دفنوه.

(١) سورة الفرقان: ٧٤.

(٢) سورة السجدة: ٢٤.



أسباب إسراع الصحابة لاختيار من يخلف الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

رغم الذهول الذي أصاب المسلمين عند وفات الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم تَمْضِ ساعات قليلة من وفاته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى سارعوا في التفكير لاختيار خليفة له في ذلك الظرف العصيب.

ويمكن أن نجمل أسباب إسراع الصحابة لاختيار من يخلف الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الآتي:

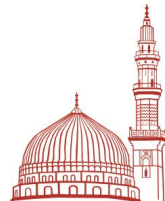
١- إدراك الصحابة الخطورة المحيطة بالدولة الإسلامية، سواء كانت الأخطار الداخلية أو الخارجية، تقول عائشة (رَضِيَ اللهُ عَنْهَا^(١)): «لما توفي الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ارتدت العرب واشترأبت اليهودية، والنصرانية ونجم النفاق، وصار المسلمون كالغنم المطيرة في الليلة الشاتية لفقد نبيهم»^(٢) والأخطار الخارجية، حيث الروم في الشام بعد معركة مؤتة تحشد جيوشها لتتقض على الدولة الإسلامية؛ هذه الأخطار جعلتهم يفكرون في لم شمل الأمة وجمع كلمتها لمواجهة.

(١) عائشة بنت أبي بكر: أم المؤمنين، أم عبد الله زوج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأحب

النساء إليه، أفقه نساء الأمة على الإطلاق بالاتفاق، توفيت سنة ٥٧هـ. ينظر: ابن عبد البر. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ص ١٨٨١.

(٢) ابن هشام. السيرة النبوية، ج٢، ص ٦٦٥. وابن كثير. أبي الفداء إسماعيل بن عمر،

السيرة النبوية، ج٤، ص ٥٥٤، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، ١٣٩٦هـ - ١٩٧١م، دار المعرفة، بيروت.



- ٢- انطلاقاً من إيمانهم بأن النظام الذي وضع الإسلام أصوله يستلزم وجود خليفة ولأهمية الخلافة في الإسلام جعلتهم يتحركون في اتجاه اختيار الخليفة كما عبر عن ذلك سعيد بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(١) قال: «كره المسلمون أن يبقوا بعض يوم وليسوا جماعة».
- ٣- شعورهم بالحاجة إلى حاكم يحفظ كيان الأمة ويوجهها لما فيه خيرها وصلاحتها.
- ٤- حرصهم على وحدة الكلمة وعزة المنعة في ظل الإسلام، فكان خوفهم من تفرق كلمتهم جعلهم يفكرون في أمر قيادة الدولة الجديدة.

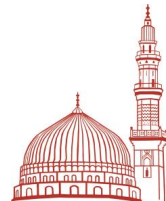
﴿ اجتماع الأنصار في سقيفة بني ساعدة: ﴾

بادر الأنصار للتشاور في تعيين الخليفة فاجتمعوا في سقيفة بني ساعدة واقترحوا أن يولوا هذا الأمر سعد بن عباد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(٢). (سيد الأوس)، محتجين بأنه يحظى بموافقة وتأييد كثير من الأنصار وفي ذلك يقول القاضي

(١) سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي القرشي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، هو أحد العشرة المبشرين بالجنة، مولده بمكة، شهد المشاهد كلها إلا بدرًا، توفي بالمدينة سنة ٥١ هـ. ينظر: ابن سعد. الطبقات، ج٣، ص ٢٩٣.

(٢) سعد بن عباد بن دليم بن حارثة بن أبي خزيمة، يكنى أبا ثابت. وهو أحد النقباء شهد العقبة مع السبعين والمشاهد كلها ما خلا بدرًا توفي في خلافة عمر بن الخطاب في بلاد الشام بحوران، وقيل ببصرى.

مُحَاضِرَاتٌ فِي



عبدالجبار: «وكان لهم عذر في المبادرة إلى البيعة؛ لأنهم خافوا في التأخر فتنة عظيمة»، لا كما يصوره بعضهم من أنهم انتهزوا الفرصة، فحملتهم العصبية إلى المسارعة للاجتماع.

ويمكن ذكر بعض الأسباب التي تكاد تكون دوافع رئيسة لاجتماعهم من أبرزها ما يأتي:

١- دفاعهم عن الإسلام وحمائيتهم له بأنفسهم وأموالهم، فهم يرون أن الأمر لهم بما آووا ونصروا، وبما قدموا به من تضحيات.

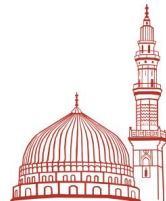
٢- نظروا إلى الخلافة من زاوية قريبة لا تتجاوز العلاقة التاريخية بينهم وبين إخوانهم المهاجرين. فالأنصار يرون أن الأمر لهم لأن المدينة بلدهم فتصوروا أن القيادة لا بد أن تكون بأيديهم، لأنهم أصحاب الأرض والدار وهم الأكثرية.

٣- إن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يعين أحد على أمر المسلمين بعد وفاته، فإسراعهم إلى الاجتماع كان سببه عدم وجود نائب معين من قبل الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

هذه الأسباب هي الدوافع وراء اجتماع الأنصار في السقيفة، وهي ليست حرصاً منهم على الإمارة والسعي للحكم بل لحرصهم على حماية الأمة من التمزق والاختلاف، دل على هذه الحقيقة السرعة التي تم عقد الاجتماع فيها لاختيار الخليفة، وإسراعهم إلى مبايعة الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دون تردد بعد تلك المداولة القصيرة حول الخلافة.

مُحَاضِرَاتُ فِي

تَارِيخُ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ



ومن خلال هذه الأسباب والبواعث يتضح اهتمام الصحابة جميعاً **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** بأمر الخلافة ووحدة المسلمين.

﴿ وصول خبر اجتماع الأنصار إلى المهاجرين: ﴾

حين بلغ خبر اجتماع السقيفة إلى المهاجرين كان أول من تلقى الخبر هو عمر بن الخطاب **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** كما في رواية الطبري^(١)، حيث أقبل عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** إلى منزل النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فأرسل إلى أبي بكر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** وهو في الدار أن أخرج إليّ، فأرسل إليه إني مشغول.

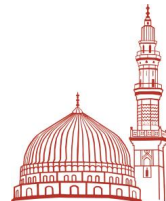
وفي رواية ابن هشام أن أبا بكر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** بلغه الخبر، حيث أتى آت يقول له: « إن الأنصار اجتمعت مع سعد بن عبادة».

وذكر أنه عندما علم أبو بكر وعمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** أن الأنصار مجتمعون في سقيفة بني ساعدة لاختيار الخليفة منهم، وخرجا إلى السقيفة على غير اتفاق بينهما وفي الطريق لقيا أبا عبيدة بن الجراح فساروا إلى الأنصار وأرادوا أن يعالجوا هذا الموقف. قال عمر بن الخطاب **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: فلما دنونا منهم لقينا منهم رجلين صالحين^(٢). فقالا: أين تريدون يا معشر المهاجرين؟ فقلنا

(١) الطبري: هو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري، علامة وقته وإمام عصره وفقه زمانه، وهو صاحب المصنفات الكثيرة. كان ثقة، صادقاً، حافظاً، رأساً في التفسير، إماماً في الفقه والإجماع، علامة في التاريخ.

(٢) الرجلين اللذين لقوا الأنصار حين ذهبوا إلى السقيفة هما: عويم بن ساعدة ومعن بن عدي **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**.

مُحَاضِرَاتٌ فِي



إخواننا الأنصار، فقالوا: لا، عليكم أن لا تقربوهم واقضوا أمركم يا معشر المهاجرين.

❦ الحوار داخل السقيفة بين المجتمعين:

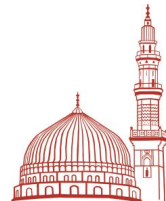
كان محور الحوار داخل السقيفة حول أحقية من يتولى خلافة المسلمين.. هل يكون من الأنصار الذين آووا ونصروا؟ أم من المهاجرين الذين كانوا أصحاب السابقة في الإسلام. وكان حوارهم مثال علمي تجلت فيه معاني الحرية بأبهى صورها.

فالحوار الذي دار في سقيفة بني ساعدة يؤكد حرص المجتمعين على مستقبل الدعوة الإسلامية، واستعدادهم المستمر للتضحية في سبيلها. فبعدما تصدى أبو بكر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** لرأي الأنصار تفنيدياً وتوضيحاً، قائلاً لهم: «إنا والله يا معشر الأنصار ما ننكر فضلكم، ولا بلاكم في الإسلام، ولا حقكم الواجب علينا». ثم أضاف: «وأوصانا رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بقوله: «أوصيكم بالأنصار خيراً». ثم شرع يبين أحقية المهاجرين بالخلافة من حيث مكانتهم في الإسلام وأسبقيتهم وإعدادهم الطويل الذي تم على يد رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، ثم من حيث إنهم من قريش التي تعد في نظر العرب -رغم الإسلام- لها مكانتها، وثقلها الاجتماعي.

ويتضح من الروايات الصحيحة أن الآراء المطروحة في الاجتماع تتمثل في ثلاثة آراء هي: أحقية الأنصار بالخلافة، وأحقية المهاجرين بها، واقتسام

مُحَاضِرَاتٌ فِي

تَارِيخُ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ



السلطة وتعدد الأمراء، وهي على النحو الآتي:

الرأي الأول: أحقية الأنصار بالخلافة: يرى أصحاب هذا الرأي أن الأنصار هم أولى الناس بخلافة النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**.

الرأي الثاني: أحقية المهاجرين بالخلافة: وتلخصت حججهم في خطاب الصديق **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** الذي أكد فيه صواب رأي المهاجرين.

الرأي الثالث: الشراكة في السلطة: والذي اقترحه الحباب بن المنذر **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** (١) قائلاً: «منا أمير ومنكم أمير» بمعنى أن تكون الخلافة تارة عند المهاجرين وتارة عند الأنصار (٢). وكان هذا الرأي جاء كحل وسط جواباً على الرفض القاطع من المهاجرين في تفرد الأنصار بالإمارة. فرد عليه عمر بن الخطاب **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** فقال: «سيفان في غمد لا يسطلحان» (٣)، وأوضح لهم أن إقامة أميرين يفضي إلى التنازع والاختلاف والفشل (٤).

(١) هو الحباب بن المنذر بن الجموح بن زيد بن حرام شهد المشاهد كلها مع رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**. كان يقال له: ذو الرأي، وهو صاحب المشورة يوم بدر، أخذ المصطفى **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** برأيه، ونزل جبريل **عَلَيْهِ السَّلَامُ** فقال: الرأي ما قال الحباب.

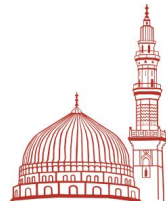
(٢) المطيري. الحرية والطوفان، ص ٢٨٤.

(٣) ابن الأثير. أسد الغابة، ج ٣، ص ٣٢٩.

(٤) حسن إبراهيم حسن وعلي إبراهيم حسن. النظم الإسلامية، ص ١٩، الطبعة الثالثة، ١٩٦٢م، مكتبة النهضة، القاهرة.

مُحَاضَرَاتٌ فِي

تَارِيخِ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ



أسباب نجاح الحوار داخل السقيفة:

يعود نجاح الحوار داخل السقيفة إلى أسباب عديدة منها:

١- خشية المجتمعين من وقوع الفتنة إن لم توجد قيادة متفق عليها.

وذلك من حرصهم على مستقبل الدعوة الإسلامية، واستعدادهم المستمر للتضحية في سبيلها.

٢- إن الحوار الذي دار في السقيفة قام على قاعدة الأمن النفسي السائد

بين الفريقين، حيث قدم المجتمعون نموذجًا مثاليًا للسلوك في المجال السياسي. فلا هرج ولا مرج، ولا تكذيب ولا مؤامرة ولا تخوين ولا نقض للاتفاق، بل تسليم للنصوص الشرعية التي تحكمهم.

٣- حرص المشاورون في السقيفة على تأكيد حرية الرأي.

٤- إن الحوار لم يتم على أساس عشائري قبلي، وكان يدور حول من هو

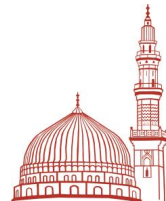
الأحق بالخلافة هل هم الأنصار الذين آووا ونصروا؟ أو المهاجرون السابقين في الإسلام.

وهكذا انتهى الأمر بين المجتمعين إلى إسناد أمر الخلافة للصدِّيق

رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فقد سأل عمرو بن حريث رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (١) سعيد بن زيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال:

(١) هو عمرو بن عثمان المخزومي، له صحبة ورواية، وكان من بقايا أصحاب رسول

الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذين نزلوا الكوفة.



«هل خالف أحد أبا بكر؟ قال سعيد: لا، لم يخالفه إلا مرتد أو كاد أن يرتد، وقد أنقذ الله الأنصار، فجمعهم عليه وبايعوه. قال: هل قعد أحد من المهاجرين عن بيعته؟ قال سعيد: لا. لقد تتابع المهاجرون على بيعته من غير أن يدعواهم»^(١).

﴿ أسباب اختيار المتحاورين لأبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ﴾

اختيار الجميع للصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هذا يقودنا إلى الحديث عن مكانة أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وتقديم المهاجرين والأنصار له للأسباب الآتية:

١- لما يتمتع به من مكانة عالية يقر له الجميع بها، فكانت مكانته

معلومة للجميع وقبوله من كل الأنصار والمهاجرين لحب النبي

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له، وقربه منه، وأسبقته في الإسلام^(٢).

٢- نظر المسلمون إلى أعظم أركان الدين فوجدوها الصلاة، وأن

الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين مرض ولاه إقامتها فرضي المسلمون ما

رضي لهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فبايعوه واتخذوا من إمامته

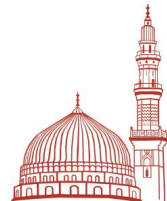
للصلاة حجة للإمامة الكبرى.

٣- مساعدة عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وسرعة تحركه ساعده كثيراً،

حيث قام بالحركة الأولى للاعتراف به وبأحقته في الخلافة، فكانت

(١) الطبري. تاريخ الطبري، ج٢، ص ٢٠٧.

(٢) الريس. النظريات السياسية الإسلامية، ص ٤٠.



السرعة في التحرك وفي الاختيار من الأسباب التي أدت إلى نجاحه.
٤- اجتمعت فيه شروط السن والسبق للإسلام والصحة، ومكانته بين الصحابة.

كل هذه الأسباب جعلت الصحابة يجمعون على استخلاف أبي بكر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** والبيعة له.

استشعار الصحابة المجتمعين لأهمية الشورى:

كان اختيار أبو بكر الصديق **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** في السقيفة إقراراً لمبدأ الشورى في الإسلام، فقد انعقدت البيعة له بعد مشاورات بين فضلاء المهاجرين والأنصار. وقد ظهرت في هذا الاجتماع آراء كثيرة لم تزد عن كونها ثمرة للشورى التي حث عليها القرآن الكريم ومارسوها في حياة نبيهم الأمين وكانت أساساً صلباً لتأصيل الحوار في الأمة.

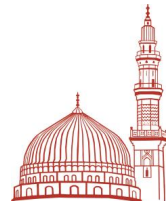
وتقرر في الاجتماع المبادئ التي جسدت الشورى في اختيار الخليفة وأبرزها:

١- أن أفضل وسيلة لاختيار الحاكم هي الشورى، فقد أكد المجتمعون أن أمر اختيار الخليفة متروك لإرادة المسلمين يقررون فيه ما يلائم مصالحهم. وهذا أول مبدأ دستوري تقرر بالإجماع بعد وفاة الرسول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**.

٢- إن نظام الحكم ودستور الدولة يقرر بالشورى الحرة، وتطبيقاً

مُحَاضِرَاتٌ فِي

تَارِيخَ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ



لنصوص الكتاب والسنة التي أوجبت الشورى. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (١).

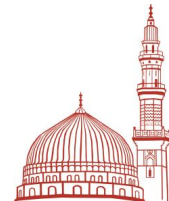
٣- إن الإسلام والإكراه لا يجتمعان، فأفراد الأمة أحرار في إبداء آرائهم لاختيار الحاكم ومشاركته في الحكم وتمتعون بالحرية السياسية في كل ذلك. فحرية الرأي مصونة بسياج منيع؛ ولذلك انتهى الأمر بينهم دون ضغط أو إكراه.

٤- أقر في الاجتماع مبدأ الترشيح. كما في قول الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «اختاروا أحد هذين الرجلين» (٢).

ويظهر أثر الإيمان والتربية النبوية بشكل واضح في اجتماع السقيفة وذلك من خلال تسليم المجتمعين للنصوص الشرعية، فقد تربي الصحابة المجتمعون في السقيفة في مجتمع الدعوة الأول الذي ينظر فيه الفرد إلى مصلحة الدعوة قبل أن ينظر إلى مصلحته الخاصة، وكان دافعهم الأول البحث عن الأفضل والأصلح للمسلمين، ولولا هذا الدافع وتلك التربية الأولى لاستلت السيوف، وأريق الدماء، فالأخوة حاضرة في السقيفة وتجلت في محبة الصحابة لبعضهم البعض، وحرصهم على مستقبل الدعوة، واستعدادهم المستمر للتضحية في سبيلها، والاهتمام بمصلحة الدين التي هي فوق كل شيء. فلم يكن الاجتماع أساسه الشره والطمع في الحكم وإنما

(١) سورة الشورى: ٣٨.

(٢) يعني عمر بن الخطاب وأبو عبيدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.



الرغبة في لم شمل الأمة وحمايتها من السقوط وإزالة أي سبب من أسباب الاختلاف والفرقة. وظهرت عظمة الإسلام وعظمة تلامذة النبوة في هذه اللحظات العصيبة، حيث حسمت أخطر قضية في الأمة الإسلامية يومئذ في جلسة قصيرة، وظهرت هذه العظمة والمؤمنون يمارسون إيمانهم كله في صورة رائعة تتمازج فيها الشورى وحرية الرأي والنصيحة وصدق الإيمان والسمع والطاعة، والبيعة والاعتصام على نحو فريد كريم، جمعته سقيفة بني ساعدة تحت ظلال الإيمان^(١).

﴿ أبرز الأحداث المهمة في خلافة أبو بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ﴾

١- حروب الردة (١١ - ١٣هـ / ٦٣٢ - ٦٣٤م).

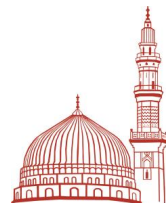
٢- جمع القرآن.

٣- بداية الفتوحات الإسلامية.

﴿ اختيار عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ﴾

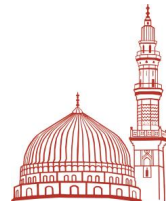
حرص أبو بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ على وحدة الأمة قبل وفاته، ورأى أن يجنب المسلمين فتنة التفرقة والخلاف من بعده، وهم أحوج ما يكونون إلى وحدة الكلمة والصف وبخاصة وأن الظروف السياسية كانت تدعو إلى سرعة

(١) ينظر: الشجاع. تاريخ صدر الإسلام، ص ٣٥١. والنحوي. ملامح الشورى في الدعوة الإسلامية، ص ١٧٧.



البت في أمر من يخلفه، حيث كان المسلمون يواجهون معارك في العراق والشام، وكان ماثلاً في ذهنه حرب الردة. كما أن التجربة الأولى قد علمتهم كيف يحافظون على مكونات الدولة ومقوماتها، فخشى **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أن تتفرق كلمة المسلمين في هذا الوقت العصيب. وأمام هذه الظروف جمع الصديق الناس واستشارهم في من يحبون أن يقوم بالأمر من بعده فقال لهم: «إنه قد نزل بي ما قد ترون، ولا أظنني إلا ميت لما بي. وقد أطلق الله أيما نكم من بيعتي، ورد عليكم أمركم، فأمروا عليكم من أحببتهم، فإنكم إن أمرتم في حياة مني، كان أجدر أن لا تختلفوا بعدي». فأمر الصديق **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** الصحابة بأن يتشاوروا لاختيار خليفة يرتضونه لهم، قائلاً لهم: «تشاوروا في هذا الأمر»^(١)، كما أنه لم يرد بأدي الأمر العهد إلى أحد من بعده، وإنما ترك ذلك للناس هم يولون من يريدون، ويختارون خليفتهم وفق الشورى. فتشاور أهل الرأي من الصحابة في يلي الأمر من بعده. وكان كل واحد منهم يحاول أن يدفع الأمر عن نفسه ويطلبه لأخيه؛ إذ يرى فيه الصلاح والأهلية، وبحثوا فلم يتفقوا على أحد، فرجعوا إليه وأشاروا عليه بأن يتولى ترشيح رجل منهم فقام بعدة إجراءات لتتم عملية اختيار الخليفة القادم حيث أدار الصديق عينيه في أصحابه يتخير منهم رجلاً لهذا المنصب، فوجد كثيراً من أصحاب النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** على ما يحب، غير أن عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** كان أفضلهم في نفسه، وأقربهم إلى الصفة

(١) الشهرستاني. نهاية الإقدام في علم الكلام، ص ١٦٨.

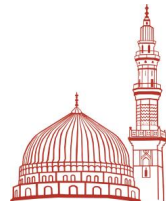


التي يجب أن يكون عليها خليفة المسلمين فلم يكن يسعه أن يعدل هذا الأمر عنه إلى غيره، فاستشار كبار الصحابة (أهل الحل والعقد) وفي مقدمتهم عثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وسعيد بن زيد، وأسيد بن حضير **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** وغيرهم.

فذكرت المصادر: أنه دعا عبد الرحمن بن عوف **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** منفردًا واستشاره فقال له هو والله أفضل من رأيك فيه. ثم استشار عثمان بن عفان **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** فقال عثمان: «اللهم علمي به أن سريرته خير من علانيته وأنه ليس فينا مثله». واستشار عليًا وكان ممن رجح تولية الفاروق، وأول من صرح بقبول ولايته. كما شاور أيضًا أسيد بن حضير. فقال: «اللهم أعلمه الخير بعدك يرضى للرضا، ويسخط للسخط، الذي يسر خير من الذي يعلن، ولن يلي هذا الأمر أحد أقوى عليه منه». كما استشار كبار المهاجرين والأنصار وكلهم تقريبًا كانوا على رأي واحد في عمر وأثنوا عليه، وهكذا سأل الصديق خيرة أصحابه فأجمعوا على تزكية عمر وتصويبه في ترشيحه له.

وتشير المصادر^(١). أن أهل الشورى قد أجمعوا على من أختاره الصديق **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، وأعلن أهل الحل والعقد قبولهم بعمر بن الخطاب **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** مرشح أبي بكر لهذا المنصب.

(١) الطبري. تاريخ الطبري، ج٣، ص ٤٢٨. والذهبي. تاريخ الإسلام، ج٣، ص ١١٦. وابن الأثير. الكامل في التاريخ، ج٢، ص ٢٧٢.

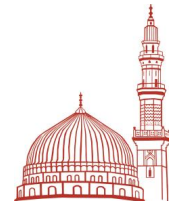


ومما يدل على موافقة أهل لحل والعقد لما ذهب إليه الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ما روي (١) أن أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أشرف على الناس من كوة وقال: يا أيها الناس إني قد عهدت عهداً أفترضون به؟ قال الناس: رضينا يا خليفة رسول الله، فقال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لا نرضى إلا أن يكون عمر، قال: فإنه عمر. فلم يتم ترشيح الفاروق إلا بموافقة أهل الرأي وأصحاب الحق في الاختيار. كما لم يكتف الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بكل هذه الأسباب لتحقيق التوافق بين الأمة حول شخصية المرشح للخلافة، بل سعى لاختبار مدى طاعة الأمة له، عندما أشرف على الناس وأخفى عليهم اسم من اختاره، كما أخذ منهم تعهدات شفوية بالسمع والطاعة، ثم تجسيدها بالعهود المكتوبة.

اختيار عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

إن طريقة اختيار وتنصيب الخليفة الثالث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كانت تختلف عن الطريقتين اللتين اختير بهما كل من الخليفتين من قبله فقد أناط عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بأهل الشورى وحدهم اختيار الخليفة من بينهم وجعل الشورى في عدد محصور، فحدد ستة من صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلهم يصلحون لتولي الأمر، وهم عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وسعد بن أبي وقاص وعبدالرحمن بن عوف والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ،

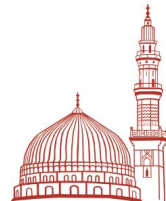
(١) السيوطي. تاريخ الخلفاء، ص ٨١. والمحجب الطبري. الرياض النضرة في مناقب العشرة، ج ١، ص ١٩٠.



وحدد لهم طريقة الاختيار ومدته، وعدد الأصوات الكافية لاختيار الخليفة وحدد المرجح إن تعادلت الأصوات، وفي هذه الطريقة جمع بين طريقة الرسول **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في ترك الاستخلاف وتفويض الأمر للمسلمين، وبين طريقة أبي بكر في الاستخلاف. فأخذ من فعل النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** طرفاً وهو ترك التعيين، ومن فعل أبي بكر **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** طرفاً وهو العهد لأحد الستة وإن لم ينص عليه فهي طريقة جامعة بين العهد والاختيار.

قال البخاري^(١): «لما فرغ من دفن عمر بن الخطاب **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** اجتمع هؤلاء الرهط فقال عبد الرحمن بن عوف **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**: اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم. فقال الزبير بن العوام **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**: قد جعلت أمري إلى علي **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**. فقال طلحة بن عبيدالله **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**: قد جعلت أمري إلى عثمان **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**. قال سعد بن ابى وقاص **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**: قد جعلت أمري إلى عبد الرحمن بن عوف **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**، فقال عبد الرحمن: أيكما تبرأ من هذا الأمر فنجعله إليه والله عليه والإسلام لينظرن أفضلهم في نفسه، فسكت الشيخان، فقال عبد الرحمن **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**: أفتجعلونه إليه والله علي أن لا آلو عن أفضلكم؟ قالوا: نعم، فأخذ بيد أحدهما فقال: لك قرابة من رسول الله والقدم في الإسلام ما قد علمت فالله عليك لئن أمّرتك لتعدلن ولئن أمّرت عثمان لتسمعن ولتطيعن. ثم خلا بالآخر فقال له مثل ذلك، فلما أخذ الميثاق قال ارفع يدك أبايعك يا عثمان فبايعه، فبايعه علي وولج أهل الدار فبايعوه».

(١) صحيح البخاري ج ٥، ص ١٧.



﴿ اختيار علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴾

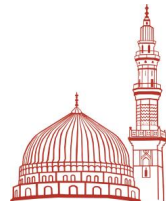
بويع لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالخلافة يوم مقتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقيل من الغد من قتله فبايعه جميع من كان بالمدينة من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

عن الزهري عن ابن المسيب قال: لما قتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جاء الناس كلهم إلى علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يهرعون أصحاب محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وغيرهم كلهم يقول: "أمير المؤمنين علي" حتى دخلوا عليه داره فقالوا: نبايعك فمد يدك فأنت أحق بها. فقال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ليس ذاك إليكم وإنما ذاك إلى أهل بدر فمن رضي به أهل بدر فهو خليفة. فأتاه أهل بدر فقالوا: أنت أحق بها، مد يدك نبايعك ولم يبق أحد إلا أتى عليا وقالوا: ما نرى أحدا أحق بها منك فمد يدك نبايعك، فقبل منهم مرعماً درءاً للفتنة وحفظاً لدماء المسلمين وحرصاً منه على وحدتهم وجمع كلمتهم وحل مشكلاتهم^(١).

﴿ تشابه طريقة اختيار الخليفة الراشدي الرابع مع اختيار الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (طريقة الاختيار): ﴾

إن اختيار أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تمت بطريقة الاختيار، وهذه الطريقة هي إحدى الطرق الشورية وهي كالتالي ثبت بها خلافة الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(١) الخالدي. الخلفاء الراشدون بين الاستخلاف والاستشهاد، ص ٢١٣.



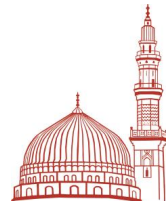
قال الحسن البصري **رَحْمَةُ اللَّهِ** (١): والله ما كانت بيعة علي **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** إلا كبيعة أبي بكر وعمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** (٢). فبعد حادثة استشهاد عثمان **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** لم يعهد لأحد بعده وبقي الناس دون إمام فاختر أهل الحل والعقد علي بن أبي طالب **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** وعقدوا له الإمامة بعد مشاورات ومناقشات طويلة، كما أن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ترك الصحابة دون خليفة فلم يعهد لأحد بعده في الخلافة ولم ينص فيها على أحد بعينه. كما أن كيفية اختيار علي **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** لم تختلف عن طريقة اختيار الصديق **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**. فالذي سبق إلى بيعة علي **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** رجلان هما: عمار بن ياسر، وسهل بن حنيف **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**، وهما صحابيَّان فاضلان كبيران وعند البيعة للصديق ابتدأها عمر وأبو عبيدة في السقيفة. كما أن الدولة الإسلامية وضعها غير مستقر منذ أن تولى علي **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** الخلافة في العام الخامس والثلاثين للهجرة كما هو الحال عندما تولى الصديق **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** الخلافة حيث ارتدت الكثير من القبائل العربية عن

(١) الحسن بن يسار البصري: تابعي، كان إمام أهل البصرة، وحرر الأمة في زمنه. وهو أحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان النساك. ولد بالمدينة، وشبَّ في كنف علي بن أبي طالب **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** واستكتبه الربيع ابن زياد والي خراسان في عهد معاوية **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، وسكن البصرة. وعظمت هيئته في القلوب فكان يدخل على الولاة فيأمرهم وينهاهم.

(٢) ابن بطة. عبيد الله بن محمد العُكْبَرِي، الإبانة الكُبرى، ج٨، ص ٣١٨، تحقيق: حمد بن عبدالمحسن التويجري وآخرون، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، دار الراجعية للنشر والتوزيع، الرياض.

مُحَاضَرَاتٌ فِي

تَارِيخُ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ



الإسلام فابتدأ الصديق **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عهده بحروب الردة^(١).

❦ **اختيار الحسن بن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:**

لما استشهد الخليفة الرابع علي بن أبي طالب **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** ببيع بالخلافة بعده لابنه الحسن **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** وهو خير من قام على قيادة الأمة في هذه المرحلة. فقد قدر أن تكون خلافته مرحله هامة من مراحل الإسلام وتاريخه لما صاحبها من اجتماع كلمة المسلمين.

❦ **تنازل الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن الخلافة وانتهاء العهد الراشدي:**

يعتبر الحسن بن علي بن أبي طالب **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**^(٢) آخر الخلفاء الراشدين ورغم حياته القصيرة في هذا المنصب إلا أن أهم أحداث عهده عام الجماعة^(٣)

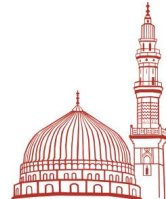
(١) الذهبي. تاريخ الإسلام، ج٣، ص ٢٧.

(٢) هو الحسن بن علي بن أبي طالب بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف ريحانة رسول الله وسبطه وسيد شباب أهل الجنة وهو آخر الخلفاء الراشدين، تولى الخلافة بعد مقتل أبيه فأقام فيها ستة أشهر وأياماً، ونزل لمعاوية بن أبي سفيان **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عن الخلافة في ربيع الآخر سنة إحدى وأربعين في شهر ربيع الأول توفي سنة خمسين.

(٣) ذكر المؤرخون أن سبب تسميته بعام الجماعة لأن الأمة خرجت من الفتنة بتوحيد وتجميع كلمتها، إذ توحدت راية المسلمين والتام الشمل وتجمع أصحاب الآراء ليصبخوا في ظل نظام واحد وقيادة واحدة واجتماع الناس على خليفة واحد وهو معاوية بن أبي سفيان **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

مُحَاضِرَاتُ فِي

تاريخ الحضارة العربية الإسلامية



وتنازله بالخلافة لمعاوية بن أبي سفيان **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**. وتنازل الحسن بن علي عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** تنتهي عهد الخلافة الراشدة. قال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «خِلَافَةُ النَّبِيِّ ثَلَاثُونَ سَنَةً ثُمَّ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُلْكَ مَنْ يَشَاءُ - أَوْ مُلْكُهُ مِنْ يَشَاءُ»^(١).

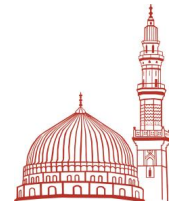
روي عن النعمان بن بشير **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أن رَسُولَ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال: «تَكُونُ النَّبِيُّ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ النَّبِيِّ فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَاصًا فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا جَبْرِيَّةً فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ النَّبِيِّ»^(٢). وقد تحقق هذا الحديث، فالنبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** توفي سنة ١١ هـ ومن بعده تولى الخلفاء الراشدون واستمرت الخلافة حتى تنازل الحسن **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عنها لمعاوية **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** سنة ٤١ هـ.

✽ الخلافة في العهد الأموي:

بعد أن انقضى عهد الخلفاء الراشدين حدثت تغيرات في نظام الخلافة فبدأت فترة الملك التي تبدأ من عهد معاوية **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** ومن بعده يزيد وباقي

(١) أبو داود. سنن أبي داود، ج٤، ص ٢١١.

(٢) أحمد بن حنبل. المسند، ج٣٠، ص ٣٥٥.



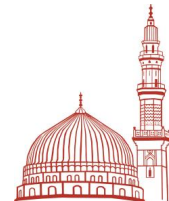
خلفاء الدولة الأموية وظهر التوارث في الحكم في فكرة ولاية العهد التي لجأ إليها معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي أثر هذه الفكرة مخافة الفتنة، ورغبة في سلامة الأمة، فكان يقول: إني لأمن عليكم الاختلاف وإني أرهب أن أدع أمة محمد بعدي كالضأن لا راعي لها وهذا هو حسن الظن بالخليفة معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بأنه لم يكن يرغب في توريث الحكم في أسرة واحدة، لأن تعيين خليفة من بعده، ومن أسرته كان يرى أنه لا يثور عليه نائر، وأنه ليس توارث أبدي.

وقد أحدث العهد ليزيد ثلثة في جسم نظام الخلافة حتى صار التوريث في الحكم كأنه جزء من الخلافة. فتحول نظام الحكم من الخلافة الشورية الى الملك . وبذلك حصل التغير الحقيقي في نظام الحكم الإسلامي، فأصبحت الحكومة ملكية بعد أن كانت خلافة راشدة، وظهر نظام التوريث وصار متبع في كل الدول الإسلامية وأستمر الحال الى سقوط آخر خلافة إسلامية - الخلافة العثمانية -.

شبهات حول الخلافة الأموية:

مما لاشك فيه أن التاريخ الإسلامي على وجه العموم، والتاريخ الأموي على وجه الخصوص، قد تعرض للتحامل، والنيل، والتجريح، من جانب بعض المستشرقين^(١) ومن جانب بعض الأخباريين الذين وضعوا الكثير من

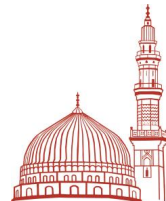
(١) أمثال: وات، وماكسيم ردوينسون، وماسينون، وبلاك، وبيكر، وبلاسيوس، وبرنارد لويس، وجولدزيهر، ومنجمري، وهور جرونجي، وفون كريمر، وفان فلوتن وجورجي زيدان.



الروايات التي تسيء إلى الأمويين. فحمل هؤلاء تلك الفترة أكثر مما تطيق، وجعلوها نواة كل فساد ظهر في تاريخ المسلمين بعدها، فتعرضت الدولة الأموية لحمولات ظالمة، حاولت إصاق كل تهمة بها، وسلب كل مزية لها، واتهم خلفاؤها بالاستبداد وسفك الدماء، غير أن الإنصاف يقتضي أنه كما كانت لهم مزايا عظيمة وأعمال جليلة فقد كانت لهم أخطاء كثيرة، لكنها ليست على النحو الذي يصوره هؤلاء الناقمون عليها. ومن أجل ذلك اختلف الباحثون في حكمهم على العهد الأموي بين مؤيد يعلي من مكانتهم ويرفعهم إلى فوق ما يستحقون، ومعارض لا يرى لهم أي فضل أو مكرمة، بل يرى في فترة حكمهم صفحة قاتمة في سجل التاريخ الإسلامي الحافل.

ودارس التاريخ الأموي عليه استعمال الميزان الشرعي الدقيق الذي ينزل الناس منازلهم التي يستحقونها بالإنصاف والعدل. فالتاريخ الأموي كان مزيجاً من المزايا والنواقص، والمحاسن والمساوئ، فقد شغلت الدولة الأموية في التاريخ الإسلامي إحدى وتسعين سنة ٤١ - ١٣٢ هـ، وامتدت حدودها من حدود الصين شرقاً إلى الأندلس غرباً، ومن بحر قزوين شمالاً إلى المحيط الهندي جنوباً، وعمل خلفاؤها في جد ومثابرة على نشر الإسلام في تلك الرقعة الكبيرة، ونمت الحضارة الإسلامية ونهضت في عهدهم^(١).

(١) سيد شحات رمضان. شبهات عن بني أمية، مكتبة الرشد، ١١٣ الرياض.

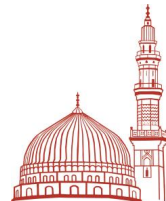


يقول ابن كثير **رَحْمَةُ اللَّهِ**: « كانت سوق الجهاد قائمة في بني أمية ليس لهم شغل إلا ذلك، قد علت كلمة الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها، وبرها وبحرها، وقد أذلوا الكفر وأهله، وامتلأت قلوب المشركين من المسلمين رعباً، لا يتوجه المسلمون إلى قطر من الأقطار إلا أخذوه، وكان في عساكرهم وجيوشهم في الغزو الصالحون والأولياء والعلماء من كبار التابعين، في كل جيش منهم شرذمة عظيمة ينصر الله بهم دينه»^(١).

ويقول محب الدين الخطيب **رَحْمَةُ اللَّهِ** حول الفتوحات زمن بني أمية: «ودخلت معظم الشعوب في هداية الإسلام على أيدي الخلفاء الأمويين وولاتهم وقادة جيوشهم وانتشرت الفتوحات حتى نودي بكلمة: الله أكبر حي على الفلاح، على جبال السند، وفي ربوع الهند، وفي أودية أوروبا وجبالها .. كل هذا في زمن بني أمية».

وهذه الأعمال تشهد للأمويين بدورهم البارز في التاريخ الإسلامي، وتخفف كثيراً من النقد الذي وجه إليهم، ومما يزيد المرء إعجاباً وتقديراً لإنجازهم أنهم قاموا بتلك الأعمال الجليلة، وهم يصارعون أعداء أشداء من تيارات وأحزاب سياسية ودينية، لم يتركوا فرصة للثورة عليهم إلا انتهزوها. والفترة التي حكم فيها الأمويين وقعت بين عصرين مهمين من تاريخ الدولة الإسلامية، اتسم أولها وهو عصر الخلفاء الراشدين - بالرسوخ الديني

(١) البداية والنهاية، ج٩، ص ٨٧.



والعدلين السياسي والاجتماعي، وتحقيق المساواة بين الناس، وحب انكار الذات، واتسم الآخر - وهو عصر الخلفاء العباسيين - بالتطور الحضاري، والذي جعل الدولة الإسلامية قوة عالمية سياسية وحضارية يشار إليها بالبنان. إضافة إلى أن معظم الكتابات التاريخية بدأت تقريباً تأخذ طريقها إلى النور في العهد العباسي، ولا بد بالطبع مسيطرة السلطة الحاكمة.

السّمات الهامة للخلافة الأموية:

يعد العهد الأموي استمراراً لعصر الخلافة الراشدة في السياسة العامة للدولة لفترة قيام الدولة الأموية تقع ضمن الدائرة الخيرية لهذه الأمة^(١) وأبرز جوانب الاستمرار والاتفاق بين العهد الراشدي والعهد الأموي ما يلي:

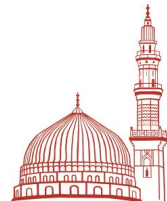
١- أن الراية الإسلامية هي المرفوعة، ويتم الفتح باسمها وفي ظلها، والتعامل مع القوى باسم الإسلام، لم ترفع راية أو أية دعوة أخرى مهما قيل عن بروز العصبية القبلية، إلا أنها لم تكن باسمها تدار الأمة، ولا يتقاضى الناس إلى القضاة بشرع غير شرع الله، ولا يحكم الولاية بأسس غير الإسلام، ولا تحدد العلاقات بين الدولة وغيرها إلا على أساس الإسلام. فلم يغير شرع الله ويستبدل بأي شرع، وإن حصلت بعض المخالفات فذنبها على أصحابها، ولم تكن يوماً ما منهجاً تتبناه الدولة وتسير عليه.

(١) قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم..."

ينظر: صحيح البخاري.

مُحَاضِرَاتُ فِي

تَارِيخِ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ



٢- مركزية الدولة وهذا أساس سياسي لم يتغير، ولكن كيفية التطبيق حصل فيها تعديل، وذلك للتغيير في العقلية التي تدير الدولة، وللظروف التي صاحبت قيامها.

٣- الارتكاز على استمرارية الفتوح ومعظمها في الشمال - بيزنطة والمغرب والأندلس.

جوانب الاختلاف بين العهد الراشدي والعهد الأموي:

أما جوانب الاختلاف بين العهد الراشدي والعهد الأموي فتتمثل في:

١- التوارث^(١) في تولي منصب الخلافة بحيث لا يخرج عن البيت الأموي.

٢- قيام حركات للمطالبة بالخلافة أو إلغاء الخلافة الأموية.

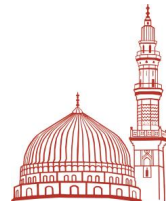
٣- قيام خلافتين في ان واحد وصار الصراع بينهما وهي خلافة أمير المؤمنين عبدالله بن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(٢) وخلافة مروان بن الحكم، ثم ابنه عبد الملك بن مروان لينتهي الصراع لصالح عبد الملك بن مروان

(١) إن تحول الخلافة الراشدة إلى ملك وراثي لم يكن تحولاً كاملاً عن شورى الراشدين أو ارتداداً عن أوامر الإسلام، فقد بقيت في العهد الأموي معاني الخلافة من تحري الدين ومذاهبه، والجري على مذاهب الحق.

(٢) هو عبد الله بن الزبير بن العوام أحد الأعلام، ولد حوارى رسول الله وابن عمته الزبير بن العوام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وأم عبد الله بن الزبير أسماء بنت أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. أول مولود ولد بعد الهجرة بالمدينة.

مُحَاضِرَاتُ فِي

تَارِيخُ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ



وتبقى الدولة الأموية قائمة حتى سقطت سنة ١٣٢ هـ على يد العباسيين.

﴿ فروع الخلافة الأموية: ﴾

وفروع الخلافة الأموية التي كانت فيها الشهرة والخلافة اثنان: فرع أمية (الفرع السفيناني)^(١) وفرع أبي العاص بن أمية (الفرع المرواني)^(٢) وكان من الفرع الأول ثلاثة خلفاء هم معاوية بن أبي سفيان **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** ويزيد بن معاوية ومعاوية بن يزيد (معاوية الثاني)، ومن الثاني عشرة أولهم مروان بن الحكم وآخرهم مروان بن محمد بن مروان.

﴿ مؤتمر الجابية ٦٤ هـ وانتقال الخلافة إلى الفرع المرواني من بني أمية: ﴾

بعد مداوات طويلة بين زعماء القبائل الموالية للأمويين عقد مؤتمر الجابية^(٣) بالقرب من دمشق، في شهر ذي القعدة سنة ٦٤ هـ، بويع فيه لمروان بن الحكم بالخلافة، باعتباره أكبر أبناء البيت الأموي سناً، وأكثرهم تجربة.

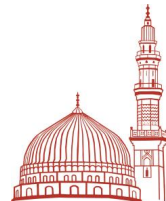
(١) السفينانيون: هم ثلاثة خلفاء أمويون ينتسبون إلى أبي سفيان صخر بن حرب **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** وقد استمرت خلافتهم نحو ٢٤ سنة.

(٢) المروانيون: هم الخلفاء الأمويون الذين ينتسبون إلى مروان بن الحكم واستمرت خلافتهم نحو ٦٧ سنة.

(٣) الجابية: منطقة تقع شمال بلدة الصنمين في سوريا، ولها تل يعرف بتل الجابية، وهي قريبة من الجولان. ينظر: معجم المعالم الجغرافية، لعاتق البلادي. ص ٧٧.

مُحَاضَرَاتٌ فِي

تَارِيخُ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ



وكان مؤتمر الجابية مؤتمراً تاريخياً يمكن أن يوصف بلغة السياسية بأنه كان مؤتمراً دستورياً وقد حضره أصحاب الشوكة والقوة والرأي من أهل الشام، قد دارت نقشات كثيرة، وكان العديد من زعماء القبائل وقادة بني أمية قد حضروا. ومن هؤلاء الزعماء حسان بن مالك بن بحدل الكلبي والحصين بن نمير السكوني، وروح بن زبناع، ومالك بن هبيرة وعبد الله بن مسعدة الفزاري، وعبد الله بن عضاة الأشعري، وغيرهم من الشخصيات المؤثرة والمعارضة لابن الزبير **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

من أهم قرارات مؤتمر الجابية ما يلي:

١- عدم مبايعة عبدالله بن الزبير **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

٢- استبعاد خالد بن يزيد من الخلافة.

٣- مبايعة مروان بن الحكم.

﴿ **بويع لمروان بن الحكم بإجماع الحاضرين في الاجتماع، وباتت الدولة الإسلامية الموحدة يتقاسمها خلفتان:**

الأولى: عليها عبد الله بن الزبير **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** وتضم الحجاز والعراق.

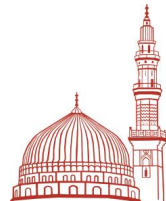
الثانية: مروان بن الحكم المنتخب من أهل الشوكة والقوة في عاصمة الخلافة.

﴿ **الخلافة في العهد العباسي:**

بعد نجاح الدعوة العباسية بالتغلب على الأمويين عام ١٣٢هـ - ٧٤٩م

مُحَاضِرَاتُ فِي

تاريخ الحضارة العربية الإسلامية



وإنهاء حكمهم قامت الخلافة العباسية في العراق متخذة من الكوفة حاضرة للخلافة إلى حين. وكانت خلافتهم وراثية، فبعد نصف قرن من الدعاية السرية، نودي بأبي العباس السفاح خليفة بعد وفاة أخيه إبراهيم بن محمد بن علي.

المشروع العباسي في المرحلة السرية:

يتكون المشروع العباسي في المرحلة السرية من قيادة حكيمة، وهيكل تنظيمي واضح المعالم، ومرجعية شرعية وتاريخية، ومبادئ قام عليها المشروع، وقدرة فائقة على التخطيط، وكان المشروع العباسي قد استهدف شرائح من المجتمع عانت من ظلم الأمويين مع الأخذ بالجانب الأمني والاهتمام بالبعد الاقتصادي والإعلامي.

أهم مبادئ المشروع العباسي والشرائح المستهدفة بالدعوة:

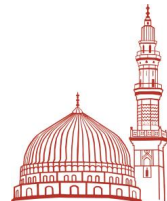
- من أهم مبادئ وشعارات الدعوة العباسية التي رفعتها ونادت بها:
- ١- الدعوة إلى الإصلاح: فمن شعارات الدعوة العباسية الإصلاح، أو الدعوة إلى الكتاب والسنة وهو شعار عام وهو أشمل شعارات الدعوة العباسية.
 - ٢- المساواة: وهو شعار ساهم في إنجاح الثورة العباسية.
 - ٣- الإمامة للرضي من آل محمد^(١): وهذا الشعار رضي عنه مجموعة

(١) الرضا من آل محمد: عبارة اتخذت شعارًا سياسيًا للدعوة العباسية، التي سعت لتسليم العباسيين الخلافة ودعوا الناس من خلاله إلى نصرتهم لاختيار خليفة من

=

مُحَاضَرَاتٌ فِي

تاريخ الحضارة العربية الإسلامية



كبيرة من الناس سواء من الشيعة أو السنة وهو أن المبايعة للرضى من آل محمد **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بدون تعيين اسم ولا تعيين هل هو من البيت العباسي أم من الطالبين^(١).

﴿ تنقسم الخلافة العباسية إلى مرحلتين (حسب اصطلاح أغلب المؤرخين):

المرحلة الأولى: العهد العباسي الأولى (١٣٢ - ٢٤٧هـ / ٧٤٩ - ٨٦١م): وهي مرحلة قوة وسيطرة الخلفاء، وقد حكم عشرة خلفاء في هذه المرحلة بدأ حكمهم من أبي العباس السفاح، وانتهى بعهد الواثق بن المعتصم. والعهد العباسي الأول هو العهد الذهبي للدولة العباسية، فقد استطاع أولئك الخلفاء تحقيق ثلاث منجزات كبرى، هي:

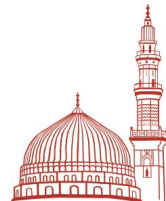
- ١- تأكيد قوة الخلافة العباسية، والقضاء على كل المحاولات التي كان هدفها النيل من تلك الخلافة وسلطانها.
- ٢- إقامة حكم إسلامي تحققت فيه المساواة بين جميع الشعوب الإسلامية.
- ٣- رعاية الحضارة الإسلامية فهم الذين أتاحوا لها الازدهار والانتشار.

آل بيت الرسول الكريم. هادفين من ذلك كسب الهاشميين والمسلمين الذين يتعاطفون مع هذا الشعار لتأييد دعوتهم.

(١) الطالبين: عنى بهم آل علي بن أبي طالب **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**.

مُحَاضِرَاتٌ فِي

تَارِيخِ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ



المرحلة الثانية: العهد العباسي الثاني (٢٤٧ - ٦٥٦ هـ / ٨٦١ - ١٢٥٨ م): وهي مرحلة الضعف حيث فقدت الدولة العباسية كل ما ملكته من المناطق ما عدا العراق فاستقلت دول كثيرة عن الخلافة العباسية منها الدولة السلجوقية والدولة الفاطمية والدولة البويهية والدولة الخوارزمية وغيرها من الدول. انتهى الحكم العباسي في بغداد عام ٦٥٦ هـ / ١٢٥ م بعد أن دمر المغول بغداد، وقتلوا آخر خليفة عباسي، فحكم العباسيون في الفترة (١٣٢ - ٦٥٦ هـ) أي ٥٢٤ عامًا.

مميزات الخلافة العباسية:

- ١- قام نظام الخلافة العباسية على نظام الوراثة.
- ٢- سار الخلفاء العباسيون في نظام ولاية العهد على نفس نهج الأمويين.
- ٣- امتاز نظام الحكم في العهد العباسي الأول بغلبة النزعة الاستبدادية، فالخليفة العباسي يملك السلطات كلها في يده.
- ٤- تأثرت الخلافة العباسية بمظاهر الحضارات السابقة في كثير من أمورها وخاصة الحضارة الفارسية.

إحياء الخلافة العباسية:

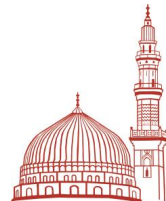
كان زوال الخلافة الإسلامية بدخول التتار بغداد وقتلهم الخليفة العباسي المستعصم^(١) وأولاده عام ٦٠٦ هـ وبزوال الخلافة الإسلامية من

(١) المستعصم: آخر خلفاء الدولة العباسية في العراق. ولد ببغداد، وولي الخلافة بعد وفاة أبيه سنة ٦٤٠ هـ والدولة في شيخوختها، لم يبق منها للخلفاء غير دار الملك

=

محاضرات في

تاريخ الحضارة العربية الإسلامية



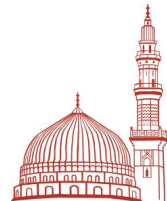
بغداد، ظل المسلمون متطلعين إلى من يشغل مقعد الخلافة "الشاغر"، حتى نجح الظاهر بيبرس^(١) في إحياء الخلافة العباسية في دورها الثاني، في مصر، فاستقدم أحد أعمام الخليفة المستعصم ممن نجوا من مذبحه بغداد، ونصبه خليفة في مصر، ففي سنة ٦٥٩ هـ خرج المستنصر بالله أحمد بن الظاهر^(٢) من معتقله ببغداد، ثم قدم على الظاهر بيبرس في مصر، وبعد ثبوت نسبه بايعه الملك الظاهر، والقاضي، والوزير، والأمراء، وخطب له على المنابر، وضرب اسمه على السكّة، ثم قلّد الظاهر بيبرس السلطة في السنة نفسها.

بغداد، اعتمد على وزيره مؤيد الدين ابن العلقميّ، فكتب ابن العلقميّ. قائدهم هولوكو يشير عليه باحتلال بغداد، ويعدّه بالإعانة على الخليفة، فزحف هولوكو سنة ٦٤٥ هـ وخرجت إليه عساكر المستعصم فلم تثبت طويلاً، ودخل هولوكو بغداد، فجمع له ابن العلقميّ ساداتها ومدرسيها وعلماءها فقتلهم عن آخرهم، وأبقى الخليفة حياً إلى أن دل على مواضع الأموال والدفائن، ثم قتله. ومدة خلافته ١٥ سنة و ٨ أشهر وأيام.

(١) الظاهر بيبرس: قائد مملوكي بارز، استولى على الحكم بعد قطز عقب معركة عين جالوت سنة ٦٥٨ هـ. له دور كبير في صد الخطر الصليبي، قام بعدة إصلاحات إدارية وعسكرية لتقوية الدولة. توفي سنة ٦٧٦ هـ.

(٢) هو أبو العباس أحمد بن الظاهر بأمر الله أبي نصر محمد بن الناصر لدين الله أبي العباس أحمد، بويع له بالخلافة بالديار المصرية في التاسع من شهر رجب سنة تسع وخمسين وستمائة.

مُحَاضِرَاتُ فِي



الدور الرمزي للخلافة العباسية:

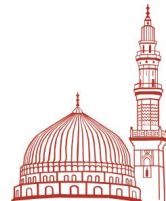
كان إحياء الخلافة العباسية في القاهرة سنة ٦٥٩ هـ - ١٢٦١ م بمثابة الحل السعيد الذي وجده السلطان الظاهر بيبرس لإضفاء الشرعية على دولته العسكرية التي قامت بدور هائل في تصفية الوجود الصليبي، وقد أثبتت الأحداث طوال عصر سلاطين المماليك أن الخلفاء العباسيين في القاهرة لم يكن لهم من الخلافة سوى اسمها، كما تحددت إقامة معظمهم بحيث كانت أقرب إلى الاعتقال.

ثانياً: نظام الوزارة:

تأتي الوزارة بعد الخلافة من حيث الأهمية، فلها مكانة عالية في الإسلام، ولذلك قال الطرطوشي (ت ٥٠٢ هـ / ١١٢٦ م): أشرف منازل الأدمين: النبوة، ثم الخلافة، ثم الوزارة. ولفظ الوزارة معروف عند العرب قبل الإسلام وهو نظام قديم عرفته الفرس وبنو إسرائيل وغيرها من الأمم، وليس من مستحدثات الإسلام بل هو أقدم عهداً من ذلك. وهذا اللفظ ورد في القرآن الكريم في أكثر من موضع منها قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْ لِي وَزِيْرًا مِّنْ أَهْلِ﴾ (١)، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيْرًا﴾ (٢). كما وردت في عدة مواضع من السنة النبوية مثل قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إذا أراد الله

(١) سورة طه: ٢٩.

(٢) سورة الفرقان: ٣٥.



بالأمير خيراً جعل له وزير صدق، إن نسي ذكره، وإن ذكر أعانه، وإذا أراد الله به غير ذلك، جعل له وزير سوء، إن نسي لم يذكره، وإن ذكر لم يعنه»^(١). وفي أقوال صحابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مثل قول أبي بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في السقيفة، في كلامه للأنصار رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ حيث قال: (نحن الأمراء وأنتم الوزراء).

تعريف الوزارة لغةً واصطلاحاً:

الوزارة لغةً مشتقة من:

- ١- الوزر (بفتح الواو والزاي) وهو الملجأ والمعتصم.
- ٢- الوزر (بكسر الواو) وهو الثقل لأن الوزير يحمل عن الخليفة أثقاله.
- ٣- الأزر وهو الظهر لأن الخليفة يقوى بوزيره كقوة البدن بالظهر، وهو بهذا المعنى تعني الوزارة المعاون.

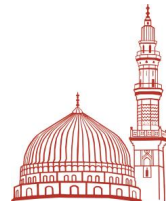
الوزارة اصطلاحاً:

عرفها ابن خلدون بأنها: «هي أم الخطط السلطانية والرتب الملوكية لأن اسمها يدل على مطلق الإعانة». والوزير حياً الملك الذي يحمل ثقله ويعينه برأيه وتدبيره.

صفات الوزير:

اشترط الفقهاء فيمن يقلدها شروط الإمامة نفسها، إلا النسب القرشي وحده. والسبب في استثناء شرط النسب هو اقتصار النصوص الواردة بشأنه

(١) ابن حبان. صحيح ابن حبان، ج ١٠، ص ٣٤٦.



على الإمامة وحدها.

كما يجب أن تتوافر بعض الصفات السلوكية والخلقية فيمن يتولى منصب الوزارة إضافة إلى تلك الشروط التي سبق لنا تفصيلها عند الحديث عن شروط الإمام أو الخليفة، فقد ذكر البعض أن الخليفة المأمون ابن هارون الرشيد كتب في مواصفات الوزير فقال: "إني التمسيت لأموري رجلاً جامعاً لخصال الخير، ذا عفة في خلائقه، واستقامة في طرائقه، قد هذبته الآداب، وحنكته الوقائع، وأحكمته التجارب، إن أوّمتن على الأسرار قام بها، وإن قلد مهمات الأمور نهض فيها، يسكته الحلم، وينطقه العلم، تكفيه اللحظة وتغنيه اللحمة، له صولة الأمراء، وأناة الحكماء" إلى غير ذلك.

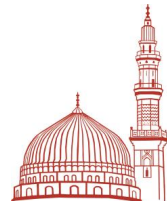
ويظهر مما ذكر أن منصب الوزارة لخطورته يجب أن يكون المتولي له على أعلى درجات الكفاءة والاستواء في شخصيته، فلا تكون عنده نقاط ضعفه ظاهرة لئلا يؤتى من قبلها فتفوت بذلك مصالح الأمة التي فوض بشأنها.

الوزارة في العهد النبوي:

كان الصحابة في عهد الرسول **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يعينونه في إدارة في شؤون الدولة المختلفة، وكانوا يقومون بمهام الوزراء وإن لم يتلقبوا بها. وقد أخرج الترمذي عن أبي سعيد الخدري **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** قال: قال رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «ما من نبي إلا وله وزيران من أهل السماء ووزيران من أهل الأرض، أما وزيراي من أهل السماء فجبريل وميكائيل، وأما وزيراي من

مُحَاضِرَاتٌ فِي

تَارِيخُ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ



أهل الأرض فأبو بكر وعمر»^(١).

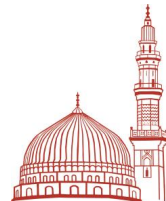
الوزارة في العهد الراشدي:

استمر الصحابة بعضهم عوناً لبعض في عهد الخلفاء الراشدين فقد كان عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وزير الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وعثمان وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وزير علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثم مروان بن الحكم ويزيري عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. ومن وزراء علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وخواص رجاله عبدالله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ والحسن بن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الوزارة في العهد الأموي:

لم تعرف الوزارة بشكلها الذي يعني معاونة الخليفة في تصريف وشؤون الدولة إلا في العهد الأموي، الذي كانت الدولة الإسلامية فيه تشكل رقعة كبيرة من العالم، حيث تحدها الصين شرقاً، وجبال البرانس "شمال إسبانيا" غرباً، فكان من البديهي أن يكون إلى جانب الخليفة من يساعده في تصريف شؤون الدولة، إذ ليس من المعقول أن يشرف الخليفة بنفسه على كل كبيرة وصغيرة، وكان عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وزياد بن أبيه وغيرهم وزراء معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ورواح بن زنباع الجذامي كان وزير عبدالملك بن مروان. كما اتخذ الأمويون المساعدين والوزراء كما كانوا يدعون أيضاً، فال المهلب والحجاج بن يوسف الثقفي كانوا من وزراء بني أمية.

(١) الترمذي. سنن الترمذي ج٦، ص ٥٧.



الوزارة في العهد العباسي:

تبلورت الوزارة في العهد العباسي فعرفت قواعدها، وتقررت مهماتها وسمي الوزير وزيراً وكان قبل ذلك يسمى كاتباً أو مشيراً، وقد عرفت الدولة العباسية نظام اللامركزية في نظام الوزارة، وذلك من خلال وجود وزراء في الأقاليم يتبعون لوالي الإقليم كما يتبع وزراء الدولة للخليفة.

وكان أول من لقب بالوزارة في الاسلام أبو سلمى الخلال^(١). وزير أبي العباس السفاح أول خلفاء بني العباس ولم يكن ذلك قبله، أي أنه أول من تولى الوزارة بعد تنظيم قواعدها، وتطورت الوزارة في، حيث أضيفت إليها الكتابة، أي كانت وظيفة تابع للوزارة فالكاتب تبع الوزير، وقد يرقى الكاتب إلى رتبة وزير. وكان أبو أيوب المورياني وزير المنصور ثم أبو الفضل ربيع بن يونس، وفي أيام محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور ظهرت أبهة الوزارة بسبب كفاءة وزيره أبي معاوية بن يسار، وفي أيام الرشيد كان وزيره يحيى بن خالد البرمكي^(٢)، وأيام المأمون الفضل بن

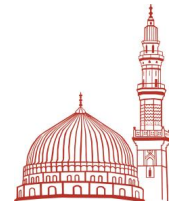
(١) حفص بن سليمان الهمداني الخلال، أبو سلمة: أول من لقب بالوزارة في الإسلام. كانت إقامته قبل ذلك في الكوفة، وأنفق أموالاً كثيرة في سبيل الدعوة العباسية. وكان يفد إلى الحميمة - في أرض الشراة - فيحمل كتب إبراهيم الإمام ابن محمد، إلى النقباء في خراسان.

(٢) هو يحيى بن خالد بن برمك الوزير الكبير، أبو علي الفارسي، من رجال الدهر حزمًا ورأيًا، وسياسة وعقلًا، وحذقًا بالتصرف، ضمه المهدي إلى ابنه الرشيد

=

مُحاضرات في

تاريخ الحضارة العربية الإسلامية



سهل^(١) ومن بعده الحسن بن سهل^(٢) استوزره المأمون بعد أخيه الفضل.

نوعا الوزارة:

انقسمت الوزارة وفقاً لما أورده فقهاء المسلمين إلى نوعين هما: وزارة التفويض، ووزارة التنفيذ، وظهر التمييز جلياً بين هذين النوعين في العهد العباسي بوجه خاص.

النوع الأول: وزارة التفويض: هي أن يستوزر الإمام من يفوض إليه تدبير الأمور برأيه، وإمضاءها على اجتهاده. فهي تشبه رئاسة الوزارة اليوم. وهذا أخطر منصب بعد الخلافة، إذ يملك الوزير المفوض كل اختصاصات الخليفة كتعيين الحكام والنظر في المظالم وقيادة الجيش وتعيين القائد وتنفيذ الأمور التي يراها.

ويحظر على وزير التفويض ثلاثة أشياء:

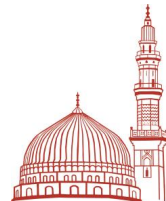
كل ما صحح من الإمام صحح من الوزير إلا ثلاثة أمور هي:

١- ولاية العهد: فإن للإمام أن يعهد إلى من يرى، وليس ذلك للوزير.

ليربيّه ويثقفه، ويعرّفه الأمور، فلما استخلف رفع قدره، ونوّه باسمه، وصير أولاده ملوكاً، وبالغ في تعظيمهم إلى الغاية مدة، مات سنة تسعين ومائة في سجن الرقة. (١) وزير المأمون وصاحب تدبيره. اتصل به في صباه كان يلقب بذي الرياستين (الحرب والسياسة).

(٢) الحسن بن سهل بن عبد الله السرخسي، أبو محمد: وزير المأمون العباسي، وأحد كبار القادة والولاة في عصره. اشتهر بالذكاء المفرط، والأدب والفصاحة وحسن التوقعات، والكرم.

مُحَاضِرَاتٌ فِي



٢- للإمام أن يستعفي الأمة من الإمامة، وليس ذلك للوزير.

٣- للإمام أن يعزل من قلده الوزير، وليس للوزير أن يعزل من قلده الإمام.

وما عدا هذه الثلاثة تنفذ كل تصرفاته بمقتضى التفويض.

وأما كيفية تنسيق أو تحديد العلاقة بين الإمام ووزير التفويض، فهي ما يأتي:

١- يطالب وزير التفويض بمطالعة الإمام لما أمضاه من تدبير وأنفذه من ولاية وتقليد، لئلا يصبح باستبداده كالإمام.

٢- يتصفح الخليفة أفعال الوزير وتدبيره الأمور، ليقر منها ما وافق الصواب، ويستدرك ما خالفه؛ لأن تدبير الأمة موكل إليه، ومحمول على اجتهاده.

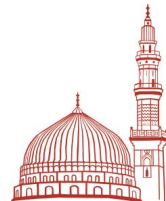
النوع الثاني: وزارة التنفيذ: هي أقل مرتبة من وزارة التفويض؛ لأن الوزير فيها ينفذ رأي الإمام وتدبيره، وهو وسط بينه وبين الرعايا والولاية، يؤدي عنه أو امره، وينفذ آراءه، ويمضي أحكامه، ويبلغ من قلدهم الولاية أو تجهيز الجيوش، ويعرض عليه ما ورد منهم، وهو محدد الاختصاص بأمرين:

١- أن يؤدي إلى الخليفة ما يبلغه من قضايا.

٢- أن يؤدي إليه أوامر الخليفة لتنفيذها.

مُحَاضَرَاتٌ فِي

تَارِيخُ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ



اختصاصات وزير التفويض:

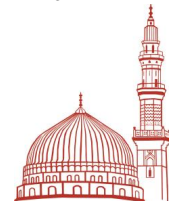
القاعدة العامة أن سلطة وزير التفويض مطلقة فله ما لرئيس الدولة أو الإمام من الصلاحيات، فله أن يقلد الولاية ويعزلهم، وله أن يتولى قيادة الجيش أو ولاية الجهاد، وله أن يستنوب عنه من يشاء، وله أن يقوم بتنفيذ الأمور التي يدبرها، وله أن يقضي بين الناس وينظر في المظالم، فكل هذه الأمور تجوز من وزير التفويض كما تجوز من الإمام.

الشروط المطلوبة في وزير التنفيذ سبعة:

- ١- الأمانة: يشترط فيه أن يكون أميناً حتى لا يخون فيما قد أوّتمن عليه، ولا يغشّ فيما قد استنصح فيه.
- ٢- صدق اللهجة حتى يوثق بخبره فيما يؤديه ويعمل على قوله فيما ينهيه.
- ٣- قلة الطمع؛ حتى لا يرتشي فيما يلي، ولا ينخدع فيتساهل.
- ٤- أن يسلم فيما بينه وبين الناس من عداوة وشحناء، فإن العداوة تصدّ عن التناصف وتمنع من التعاطف.
- ٥- أن يكون ذكوراً يعني: أن يكون متذكراً وفاهماً لما يؤديه إلى الخليفة وعنه؛ لأنه شاهد له وشاهد عليه.
- ٦- الذكاء والفتنة حتى لا تدلس عليه الأمور فتشبهه ولا تموه عليه فتلتبس.
- ٧- ألا يكون من أهل الأهواء.

مُحَاضَرَاتٌ فِي

تَارِيخُ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ



٨- الحنكة والتجربة التي تؤدي إلى صحة الرأي وصواب التدبير.

الفرق بين الوزارتين:

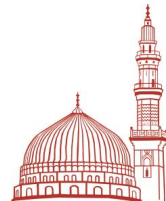
ذكر الماوردي فروقاً ثمانية بين الوزارتين، أربعة منها تتعلق بالشروط، والأربعة الأخرى بالصلاحيات.

أما الفروق العائدة للشروط والمؤهلات فهي:

- ١- الحرية: مطلوبة في وزارة التفويض، وغير مطلوبة في وزارة التنفيذ.
 - ٢- الإسلام: مطلوب في وزارة التفويض، دون التنفيذ.
 - ٣- العلم بالأحكام الشرعية (الاجتهاد): مطلوب في وزارة التفويض لا التنفيذ.
 - ٤- المعرفة بشؤون الحرب والاقتصاد كالخراج: مطلوبة في وزارة التفويض لا التنفيذ.
- الفرق بين وزير التفويض ووزير التنفيذ في الصلاحيات في وجوه أربعة:
- ١- فوزير التفويض يباشر الحكم وينظر في المظالم، وليس ذلك لوزير التنفيذ.
 - ٢- ولوزير التفويض الاستقلال في تقليد الوزراء، وليس ذلك لوزير التنفيذ.
 - ٣- ويقوم وزير التفويض بمهمة تسيير الجيوش وتدبير الحروب، دون وزير التنفيذ.

مُحَاضَرَاتٌ فِي

تاريخ الحضارة العربية الإسلامية



٤- ويتصرف وزير التفويض في أموال الدولة العامة بقبض المستحق ودفع الواجب دون وزير التنفيذ.

ثالثاً: الحجابة:

الحاجب (١):

هو الموظف المختص بحجب الحاكم عن العامة وحدهم أو عن الخاصة أحياناً، أي أنه حلقة اتصال بين الحاكم ومن يريد لقاءه. وقالوا: لسان الملك كاتبه، ووجهه حاجبه، وجليسه كلّه، وقالوا: إذا وليت عملاً فانظر حاجبك، فإنما يقضي عليك الوفود قبل الوصول إليك بحاجبك.

الحجابة في عهد النبوة:

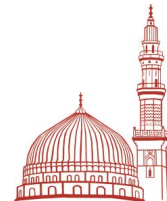
في الصحيح عن أنس بن مالك قال: مرّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بامرأة تبكي عند قبر فقال: «اتقي الله واصبري»، قالت: إليك عني فإنك لم تصب بمصيبتي ولم تعرفه ف قيل لها: إنه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأنت باب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلم تجد عنده بوابين فقالت: لم أعرفك فقال: إنما الصبر عند الصدمة الأولى» (٢). وفي رواية، فلم تجد عنده بوابين، وفائدة هذه الجملة أنه لما قيل لها: إنه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ استشعرت خوفاً وهيبَةً في نفسها، فتصورت

(١) عرفت الحجابة في مكة قبل الإسلام، وكانت تعني حراسة الكعبة وحفظ مفتاحها.

(٢) البخاري. صحيح البخاري، ج٢، ص ٧٩.

مُحَاضِرَاتٌ فِي

تَارِيخُ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ



أنه كالمملوك، له حاجب وبواب، يمنع الناس من الوصول إليه، فوجدت الأمر بخلاف ما تصورته.

الحجابه في عهد الخلفاء الراشدين:

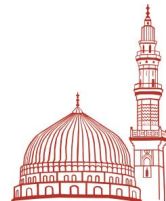
لم تعرف الحجابه في عصر الخلفاء الراشدين لأن الخليفة والوالي والأمير كان يلقي الناس ويلقونه في داره او في المسجد او في الطريق فيعرضون عليه شكواهم وآرائهم ولا يحول بينهم وبينه أحد فلا حجابه ولا حاجب. فلم يؤثر عن أحد منهم استعماله لوظيفة الحاجب، فلم يمنعوا أحد من الدخول عليهم بل كانوا يخاطبون الناس على اختلافهم بلا حاجب، وهو ما يؤكده ابن خلدون بقوله: "وأما مدافعة ذوي الحاجات عن أبوابهم (أبواب الخلفاء الراشدين) فكان محظورا بالشرية فلم يفعلوه".

وقد ذكر القضاعي في تاريخ الخلائف ما يقتضي أن الخلفاء الراشدين لا تزال تتخذ الحجاب من لدن الصديق **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** فمن بعده، فسمى شديداً وشريف مولى أبي بكر كان حاجبه، ويرفاً حاجب عمر بن الخطاب **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، وحرمان مولى عثمان **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** وكان حاجبه أيضاً نائل مولاه، وحاجب علي **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قنبر، وكان قبله بشر مولاه أيضاً.

الحجابه في العهد الأموي:

بعد حادثة الاغتيال التي تعرض لها علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** من قبل الخوارج وكادت أن تؤدي بحياة الثاني منهم اتخذ معاوية بن أبي سفيان **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** الحاجب يحجبه عن العامة

مُحَاضَرَاتٌ فِي



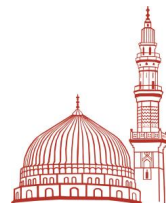
محافظة على حياته، وسار على منواله من جاء من بعده من الخلفاء خشية أن يصيبهم ما أصابه، وكذلك لتلافي ازدحام الناس على أبوابهم وإشغالهم عن النظر في مهام الدولة، فاتخذوا من يقوم بتنظيم أمر الدخول على الخليفة وقت ذلك وسموه الحاجب.

يقول ابن خلدون لما انقلبت الخلافة إلى الملك وجاءت رسوم السلطان وألقابه كان أول شيء بدئ به في الدولة شأن الباب وسدّه دون الجمهور بما كانوا يخشون عن أنفسهم من اغتيال الخوارج وغيرهم كما وقع بعمر وعليّ ومعاوية وعمر بن العاص **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** وغيرهم مع ما في فتحه من ازدحام الناس عليهم وشغلهم بهم عن المهمّات فاتخذوا من يقوم لهم بذلك وسمّوه الحاجب.

كان الحاجب يشغل منصباً رفيعاً في العهد الأموي لأنه كان مخصوصاً بحجب السلطان (الخليفة) عن العامة ويغلق بابه دونهم ويفتحه على قدره في مواعيته وليس في كل الأوقات وقد جاء أن عبد الملك لما وليّ حاجبه قال له «قد وليتك حجابة بابي إلا عن ثلاثة المؤذّن للصلاة فإنّه داعي الله وصاحب البريد فأمر ما جاء به وصاحب الطّعام لئلا يفسد». وكان الخلفاء يحرصون على اختيار هذا المنصب من أفضل رجالهم لأهمية عملهم، فترى الخليفة عبد الملك يوصي أخاه عبد العزيز حين عينه والياً على مصر يقول له: وانظر حاجبك، وليكن من خير أهلك، فإنه وجهك ولسانك، ولا يقفن أحد ببابك إلا أعلمك مكانه، لتعلم أنت الذي تآذن له أو ترده.

مُحَاضَرَاتٌ فِي

تاريخ الحضارة العربية الإسلامية



الحجابه في العهد العباسي:

بلغت الحجابه في العهد العباسي مكاناً رفيعاً توازي مكانة الازدهار والترف الذي أصاب الخلافة والدولة فأخذ الخلفاء يعينون حاجباً آخر أخص من الأول وهذا الحاجب الثاني يفضي إلى مجالس الخاصة من العلماء والأعيان ويحجب دونهم من سواهم من العامة وصار بباب الخليفة داران: دار الخاصة ودار العامة يقابل كل فئة من مكان معين وفقاً لما يراه الحاجب، وكان الخلفاء يستشيرونه في كثير من مهام الخلافة مما جعله في بعض الأحيان يستبد بالنفوذ دون الوزير، ويلزم أصحاب الدواوين بالرجوع إليه في كل الأمور، ومن هولاء الفضل بن الربيع وابتاخ اللذان استبدان بالأمر دون الوزراء.

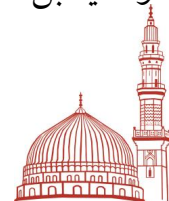
رابعاً: الكتابة:

جاء الإسلام والكتابة عند العرب ليست بالشيء المتداول ولقلقة انتشار الكتابة وانحصارها في أفراد قليلين يسهل أن نعبر عن الأمة العربية بأنها أمة أمية أي لا تقرأ ولا تكتب.

الكتابة في العهد النبوي:

ظهرت الكتابة منذ قيام الدولة الإسلامية في المدينة المنورة على يد الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقد روي أنه له أكثر من ثلاثين كاتباً، وقيل ثلاثة وأربعين كاتباً، منهم عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وسعيد بن العاص، وزيد بن ثابت، وأبي بن كعب رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وغيرهم.

محاضرات في



وتنوعت اختصاصاتهم، وصدق عليهم وصف ديوان الإنشاء النبوي لأنهم ذكروا أن الذين كانوا يكتبون للنبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** منهم من غلب عليه كتابة الوحي، مثل زيد بن ثابت وأبي بن كعب ومنهم من كتب إلى الملوك مثل عبد الله بن الأرقم الزهري **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**، ومنهم من كان يكتب الأقطاع ومنهم من كان يكتب للبوادي ومنهم من كان يكتب العهود والصلح، كما كان بعضهم يكتب له حوائجه، فقد اختص علي بن أبي طالب **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** بكتابة العهود، والزيبر بن العوام **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** وجهيم بن الصلت **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** بكتابة أموال الصدقات، وحذيفة بن اليمان **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** بكتابة المدائن والمعاملات مع المغيرة بن شعبة والحسين بن نمير **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**.

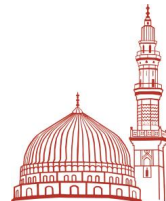
وقد صرح الخطيب البغدادي^(١) أن حذيفة بن اليمان **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** كان صاحب سر رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**. وقال ابن الأثير^(٢): حذيفة صاحب سر رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في المنافقين، لم يعلمهم أحد إلا حذيفة، أعلمه بهم رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**.

الكتابة في عهد الخلفاء الراشدين:

استعان الخلفاء الراشدين بعدد من الموظفين الذين تولوا أعمال الكتابة والأشراف على بيوت الأموال ودواوين الدولة الثلاثة -ديوان الجباية

(١) في كتابه تاريخ بغداد، ج١، ص ٥٥.

(٢) أسد الغابة، ج١، ص ٧٠٦.



والخراج وديوان الجند وديوان العطاء. - فاتخذ الخليفة الأول أبو بكر الصديق **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عثمان بن عفان **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** كاتبًا له، وهو الذي كتب عهد أبي بكر إلى عمر بالخلافة، وفي عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** اتخذ كل من زيد بن ثابت وعبدالله بن الأرقم كاتبين له، كما اتخذ عثمان بن عفان **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** مروان بن الحكم كاتبًا له، وكان عبد الملك يكتب له على ديوان المدينة، وأبو جبيرة الأنصاري على ديوان الكوفة، وكان أبو غطفان ابن عوف بن سعد بن دينار يكتب له، وكان يكتب له أهيب مولاه، وحرمان مولاه.

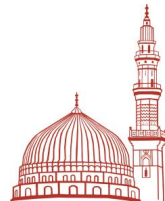
وفي عهد الخليفة الرابع علي بن أبي طالب **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** اتخذ عبدالله بن رافع **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** كاتبًا له وسعيد بن نمران الهمداني، وكان يكتب له عبد الله بن مسعود **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، وروي أن عبد الله بن جبير **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** كتب له.

الكتابة في العهد الأموي:

في عصر الدولة الأموية اتسعت الكتابة وتعددت مصالحها فازداد عدد الكتاب، وتعددت وفقًا لذلك تخصصاتهم فصاروا خمسة كتاب هم:

- ١- كاتب الرسائل: وهو الذي يخاطب الملوك والأمراء والعمال.
- ٢- كاتب الخراج: الذي يدون حساب الخراج داخله وخارجه.
- ٣- كاتب الجند: ويختص بكتابة أسماء الجنود وأعطياتهم ونفقات الأسلحة وغير ذلك.
- ٤- كاتب الشرطة: واختصاصه كتابة التقارير عما يقع من أحوال القادة والديات وغيرها.

مُحَاضَرَاتٌ فِي



٥- كاتب القاضي: ويكتب الشروط والأحكام.

وعلى الرغم من حرص الأمويين على تقديم الأقربين لشغل هذه الوظيفة، فقد روعي اختيار الثقات والأكفاء بسبب خطورة هذا المنصب، ومدى ما يتعلق به من خطط الدولة وأسرارها، فكاتب الرسائل هو المطلع على أسرار الدولة ويسمى كاتب السر وهو يد الخليفة ومستودع سره، ولخطورة هذا المنصب لا يولونه إلا لأمرائهم وخاصتهم. وكان يكتب لمعاوية **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** على الرسائل عبيد بن أوس الغساني. وكان يكتب له على ديوان الخراج سرجون بن منصور الرومي، وكتب لعبد الملك بن مروان قبيصة بن ذؤيب بن حلحلة الخزاعي وكان يكتب للوليد الققعاع بن خالد أو خليلد العبسي.

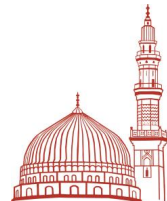
الكتابة في العهد العباسي:

في العهد العباسي ازدادت أهمية الكتابة والكتاب نظراً لرقى الدولة وتطور مرافقها ومؤسساتها المختلفة حتى إن الكاتب أحياناً كان ينفرد بالأمر دون الخليفة فيصدر السجلات ويكتب في آخرها اسمه ويختم عليها بخاتم الخليفة، ثم صارت الكتابة إلى بعض وزرائهم فكان الوزير يجلس بين يدي الخليفة في مجالس حكمه.

وزخر العهد العباسي الأول بطائفة من الكتاب المتميزين من أشهرهم: الربيع بن يونس، ويحيى بن خالد البرمكي، وابنه الفضل وجعفر، والفضل بن الربيع وأحمد بن يوسف والحسن بن وهب وغيرهم.

مُحَاضَرَاتٌ فِي

تاريخ الحضارة العربية الإسلامية





الوحدة الثالثة:
النظام الإداري
في الحضارة الإسلامية

مُحَاضِرَاتٌ فِي

تَارِيخِ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ



الوحدة الثالثة:

النظام الإداري في الحضارة الإسلامية



يعتبر النظام الإداري للدولة الإسلامية صورة صادقة للفكر السياسي في الحضارة الإسلامية وهو أول الهيئات التنفيذية لجميع ما ينبثق عن السلطة السياسية من تخطيط ومشاريع، وتطوره عند المسلمين، والأداة الفعالة التي صاحبت بناء هذه الدولة منذ فجر تاريخها.

أولاً: الإمارة:

أقسام الولايات في الإسلام:

قسّم الفقهاء الولاية أو الإمارة إلى قسمين:

القسم الأول: الإمارة الخاصة:

ومقصود دور الأمير فيها على تدبير الجيش وسياسة الرعية وليس له أن يتعرض للقضاء والأحكام وجباية الخراج والصدقات.

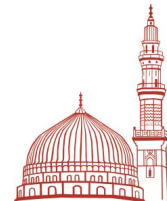
القسم الثاني: الإمارة العامة:

وهي التي تختص بجميع الأمور المتعلقة بالإقليم سواء فيما يتعلق بالأمن وحاجات الدفاع، أم بالقضاء وشؤون المال، وهي نوعان:

١- إمارة الاستكفاء: وهي التي يعقدها الإمام لشخص كفاء عن رضا واختيار. بأن يفوض إليه الخليفة إمارة بلد أو إقليم ولاية على جميع

محاضرات في

تاريخ الحضارة العربية الإسلامية



أهله، ونظرًا في المعهود من سائر أعماله، فيصير عام النظر فيما كان محدودًا من عمل.

٢- إمارة الاستيلاء: وهي التي تعقد عن اضطرار بأن يستولي شخص على السلطة، كما حدث في العهد العباسي الثاني عصر الدويلات، فيقره الخليفة على إمارتها، ويفوض إليه تدبير أمورها وسياستها. ولكن يحتفظ الخليفة بما يتعلق بالدين، فيكون الأمير، كما قال الماوردي باستيلائه مستبدًا بالسياسة والتدبير، والخليفة بإذنه منفذًا لأحكام الدين، ليخرج من الفساد إلى الصحة ومن الحظر إلى الإباحة.

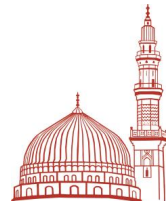
انتشرت إمارة الاستيلاء منذ النصف الثاني من القرن الثالث الهجري، حيث وجدت الدويلات في المشرق والمغرب، كالدولة البويهية والسامانية^(١) والغزنوية والسلجوقية في الشرق، والطولونية والإخشيديّة والأغلبية في الغرب.

الفرق بين إمارتي الاستكفاء والاستيلاء:

هناك أربعة فروق بين إمارتي الاستكفاء والاستيلاء وهي:

١- إن إمارة الاستكفاء تتم بعقد وتراضٍ واختيار بين الخليفة والمستكفي. أما إمارة الاستيلاء فتعقد عن اضطرار.

(١) السامانيون نسبة إلى سامان الفارسي، وهو جد الأسرة السامانية، أسلم في أواخر العهد الأموي، وهو من أصل فارسي.



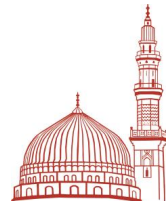
- ٢- إن إمارة الاستيلاء شاملة البلاد التي غلب عليها المستولي. وأما إمارة الاستكفاء فمقصورة على البلاد التي تضمنها عهد المستكفي.
- ٣- إمارة الاستيلاء تشتمل على النظر في جميع الأمور: المعهودة والنادرة. وإمارة الاستكفاء خاصة بالمعهود لا النادر.
- ٤- يجوز لأمير الاستيلاء تعيين وزير تفويض ووزير تنفيذ، ولا يجوز لأمير الاستكفاء تعيين وزير تفويض إلا بإذن الإمام، ولكن له أن يستوزر وزير تنفيذ.

الأعمال التي كان يمارسها صاحب الإمارة:

- وأما الأعمال التي كان يمارسها صاحب هذه الإمارة فهي سبعة وهي:
- ١- النظر في تدبير الجيوش وترتيبهم في النواحي، وتقدير أرزاق الجند، إلا أن يكون الخليفة قدرها، فيعمل بما قرر.
 - ٢- النظر في الأحكام وتقليد القضاة والحكام.
 - ٣- جباية الخراج وقبض الصدقات وتقليد العمال لها، وتفريق ما استحق منها.
 - ٤- حماية الدين.
 - ٥- إقامة الحدود.
 - ٦- الإمامة في صلاة الجمع والجماعات بنفسه أو بالاستخلاف عليها.
 - ٧- تسهيل أداء فريضة الحج كل عام.

مُحَاضِرَاتٌ فِي

تَارِيخُ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ



وهناك واجب ثامن على والي البلاد الساحلية أو المجاورة لحدود العدو (الثغور): وهو جهاد الأعداء وقسمة الغنائم على وفق أحكام الشرع.

اختيار الأمراء:

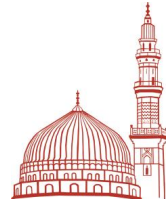
الأصل في اختيار الأمراء أن يكونوا من أصحاب الأمانة والزهد والبصر بالعمل المؤكل إليهم^(١)، والشروط المطلوبة فيمن يعين لهذه الإمامة: هي ذات الشروط المقررة في وزارة التفويض.

انتهاء ولاية الإمام:

تنتهي ولاية الإمام بأحد أسباب خمسة وهي:

- ١- الموت.
- ٢- الكفر أو الردة: إذا صدر من الإمام ما يجعله كافراً سواء بصريح القول أو بأي فعل أو قول يستلزم الكفر، بطلت إمامته.
- ٣- زوال أهليته أو نقص في أعضائه أو حواسه بحيث يعجز عن القيام بواجبات الإمامة كالجنون المطبق وزوال البصر أو السمع وقطع اليدين أو الرجلين ونحو ذلك.
- ٤- نقص في إمكان التصرف.
- ٥- عزله من الأمة أو أن يعزل الإمام نفسه.

(١) محمد عبدالنور. محاضرات في النظم والحضارة الإسلامية، ص ٣٠.



تقليد الأمير:

إذا ولى الخليفة أمير كتب له بذلك كتاباً يسمى (التقليد) أو العهد يحدد له فيه مهمته ويوصيه بالآداب المطلوبة.

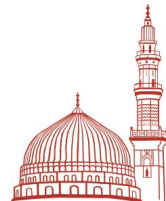
الإدارة في عهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

منذ جهر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالدعوة إلى الإسلام أدرك أهمية التنظيم الإداري لأبناء المجتمع الإسلامي الجديد وضرورة تنسيق العمل بينه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبين القائمين على هذا التنظيم الهام؛ من أجل تبليغ الدعوة الإسلامية إلى الناس كافة وظهرت طلائع هذا التنظيم الجديد منذ بيعة العقبة الثانية، وحقق هذا التنظيم الإداري المبكر أولى ثماره الرائعة في إعداد العدة لهجر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المدينة، ثم تهيئة الجو لنجاحها، برغم كيد الكفار وسعة تدبيرهم وبدأت بانتقال الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المدينة مرحلة جديدة للتنظيم الإداري وتجلت معامل هذا التنظيم الإداري في الصحيفة التي عقدها الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين المهاجرين والأنصار ويهود يثرب والتي عرفت باسم (دستور المدينة) الذي يعد أول دستور مدون في التاريخ البشري، وقد تضمن هذا الدستور ٤٧ بنداً (مادة) والتي صارت تمثل النظام السياسي لجماعة المسلمين في المدينة والدستور الدائم للدولة الإسلامية الوليدة.

اختار الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ رجال إدارته كل حسب مواهبه واستعداده وكانت القدرة على نشر الدعوة هي الأساس الأول

مُحَاضَرَاتٌ فِي

تاريخ الحضارة العربية الإسلامية



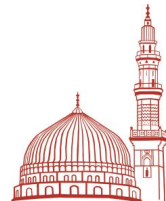
للعمل في الميدان الإداري.

وعرف الرسول **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في رجال إدارته خصائصهم وحث الناس بالتالي على أمثل السبل للإفادة من نشاطهم، فقال **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر وأشدهم في دين الله عمر وأصدقهم حياء عثمان وأقضاهم علي وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل وأفرضهم (يعني أعلمهم بالفرائض) زيد بن ثابت وأقرؤهم أبي بن كعب ولكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيد بن الجراح»^(١).

وبعد عام الوفود اقتضى الأمر تقسيم البلاد الإسلامية إلى وحدات كبرى لتسهيل تنظيم شئون أهلها وربطها مباشرة مع العاصمة للدولة الإسلامية وكانت المدينة وما حولها من مناطق تخضع للإدارة المباشرة للنبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**.

وقام إلى جانب كل أمير عامل آخر عينه النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** من قبله لجمع الزكاة والصدقات فضلاً عن تعليم الناس القرآن وما يتصل بشئون الدين من معاملات ودرّب النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بنفسه هذا النفر من العمال حتى صاروا مثلاً عالياً للشرف والنزاهة والإخلاص في العمل. ومن أمثلة ذلك ما فعله الرسول **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** حين بعث معاذاً **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** إلى اليمن إذ قال له: «إنك تقدم على قوم أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله،

(١) أحمد بن حنبل. المسند، ج ٢٠٢، ص ٢٥٢.

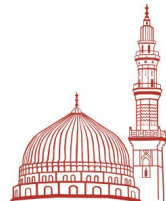


فإذا عرفوا الله تعالى فأخبرهم أن الله فرض عليهم زكاة تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم فإن هم أطاعوك لذلك فخذ منهم وتوقى كرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم؛ فإنه ليس بينها وبين الله حجاب»^(١). وكان الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكتب إلى بعض عماله بما يقتضيه الأمر على نحو ما كتبه لعمر بن حريث رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عامله على نجران يشرح له الفرائض والسنن وما يفعله في الصدقات والديات.

واشتهر عمال الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالنزاهة والإخلاص في العمل ومن أمثلة ذلك عبد الله بن رواحة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الذي عهد إليه الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تقدير ثمار أهل خيبر من اليهود؛ إذ حاول اليهود تقديم رشوة له من حليّ قائلين له: هذا لك وخفف عنا وتجاوز في القسمة فقال لهم عبد الله: يا معشر اليهود: إنكم لمن أبغض خلق الله تعالى إلي وما ذاك بحاملي على أن أحيف عليكم أما ما عرضتم علي من الرشوة فإنها السحت وإنما لا نأكلها فقالوا: بهذا قامت السماوات والأرض.

ودأب الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع ذلك على محاسبة العمال وبخاصة فيما يتعلق بالشئون المالية وقد استعمل رجلاً على الصدقات وحين حاسبه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال الرجل: هذا لكم، وهذا أهدي إلي فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما بال الرجل نستعمله على العمل بما ولأنا الله، فيقول: هذا لكم، وهذا

(١) البخاري. صحيح البخاري، ج٢، ص ١٢٨. رقم الحديث ١٤٩٦.



أهدي إلي، أفلا قعد في بيت أبيه وأمه، فنظر أيهدى إليه أم لا؟»^(١). وقال «من استعملناه على عمل ورزقناه رزقًا، فما أخذ بعد ذلك فهو غلول»^(٢). أي: خيانة.

واستمع الرسول **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أيضًا إلى كل شكوى تأتيه عن أي عامل من عماله من ذلك أنه عزل العلاء بن الحضرمي **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**^(٣). عامله على البحرين؛ لأن وفد عبد القيس شكاه -أي شكاه للنبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**- فعزله وولى بدلًا منه أبان بن سعيد **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**^(٤) وقال له: استوص بعبد القيس خيرًا. وظل الرسول **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** حريصًا على اختيار رجال إدارته من المشهود لهم بالكفاءة، ومنهم أبو سفيان بن حرب **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**^(٥) الذي ولاه على نجران

(١) مسلم. صحيح مسلم، ج٣، ص ١٤٦٣.

(٢) أبو داود. سنن أبي داود، ج٤، ص ٥٦٥.

(٣) هو العلاء بن عبد الله بن عماد، صحابي جليل كان من حلفاء بني أمية ومن سادة

المهاجرين. ولاه رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** البحرين ثم وليها لأبي بكر وعمر **رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا**.

(٤) أبان بن سعيد بن العاص الأموي له صحبة قتل يوم أجنادين لليلتين بقيتا من

جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة كان إسلام أبان بين الحديبية وخيبر، وأمره رسول

الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** على بعض سراياه، منها سرية إلى نجد، واستعمل رسول الله

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبان على البحرين برها وبحرها، فلم يزل عليها أبان إلى أن توفي

رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**.

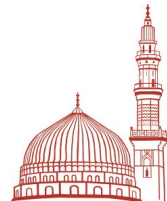
(٥) أبو سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الأموي، واسمه صخر،

أحد دهاة العرب، وشيخ قريش، وقائدهم في الأحزاب، ثم أسلم يوم الفتح وشهد

=

مُحَاضِرَاتٌ فِي

تَارِيخُ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ



لشئون الصلاة، والحرب على حين وجه معه راشد بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (١) أميراً على القضاء والمظالم.

وكان عنصر الشباب هو الغالب على رجال الإدارة زمن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومن أصحاب الهيبة في النفوس وكان ثلاثة أرباع عماله من بني أمية الذين كان لهم في الجاهلية نشاط واسع في شؤون مكة الإدارية.

الإدارة في العهد الراشدي:

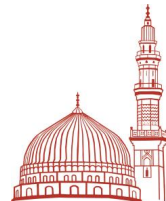
لما ولي الخلافة أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أقر عمال الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أعمالهم، ولما شهدت الحضارة الإسلامية توسعاً في عهد عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قسمت الدولة الإسلامية إلى أقسام إدارية كبيرة، فجعلت بلاد الشام قسمين، وبلاد فارس ثلاث ولايات، وأفريقيا ثلاث ولايات أيضاً. وكان على كل إقليم من هذه الأقسام عامل (أو وال أو أمير) يؤم الناس في الصلاة ويفصل في الخصومات، ويقود الجند في الحرب، ويجمع المال، وكان مع الوالي عامل خاص للخراج. وقسمت الولايات إلى مخاليف وأجناد وجعل لكل ولاية حاضرة، ومن هذه الحواضر: صنعاء، والجند، وحضرموت، ومكة، والطائف، والكوفة، والبصرة، ودمشق، وحمص.

حينئذ، وقد فقئت عينه يوم الطائف، ثم شهد اليرموك، فكان يذكر يومئذ ويحضر على القتال توفي سنة ٣١هـ.

(١) راشد بن عبد الله: يكنى أبا أثيلة، كان اسمه في الجاهلية ظالمًا فسماه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ راشداً.

مُحَاضِرَاتٌ فِي

تاريخ الحضارة العربية الإسلامية



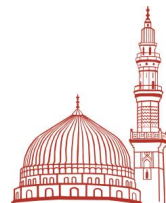
وكان الولاية في عهد عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من العرب لمقدرتهم على فهم أصول الشريعة وتعاليمها، وكان عليهم أن يؤموا المسلمين في الصلاة، ويقضوا بينهم بالحق، ويجمعوا الزكاة والجزية والخراج.

وكان عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يتحسس أخبار عماله من الناس القادمين إلى الحج ويتابع أعمالهم عن طريق العيون التي يبعثها لتراقب عمل الولاية وأسلوب تعاملهم مع الناس، وبناءً على ذلك كان يحاسبهم أولاً بأول.

ويلاحظ أن الإمارات كانت في صدر الإسلام عامة، ثم بدأت تتخصص بتوسع الدولة وتعدد الجهاز الإداري. فكان عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صاحب ولاية عامة على مصر. ثم عين الخليفة عمر شخصاً آخر لجباية الخراج هو عبد الله بن أبي سرح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثم عين قاضياً في الخصومات هو كعب بن سور رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فصارت سلطة الوالي مقصورة على قيادة الجيش وإمامة الصلاة. وقد حافظ عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على الأوضاع التي وضعها عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وكان أول كتبه إلى أمراء الأجناد قد جاء فيه: «قد وضع لكم عمر ما لم يغب عنا بل على ملي منا ولا يبلغني عن أحد منكم تغيير ولا تبديل، فيغير الله ما بكم ويستبد بكم غيركم». كما سلك علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ طريقة من سبقوه في الإمارة، فكان يولى العامل ويطلق يده على الجملة - أي يعطيه تفويضاً إدارياً كاملاً في ولايته - ثم يكشف حاله - أي يراقبه - وكان يدعو عماله إلى الزهد والاقتصاد والرفق بالرعية. ومما أوصى به عماله قوله: «إذا قدمت عليهم فلا تبعن لهم كسوة

مُحَاضِرَاتٌ فِي

تَارِيخُ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ



شتاءً ولا صيفاً، ولا رزقاً يأكلونه، ولا دابة يعملوا عليها ولا تضربنَّ أحدًا منهم سوطاً واحداً في درهم، ولا تقمه على رجله في طلب درهم، ولا تبع لأحد منهم عرضاً في شيء من الخراج، فإنما إنما أمرنا أن نأخذ منهم العفو». وهي وصية لا تختلف عن وصايا عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى عماله.

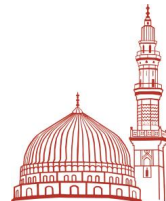
الإدارة في العهد الأموي:

ازداد اتساع رقعة الدولة في عهد بني أمية حيث بلغت أقصى اتساعها في المشرق والمغرب فاقتضى ذلك إعادة تقسيمها إلى ولايات كبرى فقسمت إلى خمس ولايات هي: الحجاز واليمن وتوابعها، ومصر بقسميها السفلي والعلوي، والعراقان: العربي (بلاد بابل وآشور القديمة) والعجمي (بلاد فارس)، وبلاد الجزيرة ويتبعها أرمينية وأذربيجان، وأفريقية الشمالية وبلاد الأندلس وجزر صقلية. وحافظ العرب على هذا النظام الإداري في البلاد التي فتحوها، مع إحداث تغيير جزئي فيها اقتضته الروح العربية، ولكن بتقدم الدولة، واتساع حدودها، استلزم ذلك إعادة تنظيمها وتقسيمها.

عمل الأمويين على اختيار عمالهم وولاتهم لتولي حكم الأمصار وأن يكونوا نواباً عنهم لهذه المناطق يطبقون سياستهم يأترون بأمرهم، ويستكملون رسالة الراشدين في نشر الإسلام بين الأمم الوثنية الجديدة وبين أصحاب الديانات السماوية الأخرى.

وقد تأرجحت سياسة الأمويين الإدارية ما بين المركزية واللامركزية، فقد شهدت فترات حكم الخلفاء العمل على أن ترسم سياسة الأمصار من

محاضرات في



حاضرة الخلافة، وأن يهيمن الخلفاء على عمال الولايات ويحاسبونهم حساباً شديداً، مع السماح لهم بحل مشكلاتهم داخلياً دون الرجوع إلى الخلافة، والاكتفاء ذاتياً بمواردهم.

وقد كان اختيار الولاة خاضعة لأسس ثابتة ولاختيارات دقيقة على النحو التالي:

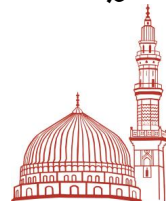
- ١- أن هؤلاء الولاة من العرب الخالص.
- ٢- زيادة نفوذ الوالي واختصاصاته.
- ٣- ضرورة التحقق من الكفاية الإدارية.
- ٤- ضرورة إقامة الوالي في حاضر الولاية.
- ٥- إذا ثبت إخلاصهم كانوا يشبثونهم لسنوات عديدة.
- ٦- عمل الخلفاء على منح عمالهم أقاليم كاملة إذا تأكدوا من قدرتهم على ذلك.
- ٧- عمل الخلفاء على اطلاق يد الولاة والسماح لهم بحل مشاكلهم داخل الولاية.

الإدارة في العهد العباسي:

يعتبر العهد العباسي هو عصر النضوج والاكتمال في جميع النظم الإسلامية وهو عصر ازدهار الحضاري في كل المجالات، فقد بلغ نطاق الدولة الإسلامية في العهد العباسي أقصى اتساعه، حيث وصلت حدودها إلى تركستان وبلاد السند في آسيا شرقاً وجمال البرنس في أوروبا شمالاً، والبحر

مُحاضرات في

تاريخ الحضارة العربية الإسلامية



العربي، والمحيط الهندي جنوباً، والمحط الأطلسي غرباً، ونتج عن هذا الاتساع إعادة تقسيم ولايات الدولة إلى ثلاثة عشر ولاية هي: الكوفة والسواد، البصرة، وتضم البحرين وعمان، الحجاز، اليمن، الأهواز، فارس، خراسان، الموصل، الجزيرة، الشام، مصر وأفريقية، السند، الأندلس.

عمد الخلفاء العباسيين في العهد العباسي الأول على اتباع سنة الخلفاء الراشدين بكثرة عزل الولاة ليضمنوا ألا يستبد هولاء الولاة بالسلطان. مستفيدين من الإقليمية الجديدة، إطلاق في السلطات مع قصر مدة التولية.

وأهم ما يميز سياسة الخلفاء العباسيين الإدارية في هذا العهد ما يلي:

١- عملت الخلافة العباسية في فتراتنا الأولى على اتخاذ المركزية في الحكم حتى عهد هارون الرشيد.

٢- اختار العباسيين ولايتهم على الأقاليم على أساس الولاء الكامل لهم دون النظر إلى الجنس على أن يكونوا من طبقات المجتمع العليا.

٣- منح العباسيين الحكام المحليين الحكم الذات في الكثير من الأقاليم.

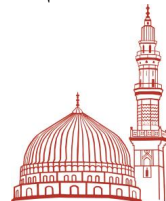
٤- عهد خلفاء بني العباس في العهد الأول للوالي الواحد بأكثر من ولاية.

٥- ظهرت في العهد العباسي فكرة الأنافة في الولاية، أي أن الوالي يبقى في بغداد بعد حصوله على التقليد بالولاية ويرسل نائباً عنه إليها.

٦- ضعفت الإدارة المركزية في نهاية العهد العباسي الأول وإهمال الأقاليم إدارياً.

مُحَاضَرَاتٌ فِي

تَارِيخِ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ



٧- زيادة ثروات الولاية بصورة كبيرة اضطر بعض الخلفاء أمثال هارون الرشيد إلى مصادرة أموالهم.

ثانياً: الدواوين:

كلمة الديوان كلمة فارسية تعني السجل يكتب فيه ما يختص بشئون الإدارة. وهو الدفتر الذي يكتب فيه أسماء الجيش وأهل العطاء، ثم أصبحت تدل على المكان الذي يعمل فيه الكُتّاب على اختلاف مهامهم. وتشبه الدواوين في نظامها وأعمالها الوزارات في العهد الحاضر.

الدواوين في العهد النبوي:

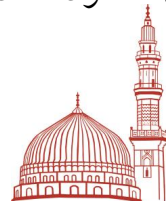
بدأت في عهد الرسول **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بوادر إنشاء الدواوين حيث اتخذ له كتاباً لكتابة الوحي والرسائل والمدائنات والمعاملات والمحاصيل كالتمور وغيرها، وهذه صارت من اختصاصات الدواوين بعد ذلك.

الدواوين في العهد الراشدي:

يعد عمر بن الخطاب **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** أول من دون الدواوين بمبانيها ومسمياتها في الإسلام فأنشأ ديوان العطاء، والجند، والاستيفاء، وهذه الدواوين تعتبر نواة للجهاز الإداري في الدولة الإسلامية.

واختلف الناس في سبب وضع عمر بن الخطاب **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** للدواوين، فقال قوم: سببه أن أبا هريرة **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** قدم عليه بمال من البحرين، فقال له عمر: ماذا جئت به؟ فقال: خمسمائة ألف درهم، فاستكثره عمر فقال له: أتدري ما تقول؟ قال: نعم، مائة ألفٍ خمس مرات، فقال عمر: أطيب هو؟

محاضرات في



فقال: لا أدري، فصعد عمر المنبر، فحمد الله تعالى وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، قد جاءنا مال كثير، فإن شئتم كلنا لكم كيلاً، وإن شئتم عددنا لكم عدّاً، فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين، قد رأيت الأعاجم يدونون ديواناً لهم، فدوّن أنت لنا ديواناً.

وقال آخرون: بل سببه أن عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** بعث بعثاً، وكان عنده الهرمزان، فقال لعمر: هذا بعث قد أعطيت أهله الأموال، فإن تخلف منهم رجل وأجل بمكانيه، فمن أين يعلم صاحبك به، فأثبت لهم ديواناً، فسأله عن الديوان حتى فسّره لهم.

أهم الدواوين في عهد الخلفاء الراشدين:

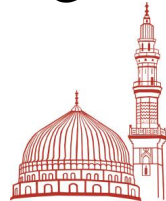
- ١- ديوان الجند: ومهمته كتابة أسماء الجند وما يخص كلا منهم من العطاء والراتب
- ٢- ديوان الخراج: ويختص بأمور المال من دخل وانفاق.
- ٣- ديوان العطاء: ومهمته تسجيل ما يستحق كل مسلم من راتب أو صدقه حسب جهده في خدمة الإسلام والمسلمين.
- ٤- ديوان الكتابة أو المراسلات: ويختص بحفظ الرسائل والمكاتبات الرسمية من الخليفة وإليه.

الدواوين في العهد الأموي:

تطورت الدواوين في العهد الأموي، عما كانت عليه في عصر الراشدين، وذلك لانفتاح الدولة الإسلامية على المناطق التي كانت تابعة للفرس

مُحَاضَرَاتٌ فِي

تاريخ الحضارة العربية الإسلامية

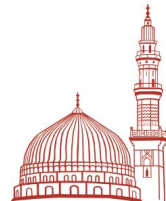


والروم، لذلك اتسعت مرافق الدولة واحتاجت إلى دواوين جديدة تنظم إدارتها وتتلائم مع تطورها، لكن هذه الدواوين مع ذلك ضلت تمر بدور انتقالي ولم تستقر وتأخذ وضعها النهائي إلا في العهد العباسي. وأول من نقل الدواوين إلى العربيّة، في الدولة الإسلامية هو عبد الملك بن مروان.

أهم الدواوين في العهد الأموي:

- ١- ديوان الخراج: وهو الذي يتولى تنظيم أمور الخراج والنظر في مشكلاتها.
- ٢- ديوان الرسائل: وهو الذي ينشئ الرسائل التي يبعث بها الخليفة إلى الولاة والعمال والملوك ويتلقى الرسائل التي ترد إليه.
- ٣- ديوان المستغلات: وهي تلك الموارد المختلفة التي تأوّل إلى الدولة من أملاك غير منقوأة كالأراضي والأبنية الخاصة بالدولة.
- ٤- ديوان النفقات: مهمته الكبرى تتمثل في صرف ما ينفق على تسليح الجيش ورواتبه وألبسته والإدارة المركزية التي توزع مرافق الدولة على الدوائر المختلفة.
- ٥- ديوان الصدقات: ومهمته توزيع موارد الزكاة على أصحاب الحقوق على النحو الذي حدده الله سبحانه وتعالى.
- ٦- ديوان الجند: مهامه تماثل مع ما سبق في ديوان الجند في العهود السابقة.
- ٧- ديوان الخاتم: ومهمته نسخ أوامر الخليفة وإيداعها في هذا الديوان.

مُحَاضَرَاتٌ فِي



أنشأ معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خوفاً من التزوير وصار هذا الديوان الجديد من أهم معالم القواعد المالية الجديدة زمن الأمويين، فكانت له نظم دقيقة، وعمال يقظون.

٨- ديوان الطراز: ويهتم بلباس الخليفة وحاشيته وموظفيه.

الدواوين في العهد العباسي:

كثرت الدواوين في العهد العباسي لتنظيم شؤون الدولة ويرجع الفضل في تنظيم إدارة الدواوين في العهد العباسي الأول إلى خالد البرمكي .
أهم الدواوين المستحدثة في العهد العباسي:

١- ديوان المصادرات: أنشأه الخليفة المنصور لحفظ أسماء من صودرت أموالهم.

٢- ديوان الأزمة: أستحدث في عصر المهدي، وهو عبارة عن مجموعة من الدواوين الصغيرة تشرف على أعمال الدواوين الكبيرة.

٣- ديوان النظر: وهو للنظر في المظالم والشكاوي.

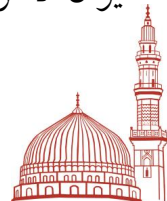
٤- ديوان الغلمان والموالي: أنشأه الخليفة المعتصم والغرض من هذا الديوان النظر في كثرت استجلاب الغلمان والاستكثار منهم .

٥- ديوان الاستخراج: ومهمته تتبع العمال والولاية المتهمين بالمحسوبية والرشوة كي تحصي أسماؤهم.

٦- ديوان الخاصة: ومهمته النظر في أموال الخليفة وأملاكه وعقارته.

٧- ديوان الأكرة: للإشراف على الترع والجسور وشؤون الري.

مُحَاضِرَاتٌ فِي



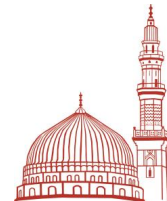
- ٨- ديوان النفقات في بغداد: وذلك للنظر في حاجات دار الخلافة.
- ٩- ديوان التوقيع: وإليه تقدم رقاع أصحاب الحاجات.
- ١٠- ديوان الفض: وإليه ترد الكتب التي يبعث بها الأمراء والعمال إلى الخلفاء حيث يفض ويتولى الخلفاء النظر فيها بأنفسهم، ثم ترسل إلى الدواوين.
- ١١- ديوان الدار أو ديوان الدار الكبير: وقد قُسم هذا الديوان إلى ثلاث أقسام:
- أ- ديوان المشرق.
- ب- ديوان المغرب.
- ج- ديوان السواد والعراق.

ثالثاً: البريد:

البريد كلمة فارسية يراد بها في الأصل البرد، وأصله (بريده دم) أي محذوف الذنب. أي مقصوص الذنب، وذلك إن ملوك الفرس كانت من عادتهم إذا أقاموا بغلا في البريد قصوا ذنبه ليكون علامة لكونه من بغال البريد.

قال المطرزي^(١): البريد في الأصل الدابة المرتبة في الرباط، ثم سمي به الرسول المحمول عليها، ثم سميت به المسافة المشهورة.

(١) المطرزي: هو ناصر بن عبد السيد أبي المكارم، برهان الدين الخوارزمي المُطَرِّزِي (ت: ٦١٠هـ).



والبريد اسم للمسافة التي بين كل محطة وأخرى من محطات البريد، وهي أربعة فراسخ، أو اثنا عشر ميلاً، ثم أطلق على حامل الرسائل، وتوسعوا فيه الآن فأطلقوه على أكياس البريد، وأصله من وضع الفرس، ثم استعمل في الإسلام وأقيم له عامل مخصوص يسمى عامل البريد، ينقل أخبار الولاية والبلاد لدار الخلافة والعكس ومركز البريد هي الأماكن التي تقف فيها خيل البريد فرساً بعد فرس، وليست على المقدار المقدر في البريد، ومهمة البريد نقل الأخبار والرسائل بين الولايات ومركز الدولة. وكان في بداياته لا يساق إلا لمهمات السلطنة.

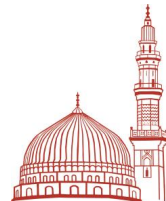
البريد في العهد النبوي:

كان هذا النظام معروفاً في عهد الرسول **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** حيث ابتداء ترتيب البريد بعد الهجرة النبوية.

البريد في عهد الخلفاء الراشدين:

كان البريد معروف عند الخلفاء الراشدين وخاصة في أثناء الفتوحات الإسلامية، واشتهر أمره في عهد عمر بن الخطاب **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**، وفي صحيح البخاري^(١) لدى باب أبوال إبل والدواب والغنم ومرابضها، صلى أبو موسى في دار البريد. قال الحافظ: دار البريد المذكورة موضع بالكوفة؛ كانت الرسل تنزل فيه إذا حضرت من الأمراء إلى الخلفاء. وذكر الطبري

(١) صحيح البخاري. ج١، ص ٥٦.



وغيره^(١) في قصة بعث أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا^(٢) زوج عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى امرأة ملك الروم بطيب وشيء يصلح للنساء مع البريد، فأبلغه إليها، وبدورها قامت امرأة الملك فأهدت إليها هدية، منها عقد فاخر، فلما انتهى به البريد إلى عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أمره بإمساكه ودعا (الصلاة جامعة) فاجتمعوا فصلى بهم ركعتين، وقال: إنه لا خير في أمر أبرم عن غير شوري، فقولوا لي في هدية أهدتها أم كلثوم لامرأة ملك الروم فأهدت لها امرأة ملك الروم، فقال قائلون: هو لها، وقال آخرون: قد كنا نهدي الثياب لنسثيب، ونبعث بها لتباع ولنصيب ثمنًا، فقال: ولكن الرسول رسول المسلمين والبريد بريدهم. والمسلمون عظموها في صدرها، فأمر بردها إلى بيت المال، ورد عليها بقدر نفقتها.

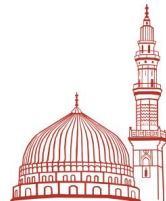
وفي سيرة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للحافظ ابن الجوزي^(٣) في ذكر عسسه بالمدينة، وبعض ما جرى له في ذلك، أن عمر لما أبعده نصر بن الحجاج عن المدينة إلى البصرة، وكتب عمر إلى عاملة عتبة بن فرقد كتابًا وأقام أيامًا ثم نادى

(١) الطبري. تاريخ الطبري، ج٢، ص ٦٠٢. وابن الأثير. الكامل في التاريخ، ج١،

ص ٤٢٨. وابن الجوزي. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج٤، ص ١٣٩.

(٢) أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: ولدت قبل وفاة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمها فاطمة الزهراء بنت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تزوجت من الخليفة عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) ابن الجوزي. مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، ص ١٠٥.



مناديه: ألا إن بريد المسلمين يريد أن يخرج فمن كانت له حاجة فليكتب فكتب إليه نصر بن الحجاج كتاباً إلى أمير المؤمنين.

البريد في العهد الأموي:

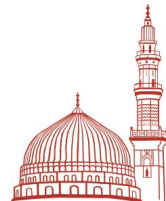
يعتبر معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أول من ادخل نظام البريد في الدولة الإسلامية، فهو مؤسس نظام البريد في الإسلام، حيث أصدر أوامره بوضع الخيول في عدة أماكن، وقام بتنظيمه، وتشير بعض المصادر إلى أنه اقتبس من الروم.

وقد قام الخلفاء الأمويون بتحسين طرق المواصلات التي سير عليها صاحب البريد، وكانت تلك الطرق واضحة ومعلومة، والدليل على تحسين هذه الطرق هو سرعة وصول الأخبار إلى مقر الخلافة بالشام. وكانت أهم وسائل النقل: البغال والخيول.

وعندما تولى الخلافة عبد الملك طوّر نظام البريد فلم يعد وسيلة لنقل الأخبار والرسائل بين العاصمة والولايات وبطريقة تبادل الخيل وحسب، بل أصبح وسيلة مهمة في العمليات العسكرية، ونقل الأشخاص المهمين والمواد المختلفة، باستخدام الرحلات السريعة والمنظمة، كما أصبح عيناً للخليفة في نقل أخبار الإقليم والعمال وشكاوي الناس من عمالهم وموظفي الدولة هناك، وإدراكاً من الخليفة عبد الملك لأهمية البريد وكسباً للوقت فقد جعل على هذا الديوان أخص خاصته وهو قبيصة بن ذؤيب: وأمر بالآل يحجب أي ساعة جاء من ليل أو نهار، وتأكيداً لذلك فقد منع عبد الملك

مُحَاضِرَاتٌ فِي

تاريخ الحضارة العربية الإسلامية



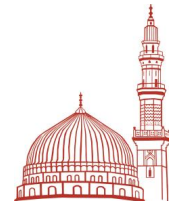
حاجبه أن يحجب صاحب البريد، قائلاً له: وليتك ما خلف بابي إلا أربعة. والبريد متى جاء من ليل أو نهار فلا يحجب، وربما أفسد على القوم تدبير سنتهم، حبسهم البريد ساعة.

البريد في العهد العباسي:

أولى الخلفاء العباسيون نظام البريد عناية كبيرة وحفاوة بالغة تتلاءم مع ما عسى أن يقدمه صاحب البريد من معلومات عن الأمصار والولاة، فهو بمثابة جهاز المخبرات في الدول الحديثة. وكان لديوان البريد محطات على طول الطريق، وظل الحمام الزاجل مستخدماً في نقل الرسائل حتى عهد الخليفة المعتصم.

وكان البريد خاصاً بأعمال الدولة لا لنقل رسائل الجمهور، ومن ثم كان مصلحة من مصالح الدولة الخاصة، فكان صاحب البريد يراقب العمال، ويتجسس على الأعداء، ويقوم بالأعمال التي يقوم بها رئيس قسم المخبرات في وزارة الدفاع الآن، وكانت مهمة صاحب البريد أول الأمر توصيل الأخبار إلى الخليفة من عماله، ثم توسعوا فيه حتى جعلوا صاحبه عيناً للخليفة ينقل أوامره إلى ولاته كما ينقل أخبار ولاته إليه. وأعظم اتساع ونظام في بريد العرب تمّ في عهد الخلفاء العباسيين، بلغت محطات البريد نحو ألف محطة، كانت تسمى عندهم بالسكك، ومع هذا الاتساع كانت الأشغال سائرة بكل دقة، في مواعيد السفر والوصول والأمنية، فقد كان لكل محطة رئيس لملاحظة سير السعاة، والخيالة وحالة المحطات، وكان جميع

مُحاضرات في



هؤلاء الرؤساء مضطرين أن يقدموا تقاريرهم عن كل ما يحدث في الخطوط إلى عموم الإدارة في بغداد، التي كانت النقطة المركزية والرئيس العالي يعرض ذلك على الخليفة نفسه، الذي كان يهتم بالبحث عن أحوال البريد، وكان للبريد لائحة عمومية، تحتوي على قوانين البريد، في سيره وجغرافية الطرق، وكان ينفق على البريد مبالغ وافرة، قيل: إن نفقة فرع اليمن فقط؛ كانت تبلغ نحو أربعة ملايين درهم سنوياً، وهي عبارة عن أربعة ملايين ونصف من الفرنكات، ومن ذلك يعلم قدر نفقات باقي الخطوط، وما كان يبذله العرب لتنظيم البريد وقدر أهميته عندهم.

رابعاً: نظام الشرطة:

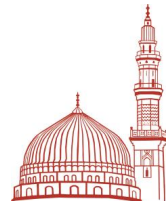
الشرطة وظيفة إدارية كبرى لا يستكمل البيان الإداري في الحضارة الإسلامية إلا بها فهي التي حفظت هذا الكيان سواء في دار الخلافة أو الولايات من عبث العابثين.

تعريف الشرطة:

لغة: مشتقة من الشرط وهي العلامة، وقيل أشراط الشيء أوائله، منه أشراط الساعة، وقيل: الأشراط: الأشراف.

اصطلاحاً: هم نخبة السلطان من جنده، وهم المكلفون بالمحافظة على الأمن الداخلي بمنع وقوع الجرائم، والقبض على الجناة، وعمل التحريات اللازمة، وتنفيذ العقوبة التي يحكم بها القضاة، وإقامة الحدود.

محاضرات في



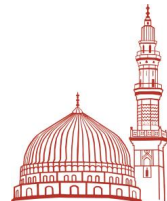
وقد عرف العالم الإسلامي إلى جانبه شرطة الأمن الداخلي أنواعاً أخرى من الشرطة، مثل: الشرطة النهريّة، وشرطة الخميس، وشرطة الجيش، والشرطة الخاصة.

وكان تعيين صاحب الشرطة من اختصاص الوالي أو الأمير؛ ومن ثم كان عزل الوالي يتبعه في معظم الأحيان عزل صاحب الشرطة، وكان الوالي يختار لهذه الوظيفة من أقاربه. وقد تبلورت اختصاصات صاحب الشرطة على مدى العصور الإسلامية، فظهرت السجون في الدولة الإسلامية في عهد النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فكان المسجد السجن في أيام الرسول **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وتنتهي مدة السجن أما بقضاء مدة العقوبة المقررة في الحكم بأكملها أو إصدار عفو عام أو خاص عن المساجين، أو وجود السجين في حالة صحية لا تسمح له البقاء في السجن فيصدر العفو عنه ليقضي بقية حكمة في بيته أو أبراء ذمة الجاني أمام المجني عليه أو الحق العام. وتنفق الدول على السجون من بيت المال.

الشرطة في العهد النبوي:

كان نظام الشرطة معروف أيام النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فكان قيس بن سعد بن عبادة **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**^(١) بين يدي الرسول **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بمنزلة صاحب

(١) قيس بن سعد بن عبادة بن دليم الأنصاري من دهاة العرب، ذوي الرأي والمكيدة في الحرب، والنجدة. وأحد الأجواد المشهورين. كان يحمل راية الأنصار مع النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ويولي أموره، وصحب علياً **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** في خلافته، فاستعمله على مصر سنة ٣٦ - ٣٧ هـ.



الشرطة، حيث روى البخاري (١) عن أنس قال: «إن قيس بن سعد كان يكون بين يدي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمنزلة صاحب الشرطة من الأمير» كما عرفت السجون في الدولة الإسلامية في عهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فكان المسجد السجن في أيام الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وقيل أن الشرطة لا وجود لها في العهد النبوي (٢)، وما سبق ذكره إشارات وإلماحات إلى وجود بدايات تشبه ما كان للشرطة فيما بعد، وليس بمفهومها الاصطلاحي.

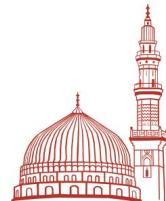
الشرطة في العهد الراشدي:

لعل أقرب ما يكون إلى عمل الشرطة، إنما حدث في العهد الراشدي، وهو "العسس ليلاً". الذي شُهر به زمن عُمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقد

(١) صحيح البخاري، ج٩، ص ٦٥. رقم الحديث ٧١٥٥.

(٢) ومما يدل على عدم وجود الشرطة في العهد النبوي: ما رواه أبو داود وابن ماجد عن الهرماس بن حبيب عن أبيه قال: أتيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بغريم لي فقال لي: الزمه، ثم قال لي: يا أبا بني تميم ما تريد أن تفعل بأسيرك.. قال: "وهذا كان هو الحبس على عهد رسول الله وأبي بكر الصديق ولم يكن له محبس معدُّ يحبس الخصوم" والنص يدل على أنه لم يوجد شرطة في العهد النبوي، لأن الشرطة لم توجد لحرب الأعداء، وإنما أحدثت لحراسة المجتمع المسلم، وتنفيذ الأحكام، وتتبع أهل الريب من المسلمين الذي قد ينزغ الشيطان في نفوسهم. والأعمال التي أوكلت إلى الصحابة في العهد النبوي، كانت لحراسة المدينة من كيد الكفار. ينظر: محمد محمد حسن شراب. المدينة النبوية في فجر الإسلام والعصر الراشدي، ج٢، ص ٢٨٥.

مُحَاضِرَاتُ فِي



تولى عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ العسس بنفسه، وقد يصحب معه عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومولاه أسلم.

وفي أيام عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جعل بيتاً في مكة سجناً أسماه سجن سباع لمالكة عبدالله بن سباع بن عبد العزى، وفي المدينة استأجر دار سميت فيما بعد بسجن عارم، وفي أيام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أسس سجناً اسماه نافع وآخر باسم المخيس. وظهرت وظيفة صاحب الشرطة في خلافة علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الشرطة في العهد الأموي:

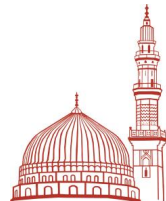
تطورت الشرطة في العهد الأموي حيث قام معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بتنظيمها وتطويرها تطويراً كبيراً وترسخها كمؤسسة رسمية على مستوى الدولة وبصورة لم تُعرف من قبل، وأصبحت مؤسسة مسئولة مسئولة كاملة ومباشرة عن توفير الأمن وإقرار النظام في جميع الأمصار الإسلامية، وأصبحت أهم قوة أمن يعتمد عليها معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وولاته لتحقيق الأمن الشخصي من جهة، وحفظ الأمن والنظام في الداخل من جهة أخرى. ولا يقتصر وجود الشرطة على عاصمة الخلافة فقط بل في الولايات الإسلامية الأخرى وهم يتبعون الولاية فهم الذين يختارونهم ويعينونهم. وقد كلف الخلفاء الأمويون رؤساء الشرطة بأعمال شتى خارج بلاد الشام وداخلها: فالضحاك بن قيس^(١) كلفه معاوية، بإبلاغ وصيته لابنه يزيد، وأخذ البيعة له.

(١) الضحاك بن قيس بن خالد الفهري القرشي،: سيد بني فهر، في عصره. وأحد الولاية الشجعان. شهد فتح دمشق، وسكنها. تولى الصلاة على معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوم

=

مُحَاضَرَاتٌ فِي

تاريخ الحضارة العربية الإسلامية



تطورت الشرطة في العهد الأموي حتى أنها استخدمت ما عرف بالسجل يحملها المواطن في أسفاره وتنقلاته موضحاً بها اسمه وموطنه الأصلي، وكان من حق رجل الشرطة القبض على من ينتقلون من بلد لآخر ويسافرون بالسفن ولا يحملون معهم بطاقتهم الشخصية التي تحدد هويتهم، بل عرفوا أيامها نظام استبدال فاقد، لم يفقد سجله أو يتلف منه، ووضعوا لذلك رسمياً قيمته خمسة دنانير.

وكان صاحب الشرطة في العهد الأموي يتمتع بسلطات واسعة، طالما أنه كان ينفذ العقوبات بحق الأفراد الذين يرتكبون جرائم تخل بالنظام، وتعكر صفو الناس وأمنهم.

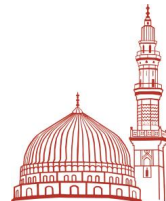
وله عيونه الخاصة التي تعينه في مسؤولياته الكبيرة، على صعيد حفظ الأمن، أو مراقبة الحركات السياسية المعارضة. ولم تكن مهمة الشرطة في عهد عبد الملك بن مروان هي الجناة واللصوص فحسب، بل مارست الشرطة عملاً مهمماً، إلا وهو عملية تنظيم وضبط نزول جيوش الخلافة ورحيلها أثناء الحملات العسكرية.

فقد قلد الخليفة الحجاج بن يوسف الثقفي هذه المهمة، فنجح فيها في عدة مناسبات وتمكن من ضبط جيش الخليفة وتأدية مهمته على أحسن وجه

وفاته، وقام بخلافته إلى أن قدم يزيد. ولما خلع معاوية بن يزيد نفسه، انصرف يدعو إلى بيعة ابن الزبير بدمشق.

مُحَاضَرَاتٌ فِي

تاريخ الحضارة العربية الإسلامية



وفي أواخر العهد الأموي ظهر منصب جديد إلى جانب جهاز الشرطة، وهو نظام الأحداث^(١)، وصاحب هذه الوظيفة يسمى صاحب الأحداث ومهمته المحافظة على الأمن خارج العواصم، وهو خطوة وسط بين الشرطة والجيش، ويغلب على صاحب الأحداث الطابع العسكري الصارم، وذلك لكثرة تعرض المناطق النائية عن العاصمة للفتن والاضطرابات من الداخل، وغزوات الأعداء من الخارج.

وظهر منصب آخر في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك^(٢)، هو صاحب العصاة، وكان يتولاه أحد الخوارج السابقين، وهو ابن عقفان^(٣)، ومهمته تشخيص أصحاب الأفكار المعارضة والقبض عليهم.

الشرطة في العهد العباسي:

توسعت اختصاصات صاحب الشرطة في العهد العباسي فقد أضيفت إلى اختصاصات صاحب الشرطة في العهد العباسي اختصاصات حربية، فقد

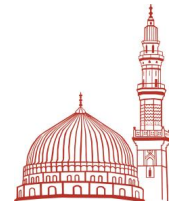
(١) ويقصد بالحدث والأحداث الحالات الطارئة، أي أن صاحب الأحداث مهمته مراقبة الحركات السياسية المعارضة للخلافة الأموية. للمزيد ينظر: كتاب الشرطة في العصر الأموي، للدكتور أرسن موسى رشيد.

(٢) هو الخليفة العاشر في الدولة الأموية مكث في الخلافة تسع عشر سنة وسبعة أشهر وأياماً، وكان غزير العقل حليماً عفيفاً، اشتهر بالتدبير وحسن السياسة، حتى قيل أن السواس من بني أمية ثلاثة: (معاوية وعبد الملك وهشام)، ومن إصلاحاته: اهتمامه بتعمير الأرض، وتقوية الثغور، وحفر القنوات والبرك في طريق مكة.

(٣) واسمه مرداس بن أبي مرداس.

مُحَاضَرَاتٌ فِي

تَارِيخُ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ

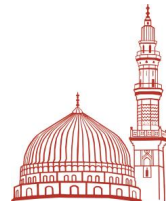


شغل بعض القادة العسكريين منصب صاحب الشرطة ومنهم في عصر هارون الرشيد القاسم بن نصر وخزيمة بن حازم والمسيب بن وهير العنبي، وكان من مهام صاحب الشرطة رئاسة الحرس الخاص بالخليفة ومقره، وكذلك رئاسة حرس المدينة وأبوابها وأسورها وما يقابلها اليوم إلى حد ما حرس الحدود. واعتمد الخلفاء على الشرطة في حفظ الأمن، ونشر الاستقرار والضرب على أيدي المجرمين والمفسدين.

وألحقت الشرطة في أول الأمر بالقضاء؛ لأنها تقوم على تنفيذ الأحكام القضائية وصاحبها يتولى إقامة الحدود، ثم لم تلبث أن غدت نظاماً مستقلاً.

مُحَاضَرَاتٌ فِي

تَارِيخِ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ





الوحدة الرابعة:
النظام القضائي
في الحضارة الإسلامية

مُحَاضِرَاتٌ فِي

تَارِيخِ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ



الوحدة الرابعة:

النظام القضائي في الحضارة الإسلامية



تتمتع الدولة المسلمة بمجموعة من المؤسسات، والقضاء جزء هام من هذه المؤسسات، فالقضاء ركن من أركان الدولة، وجزء مهم من مقومات المجتمع، وتقع على مسؤوليته حماية الأنفس والأرواح والأموال والأعراض والحقوق، ويؤمن الطمأنينة والسلام في المجتمع وقد تبوأ القضاء الإسلامي على مر العصور المكانة العالية، فكان القضاء مضرب المثل في النزاهة، وفي إقامة العدل، وتنفيذ أحكام الله، ومنع المظالم.

تعريف القضاء:

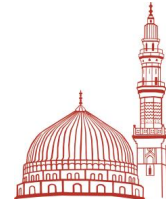
القضاء لغة: لفظ مشترك بين عدة معانٍ، فيكون بمعنى إحكام الشيء وإمضائه، والقضاء لغة: الانقطاع. ويأتي بمعنى الفراغ من الشيء، ومنه: قضى حاجته، ويكون بمعنى الحتم والإلزام،

قال أبو البقاء الكفوي^(١): "قد أكثر أئمة اللغة في معناه، وآلت أقوالهم إلى أنه إتمام الشيء قولاً وفعلاً"، والمراد هنا أن القضاء هو الحكم لغةً.

(١) أبو البقاء الكفوي: أيوب بن موسى الحسيني، كان قاضياً في القدس، وله من المؤلفات كتابه الذي شهره: الكليات، توفي في القدس سنة ١٠٩٤هـ. ينظر: مقدمة تحقيق الكليات، للدكتور عدنان درويش ومحمد المصري.

مُحَاضَرَاتٌ فِي

تَارِيخُ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ



القضاء اصطلاحاً:

عرف الفقهاء القضاء بمعناه الشرعي بتعريفات كثيرة منها: هو قول ملزم يصدر عن ولاية عامة، أو الإخبار عن حكم شرعي على سبيل الإلزام. وأحسن تعريف للقضاء هو: "الفصل بين الناس في الخصومات، حسماً للتداعي، وقطعاً للنزاع، وبالأحكام الشرعية المتلقاة من الكتاب والسنة.

أهمية القضاء:

إن حكمة القضاء تقضي بنصرة المظلوم، وقمع الظالم، وقطع الخصومات، فلذلك تعتبر ولاية القضاء من أهم الولايات شأنًا، وأعظمها أثرًا، وأعلىها مرتبة. فالقضاء إقامة العدل، وكبح الظلم، وهو رتبة شريفة، ومنزلة رفيعة، فبه بعث الرسل، وبالقيام به قامت السموات والأرض، وهو من أقوى الفرائض بعد الإيمان بالله تعالى. والقضاء عبادة من أشرف العبادات التي يتقرب بها إلى الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، وتكون سببًا جالبًا لمحبهته وهو الطريق لإقامة العدل بين الناس ولا يستقيم حالهم إلا به دفعا للظلم وكبحًا للشر.

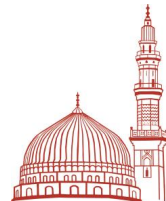
وقد فطن المسلمون إلى أهمية القضاء والعدل، نظريًا وعمليًا، فقال أبو بكر الصديق **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: (الضعيف فيكم قوي عندي حتى آخذ الحق له، والقوي فيكم ضعيف عندي، حتى آخذ الحق منه، إن شاء الله) (١).

(١) العبارة جزء من خطبة البيعة التي ألقاها الصديق **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** في المسجد في اليوم الثاني لوفاة الرسول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بعد أن تقررت البيعة له في سقيفة بني ساعدة. ينظر:

=

محاضرات في

تاريخ الحضارة العربية الإسلامية



وقال عمير بن سعد **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** (١) والي حمص: "ما يزال الإسلام منيعاً ما اشتد السلطان، وليس شدة السلطان قتلاً بالسيف وضرباً بالسوط، ولكن قضاء بالعدل وأخذاً بالحق".

وقال ابن قيم الجوزية **رَحِمَهُ اللَّهُ**: (إن الله أرسل رسله، وأنزل كتبه، ليقوم الناس بالقسط، وهو العدل الذي قامت به الأرض والسموات، فإذا ظهرت أمارات العدل، وأسفر وجهه بأي طريق كان فثم شرع الله ودينه).

أهداف القضاء:

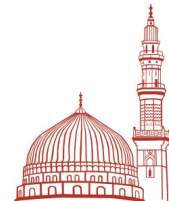
إن الهدف الذي وجد من أجله القضاء في الإسلام، والمقصد الذي يسعى إليه، هو تحقيق العدل، وإقامة القسط، وحفظ الحقوق، واستتباب الأمن، والمحافظة على الأنفس والأموال، ومنع الظلم، وإقامة الحدود والأحكام، والأخذ على يد الجناة والمجرمين، ومعاقبتهم على ما جنت أيديهم، بهدف منعهم من العودة إلى مثل هذا العمل الممنوع، وزجر غيرهم من الإقدام على مثل ذلك، فالعاقل من اتعظ بغيره.

ابن الأثير. الكامل في التاريخ، جـ ٢، ص ١٩٤، ١٩٥. وابن كثير. البداية والنهاية، ج ٩، ص ٤١٥.

(١) عمير بن سعد الأنصاري **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**. صحب النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وشهد فتوح الشام واستعمله عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** على حمص إلى أن مات. وكان من الزهاد. كان عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** يقول: وددت أن لي رجالاً مثل عمير بن سعد أستعين بهم على أعمال المسلمين. ينظر: ابن حجر، الإصابة ج ٣، ص ٢٣.

مُحَاضَرَاتٌ فِي

تَارِيخُ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ

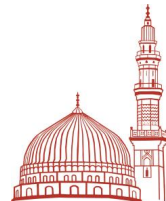


الشروط التي يجب توفرها في القاضي:

لا يتولى القضاء في الدولة الإسلامية إلا من توفرت فيه عدة شروط، منها:

- ١- الإسلام والعقل والبلوغ.
- ٢- العِلْمُ بآيات الأحكام وأحاديثها وأدلتها، وبأقوال الصحابة، وبالإجماع وبما اختلف العلماء فيه، وأن يكون عالمًا باللغة العربية، وقادرًا على القياس والاستنباط.
- ٣- سلامة الحواس.
- ٤- العدالة: وهي أن يكون القاضي متحلّيًا بمكارم الأخلاق، بعيدًا عن ارتكاب الكبائر، غير مصرّ على فعل الصغائر.
- ٥- أن يكون القاضي رجلًا، فلا يجوز أن يتولى القضاء امرأة؛ لأنها مهنة تحتاج إلى الصبر والمعاناة وعدم الانفعال، وطبيعة المرأة بعواطفها الرقيقة، وانفعالها السريع وما يحدث لها من حيض ونفاس وحمل ووضع وإرضاع، كل ذلك يجعلها غير مؤهلة للقضاء، كما أن طبيعة هذا المنصب تتطلب الاحتكاك بجمهور الناس، والشهود والخصوم، والوكلاء وأعدوان القضاة وكل ذلك يتطلب المعاناة والانفراد بالأعدوان، وهذا لا يليق بالمرأة. وعندما بلغ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن أهل فارس جعلوا حاكمهم ابنة كسرى قال: (لن يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة)^(١).

(١) البخاري. صحيح البخاري، ج٦، ص ٨. رقم الحديث ٤٤٢٥.

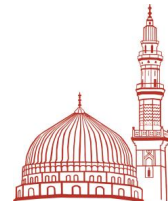


آداب القضاء:

يعتبر كتاب عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الذي كتبه إلى أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حين ولاه ولاية القضاء من أجل ما كتب في بيان آداب القضاء، فقد بين فيه آداب القضاء بتفصيل، عن أبي المليح الهذلي قال: كتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري أما بعد: فإن القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة فافهم إذا أدلي إليك بحجة وأنفذ الحق إذا وضح فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له وآس بين الناس في وجهك ومجلسك وعدلك حتى لا ييأس الضعيف من عدلك ولا يطمع الشريف في حيفك البينة على من ادعى واليمين على من أنكر، والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحاً أحل حراماً أو حرم حلالاً، لا يمنعك قضاء قضيتته بالأمس راجعت فيه نفسك وهديت فيه لرشدك أن تراجع الحق فإن الحق قديم ومراجعة الحق خير من التماذي في الباطل، الفهم الفهم فيما يختلج في صدرك مما لم يبلغك في الكتاب أو السنة، اعرف الأمثال والأشباه ثم قس الأمور عند ذلك فاعمد إلى أحبها عند الله وأشبهها بالحق فيما ترى واجعل لمن ادعى بينة أمدا ينتهي إليه فإن أحضر بينة أخذ بحقه وإلا وجهت القضاء عليه فإن ذلك أجلى للعمى وأبلغ في العذر، المسلمون عدول بعضهم على بعض إلا مجلود في حد أو مجرب في شهادة زور أو ظنين في ولاء أو قرابة، إن الله تولى منكم وبين الله ولو على نفسه يكفه الله ما بينه وبين الناس ومن تزين للناس بما يعلم الله منه غير ذلك يشنه الله فما ظنك بثواب غير الله عَزَّوَجَلَّ في عاجل رزقه

مُحَاضِرَاتٌ فِي

تَارِيخُ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ



وخزائن رحمته، والسلام عليك (١).

القضاء في العهد النبوي:

تولى رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** القضاء والفصل بين الناس بنفسه، فأرسي دعائم العدل، ونشر رواق الحق، وأسس دستور القضاء، فكان التشريع يصدر عنه، ثم يشرف على تنفيذه، فيضع الحدود بين الناس في علاقاتهم ضمن قواعد الشريعة السمحاء، ومبادئها العامة، ومن ثم كان المرجع الأول لرد الحقوق إلى أصحابها، ونصرة المظلوم، ورد الظالم، فترفع إليه دعاوى الخلاف والمنازعات، ليقول فيها القول الفصل، فيكون قوله قضاء من جهة، وتشريعاً من جهة، وقواعد حقوقية، ومبادئ قضائية عامة من جهة ثالثة، وعين القضاة للحكم بين يديه، وأرسل النجباء من صحابته للقضاء بين الناس في مختلف الأصقاع الإسلامية المفتوحة. فكان الرسول **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** حاكم الدولة وقاضيها الأول، وقد أمره الله تعالى بذلك قائلاً: ﴿وَأَنَّ أَحْكُمُ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَأَحْذَرُهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ (٢). وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَادَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلخَائِبِينَ خَصِيمًا﴾ (٣). وكان **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يرسل نواباً عنه من الصحابة **رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ** إلى الأماكن البعيدة يتولون القضاء، فقد أرسل معاذ بن جبل

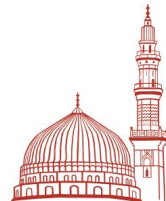
(١) أخرجه الدارقطني في سننه، كتاب الأفضية والأحكام وغير ذلك.

(٢) سورة المائدة: ٤٩.

(٣) سورة النساء: ١٠٥.

محاضرات في

تاريخ الحضارة العربية الإسلامية



رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى اليمن، وكان قبل أن يرسل القضاة يتولاهم بالنصيحة والموعظة، وقد أوصى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ذات مرة، فقال: (يا علي، إذا جلس إليك الخصمان، فلا تقض بينهما حتى تسمع من الآخر كما سمعت من الأول، فإنك إذا فعلت ذلك تبين لك القضاء)^(١).

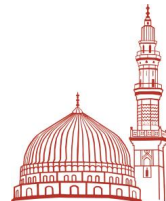
القضاء في العهد الراشدي:

إن القضاء في العهد الراشدي يمثل الدرجة الثانية بعد القضاء في العهد النبوي الذي يمثل الجذور والأساس، والقضاء في العهد الراشدي يمثل البناء الكامل، والتنظيم الشامل من جهة، ويعطى الصورة البراقة للقضاء الإسلامي من جهة ثانية.

ففي خلافة الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أسند أمور القضاء إلى عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ولكنه لم يلقبه بالقاضي، ولم يتغير وضع القضاء في عهد أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عما كان عليه في عهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقد أقر أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قضاة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مثل: عتاب بن أسيد، ومعاذ بن جبل، والعلاء بن الحضرمي وغيرهم.

ولما تولى الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الخلافة توسعت الدولة الإسلامية في عهده، وخطا خطوه كبيرة، لتحقيق العدل الكامل، والتجرد التام، والموضوعية في الدعوى والإثبات، وإصدار الأحكام

(١) رواه أحمد وأبو داود والترمذي.



وتنفيذها، وأكد الخليفة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فصل القضاء في عدة مناسبات، كما في قصته مع معاوية وعبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، حيث حجب عمر سلطة معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - الوالي والحاكم - عن أعمال ونفوذ عبادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - القاضي في فلسطين - وجعل علاقة القاضي مرتبطة بالخليفة مباشرة .

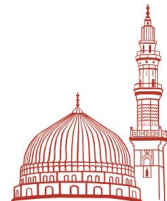
قال الأوزاعي: "أول من تولى قضاء فلسطين عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد خالفه في شيء أنكره عليه عبادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الصرف، فأغلظ له معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في القول، فقال له عبادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لا أساكنك بأرض واحدة أبداً، ورحل إلى المدينة، فقال له عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ما أقدمك؟ فأخبره، فقال: ارجع إلى مكانك، فقبح الله أرضاً لست فيها، ولا أمثالك، وكتب إلى معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لا إمرة لك على عبادة . وبذلك تحقق فصل السلطة القضائية عن السلطة التنفيذية، وصار للقضاء سلطة وولاية تتبع مباشرة الخليفة، وتتلقى منه التوجيه والتعيين، والإرشاد والإشراف والمراقبة.

ومن أشهر مستشاري الفاروق علي بن أبي طالب وكان الفاروق يستشير، ويأخذ برأيه، وكانت له في نفسه مكانة عظيمة، فكان يستشيره في المعضلات فقد روى سعيد بن المسيب أن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان يتعوذ من معضلة وليس لها أبو حسن - يقصد علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، وكان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول عنه: "علي أفضانا".

ولم يختلف القضاء في عهد عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عما كان عليه في

مُحَاضَرَاتٌ فِي

تَارِيخُ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ



عهد عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، سوى حرص عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على تولي القضاء في المدينة بنفسه.

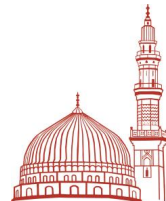
كما تطور القضاء من الناحية التنظيمية، حيث اتخذ دارًا للقضاء، وهو بذلك يُعد أول من اتخذ دار للقضاء، حيث كان القضاء في عهد الخليفة أبو بكر الصديق والخليفة عمر بن الخطاب يتم في المسجد.

وقد أقر الخليفة عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ القضاة الذين كانوا في عهد عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وعلى نهج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صار علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في توجيه قضاائه ونصحهم وهو خليفة، وبلغ عدله مبلغًا عظيمًا، فقد اختصم مع نصراني وهو الخليفة على درع، فرجع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الأمر إلى القاضي، وكان قاضيه شريح القاضي وقد أورد ابن كثير هذه الرواية، وذلك بقوله: عن الشعبي قال: وجد علي بن أبي طالب درعه عند رجل نصراني، فأقبل به إلى شريح يخاصمه، قال: فجاء علي حتى جلس جنب شريح وقال: يا شريح هذا الدرع دولي ولم أبع ولم أهب، فقال شريح للنصراني: ما تقول فيما يقول أمير المؤمنين؟ فقال النصراني: ما الدرع إلا درعي وما أمير المؤمنين عندي بكاذب، فالتفت شريح إلى علي فقال: يا أمير المؤمنين هل من بينة؟ فضحك علي وقال: أصاب شريح، مالي بينة، ففضى بها شريح للنصراني، قال فأخذه النصراني ومشى خطأ ثم رجع فقال: أما أنا فأشهد أن هذه أحكام الأنبياء، أمير المؤمنين يدنيني إلى قاضيه يقضي عليه، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد

مُحَاضِرَاتٌ فِي

تَارِيخِ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ



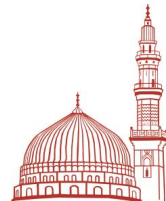
أن محمداً عبده ورسوله، الدرع والله درعك يا أمير المؤمنين^(١).
وقد أقر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قضاة عمر وعثمان **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم** أجمعين.
وإجمالاً كان القضاء في عهد الخلفاء الراشدين مستقلاً لا تشوبه شائبة
فكان يعتمد.

مميزات القضاء في العهد الراشدي:

من أهم مميزات القضاء في العهد الراشدي:

- ١- كان القضاء في العهد الراشدي امتداداً لصورة القضاء في العهد النبوي، بالالتزام به، والتأسي بمنهجه.
- ٢- يعتبر القضاء في العهد الراشدي صورة صحيحة، وصادقة وسليمة للقضاء الإسلامي، ولذلك وصارت الأحكام القضائية والتنظيم القضائي في العهد الراشدي مصدرًا للأحكام الشرعية، والاجتهادات القضائية والآراء الفقهية في مختلف العصور.
- ٣- مارس الخلفاء الراشدون، وبعض ولاة الأمصار، النظر في المنازعات وتولى القضاء بجانب الولاية، وأولوا الاهتمام الكامل لتولى قضاء المظالم وقضاء الحسبة .
- ٤- عين الخلفاء الراشدون في أكثر المدن والأقطار الإسلامية قضاة لممارسة القضاء خاصة، دون بقية السلطات.

(١) ابن كثير. البداية والنهاية، ج ٨، ص ٥٠٤.



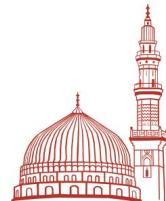
- ٥- كان القضاء في العهد الراشدي مجتهدين، فينظرون في نصوص القرآن والسنة مباشرة، ويعملون فيها بما يؤدي إليه اجتهادهم.
- ٦- تم التنظيم الإداري الدقيق للقضاء في هذا العهد وأرسل عمر وعلي **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** الرسائل الخالدة والمشهورة إلى القضاة والولاة، لتنظيم شؤون القضاة.
- ٧- كانت اختصاصات القاضي في الغالب عامة وشاملة لجميع الوقائع، وكانت صلاحية القاضي واسعة، وله الحرية الكاملة في الإجراءات، ولكن ظهر في هذا العهد نواة الاختصاص الموضوعي والتنوعي للقضاة.
- ٨- استحدثت في العهد الراشدي راتب القضاة بشكل منظم.
- ٩- كانت إجراءات التقاضي في العهد الراشدي بسيطة وسهلة وقليلة، بدءاً من سماع الدعوى، إلى إقامة البينة والإثبات والحجج، إلى إصدار الحكم فيها، إلى التنفيذ^(١).

القضاء في العهد الأموي:

يعتبر القضاء في العهد الأموي من الدرجة الثالثة بعد القضاء في العهد النبوي والقضاء في العهد الراشدي، لأن العهد الأموي كان زاهياً وفيه كثير

(١) الزحيلي. محمد، تاريخ القضاء في الإسلام، ص ١٩٥، دار الفكر، دمشق، الطبعة

الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.



من آثار العهد الراشدي، وكانت كثير من الأعمال امتداداً للعهد الراشدي، وخاصة في جانب الفتوحات الإسلامية، وانتشار الدعوة في المشارق والمغرب ودخول الناس في دين الله أفواجاً، وازدهار الحضارة الإسلامية.

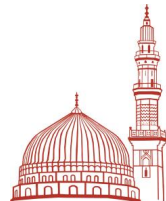
صلة القضاء في العهد الأموي بالعهد الراشدي:

كان العهد الأموي وخصوصاً في عهد معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ امتداداً للعهد الراشدي في عدة جوانب، حيث بقي بعض قضاة العهد الراشدي يمارسون القضاء في العهد الأموي، وبعضهم طال قضاؤهم كشريح بن الحارث^(١)، وبقيت في العهد الأموي آثار التربية الدينية وسمو العقيدة، وآثار الإيمان، والتقيد بالأحكام الشرعية، وظهر في العهد الأموي عدد كبير من المجتهدين الذين كانوا صلة الوصل بين الصحابة والمذاهب الفقهية، وكان لهذه الصورة الفقهية الزاهية أثرها الكبير والمحمود على حسن سير القضاء والعدالة في العهد الأموي.

تخلي الخلفاء الأمويون عن ممارسة القضاء، وفصل السلطات:

لما تولى معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الخلافة تخلى عن ممارسة القضاء، وعين

(١) شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم الكندي، أبو أمية: من أشهر القضاة الفقهاء في صدر الإسلام، ولي قضاء الكوفة، في زمن عمر وعثمان وعلي ومعاوية. واستعفى في أيام الحجاج، فأعفاه سنة ٧٧هـ وكان ثقة في الحديث، مأموناً في القضاء، له باع في الأدب والشعر. وعمر طويلاً، ومات بالكوفة.

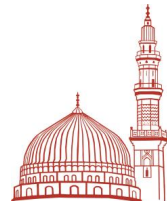


القضاة في حاضرة الدولة الإسلامية بدمشق وفوض إليهم السلطة القضائية، وخولهم الصلاحيات الكاملة في الدعاوى، وسار ولاته في الأمصار على هذا النهج، وابتعد الولاة عن أعمال القضاء، وسار خلفاء بني أمية على هذه الخطة طوال العهد الأموي، سواء في عاصمة الدولة الأموية، أم في سائر الأمصار والمدن والولايات وانقطعت صلة خلفاء بني أمية عن القضاء الإسلامي إلا في ثلاثة أمور:

- ١- تعيين القضاة مباشرة بالعاصمة دمشق.
 - ٢- الإشراف على أعمال القضاة وأحكامهم، ومتابعة شؤونهم الخاصة في التعيين والعزل، والرزق، وحسن السيرة، ومراقبة الأحكام القضائية التي تصدر عنهم، للتأكد من مطابقتها للحق والعدل، والشرع والدين، والالتزام بالسلوك القضائي القويم.
 - ٣- ممارسة قضاء المظالم، وقضاء الحسبة. وقد أولى خلفاء بني أمية أهمية خاصة ورعاية كاملة لقضاء المظالم حتى وقف على قدميه، وأصبح له جهاز مستقل.
 - ٤- لم يتدخل خلفاء بني أمية في أحكام القضاء، كما لم يتأثر القضاء بالسياسة وقد أولى خلفاء بني أمية أهمية خاصة ورعاية كاملة لقضاء المظالم حتى وقف على قدميه، وأصبح له جهاز كامل مستقل.
- وظهر في العهد الأموي لأول مرة تسجيل الأحكام القضائية التي يصدرها القاضي في سجله، وديوان المحكمة ليرجع إليه القاضي عند

مُحَاضَرَاتٌ فِي

تَارِيخُ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ



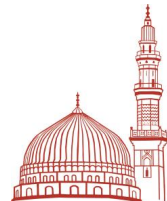
الحاجة، وأول من سجل الأحكام سُليمان بن عذر التجيبي^(١) قاضي مصر في عهد معاوية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، لما تخاصم إليه أشخاص في توزيع ميراث، فحكم بينهم، فغابوا مدة، واختلفوا وتناكروا وتجادوا بالحكم، وعادوا يطلبون فصل الخلاف ثانية، فتذكر القاضي قصتهم، وكاشفهم بها، فاعترفوا.

مصادر أحكام القضاء في العهد الأموي:

اعتمد القضاء على المصادر نفسها التي جرى عليها القضاء في العهد الراشدي، وذلك بالالتزام بالكتاب والسنة، والإجماع، والسوابق القضائية والاجتهاد مع الاستشارة، وكان الالتزام بالقرآن والسنة هو الأساس، وهو ما تلتزم به الخلافة، وتم عليه البيعة، وتطور الأمر في السوابق القضائية على الإشادة بقول الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ والتقيد غالباً بما صدر عنهم، لأنهم أقرب عهداً وصله بمدرسة النبوة، ونزول الوحي، وخصوصاً أقضية الخلفاء الراشدين.

وكان لاتساع الدولة الإسلامية في العهد الأموي، وكثرة الناس، وانشغال الخلفاء بالفتوحات، وإدارة الدولة، وإخماد الفتن الداخلية أن انصرفوا عن القضاء، وفوضوا جميع اختصاصاته إلى القضاة، وتنازلوا عن النظر في الجنيات والحدود، وكلفوا القضاة النظر فيها، وفي عهد الخليفة الأموي معاوية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ استحدث اختصاص النظر في الجراح، وكان القضاء في

(١) سُليمان بن عذر التجيبي: من كبار التابعين، وكان ممن شهد خطبة عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بالجمالية، وكان من الزهاد والعبادة على جانب عظيم.



العهد الأموي عام النظر في الحقوق والأموال، وأحكام الأسرة، والموارث والقصاص والحدود، ويظهر ذلك جلياً في من سيرة القضاة وأقضيتهم التي ذكرها وكيع والكندي^(١) وفي العهد الأموي ضُم إلى القاضي أعمال أخرى بعضها شبه قضائية، وبعضها إدارية، فمن أهم هذه الأعمال في ذلك العهد، النظر في أموال الأيتام، الإشراف على الأوقاف، الإفتاء.

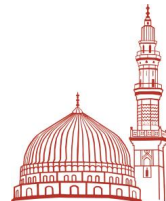
رواتب القضاة في العهد الأموي:

كانت تجري على القضاة أرزاقهم من بيت المال، مع التوسع عليهم، واختلاف المقدار بحسب البلدان والظروف.

روى الشعبي عن شريح أنه كان يأخذ على القضاء خمسمائة درهم كل شهر ويقول: استوفي لهم، وأوفيهم. وكان بعض القضاة لا يأخذون على القضاء أجراً ويحتسبون أجرهم عند الله تعالى في إقامة شرعه، منهم مسروق بن الأجدع^(٢) القاضي والمفتي وكان أعلم بالفتيا من شريح، وشريح أبصر منه في القضاء، وقالت امرأة مسروق: كان مسروق لا يأخذ على القضاء رزقاً، وقال القاسم: كان مسروق يقول: لأن أقضي يوماً فأقول فيه الحق أحب إلي من أن أربط سنة في سبيل الله.

(١) ذكرها وكيع في كتابه، أخبار القضاة، والكندي في كتابه الولاية والقضاة.

(٢) مسروق بن الأجدع بن مالك الهمداني الوادعي، أبو عائشة: تابعي ثقة، من أهل اليمن. قدم المدينة في أيام أبي بكر. وسكن الكوفة.



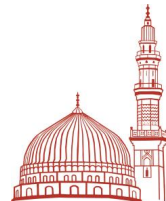
القضاء في العهد العباسي:

تطور القضاء في العهد العباسي بظهور المذاهب الإسلامية فأصبح القاضي ملزماً بأن يصدر أحكامه وفق أحد المذاهب، وكان القضاة في العهد العباسي ينظرون في القضايا المدنية والدعوى والأوقاف، وتنصيب الأوصياء، وأحياناً المظالم والقصاص وبيت المال وظهر في العهد العباسي منصب جديد باسم "قاضي القضاة" وهو بمثابة وزير العدل في وقتنا الحاضر، وأول من تولى هذا المنصب الجليل القاضي أبو يوسف (١) وذلك في عهد هارون الرشيد الذي كان يجلس القاضي أبو يوسف، ويحترمه. وأول ما ظهر هذا المنصب كان في بغداد، ولا يطلق إلا على قاضي بغداد حاضرة الدولة الإسلامية، وعاصمة الخلافة العباسية. فقد عين الرشيد أبو يوسف قاضياً للقضاة، وأسند له مهمة الإشراف على القضاء والقضاة في سائر أقطار الخلافة العباسية، وتنازل له نهائياً عن التدخل في شؤون القضاء، فأصبح القضاء مستقلاً استقلالاً كاملاً حتى نهاية الخلافة الإسلامية، وكان الرشيد لا يقلد قاضياً ببلاد العراق وخراسان والشام ومصر إلا من أشار به القاضي أبو يوسف، وكان أبو يوسف يختار القضاة، ويطوف عليهم ويتفقد أحوالهم

(١) يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري الكوفي البغدادي، أبو يوسف: صاحب الإمام أبي حنيفة، وتلميذه، وأول من نشر مذهبه. كان فقيها علامة، من حفاظ الحديث ولي القضاء ببغداد أيام المهدي والهادي والرشيد. ومات في خلافته، ببغداد، وهو على القضاء. وهو أول من دُعي قاضي القضاة ويقال له: قاضي قضاة الدنيا!

مُحَاضَرَاتٌ فِي

تاريخ الحضارة العربية الإسلامية



وسيرهم، وهو أول من بدل لباس العلماء، وميزهم بلباس خاص، بعد أن كانوا يلبسون كسائر الناس، فميزهم ليعرفهم عامة الأمة.

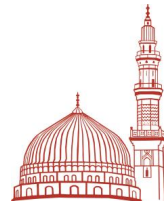
وممن اشتهر بهذا المنصب أيضاً القاضي يحيى بن أكثم^(١) الذي ولاه الخليفة المأمون منصب قاضي القضاة، وطلب منه امتحان القضاة الذي يراد تعيينهم من وجوه الفقهاء وأهل العلم.

﴿ قضاء المظالم: ﴾

يختص صاحب المظالم بالنظر في القضايا التي عجز القضاة عن الفصل فيها، وكان يتولى النظر في المظالم - أحياناً - الخلفاء أنفسهم، فكان بعض خلفاء بني العباس يجلس لهذا الأمر؛ ليحكم في المظالم. كما كان يرأس محكمة المظالم - إن لم يكن رئيسها هو الخليفة - الوالي أو من ينوب عنه. وكان صاحب المظالم يعين للناس يوماً يقصدونه فيه، أو أسبوعاً كاملاً يفرغ لهم فيه. وتنعقد محكمة المظالم في الأعم الأغلب في المسجد، وكان يحضرها خمس جماعات لا بد من حضورهم هم:

١ - جماعة الحماية أو الأعوان: ومهمتهم التغلب على من يلجأ إلى العنف أو يحاول الفرار.

(١) يحيى بن أكثم بن محمد التميمي: قاضي، رفيع القدر، عالي الشهرة، ولأه المأمون القضاء ببغداد، وكان سنه عشرون سنة، ومات سنة اثنتين وأربعين ومائتين وسنة ثلاث وثمانون سنة.



٢- جماعة الحكام: ومهمتهم الإحاطة بما يصدر من الأحكام لرد الحقوق إلى أهلها، والعلم بما يجري بين الخصوم.

٣- جماعة الفقهاء: الذين يرجع إليهم صاحب المظالم فيما أشكل عليه.

٤- جماعة الكتاب: ويقومون بتدوين أقوال الخصوم.

٥- الشهود.

ويختلف اختصاص صاحب المظالم عن اختصاص القاضي في عدة أمور:

١- صاحب المظالم ينظر في القضايا التي يقيمها الأفراد على الولاية وعمال الخراج.

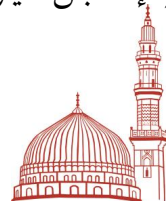
٢- صاحب المظالم ينظر في القضايا التي يعجز عنها القاضي.

٣- صاحب المظالم يحكم في القضايا التي تتعلق بإقامة العبادات كالحج والأعياد والجمع والجهاد.

ومما يروى في ذلك أن الخليفة العباسي المأمون جلس للمظالم يوماً، فكان آخر من تقدم إليه امرأة، فدخلت عليه وقالت: السلام عليك يا أمير المؤمنين. فقال لها: وعليك السلام يا أمة الله، تكلمي في حاجتك. فأخبرته أن ابنه قد اغتصب منها أرضها، فحدد لها موعداً تأتي فيه، ويحضر خصمها أمامها. فلما كان اليوم المحدد، أحضر الخصم، فأجلسها وجلس الخصوم، وظلت المرأة تتحدث بصوت عالٍ، فقال لها الفضل وزير المأمون: على رسلك إنه ابن أمير المؤمنين. فقال له المأمون: دعها فإن الحق أنطقها،

مُحَاضَرَاتٌ فِي

تاريخ الحضارة العربية الإسلامية



والباطل أخرسه. ثم قضى لها بردٌ ضَيْعَتِهَا، وحبس ابنه. وهكذا كان لجهاز المظالم أثر كبير في رفع الظلم وانتشار العدل، وتطبيق الشريعة على الجميع، مهما كانت منزلتهم.

﴿قضاء الحسبة﴾:

الحسبة في الإسلام ولاية دينية يقوم ولي الأمر -الحاكم- بمقتضاها بتعيين من يتولى مهمة الأمر بالمعروف إذا أظهر الناس تركه، والنهي عن المنكر إذا أظهر الناس فعله، صيانة للمجتمع من الانحراف، وحماية للدين من الضياع، وللحسبة دورًا كبيرًا في حماية حقوق الإنسان، فتعد آلياتها من أكبر الضمانات لتلك الحقوق. فالمحتسب يمنع الغش في الأسواق ويراقب الموازين، ويطوف على الخبازين والصناع ليلاحظ جودة المنتجات، ويراقب الأفراس والمآتم ليمنع ما يحدث فيها من منكرات، ويحارب الربا، ويطالب بسداد الديون، ويأمر الناس بالصلوات الخمس في أوقاتها... إلخ. وإجمالاً فقد كانت وظيفة المحتسب من الوظائف المهمة التي تتغلغل في المجتمع، وتنظم التعاملات بين الناس وتحفظ حقوقهم، بما يرضي الله ورسوله.

المعنى اللغوي للحسبة:

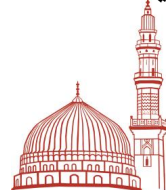
الحسبة في اللغة بمعنى: العد والحساب.

المعنى الاصطلاحي للحسبة:

هي أمر بالمعروف إذا ظهر تركه، ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله.

مُحَاضَرَاتٌ فِي

تاريخ الحضارة العربية الإسلامية



شروط الحسبة وآدابها:

يشترط في والي الحسبة: أن يكون حراً، عدلاً، ذا رأي وصرامة وخشونة في الدين، وعلم بالمنكرات الظاهرة.

مشروعية الحسبة:

الأصل في مشروعية الحسبة الكتاب والسنة: فمن الكتاب قول الله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١)، وقول الله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (٢).

أثر الحسبة في المجتمع:

تختلف النفوس البشرية في حبها للخير وميلها عنه، فهناك نفوس خيره يقودها التناصف إلى الحق، ويزجرها الوعظ عن الظلم ونفوس متجورة لا يقودها إلى الإحسان ولا يثنيها عن الشر إلا الشدة والخوف ومن لم تصلحه الكرامة يصلحه الهوان.

الحسبة في العهد النبوي:

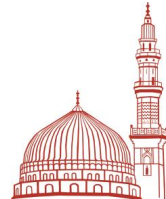
بدأت الحسبة في عهده **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بشكل فردي تطوعي لا تديره ولاية، ولا يتم عن طريق تنظيم معين، فالحسبة كغيرها من أعمال وخطط

(١) سورة آل عمران: ١٠٤.

(٢) سورة آل عمران: ١١٠.

مُحَاضَرَاتٌ فِي

تَارِيخُ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ



الحكومة النبوية في المدينة النبوية، وفي بداية تأسيسها تدار بشكل فردي وصور احتسابه كثيرة جداً، بل كل ما أسداه للأمة، ووجهها إليها من خير وإن كان تكليفاً من ربه **عَزَّوَجَلَّ** فهو صور حسبية، لكن من أمثلة احتسابه **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أنه: "مر يوماً على سوق المدينة، فوجد صاحب طعام يبيع، وكان قد أخفى الطعام المبتل بالماء داخل الطعام، فمدَّ النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يده في الطعام ووجد البلبل، فقال لصاحب الطعام: ما هذا؟ قال: لقد أصابته السماء يا رسول الله - أي: نزل عليه المطر" (١). وذكر ابن عساكر (٢) أن النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ولى عبد الله بن سعيد **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** (٣) سوق المدينة.

الحسبة في العهد الراشدي:

وَلَّى عمر بن الخطاب **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** مسؤولية الحسبة في أسواق المدينة للشفاء بنت عبد الله العدوية **رَضِيَ اللهُ عَنْهَا** (٤). وولَّى سمراء بنت نهيك الأسدية

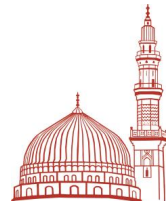
(١) مسلم. صحيح مسلم، ج١، ص ٩٩.

(٢) تاريخ مدينة دمشق. ج٢٩، ص ٥٣، علي بن الحسين ابن عساكر، تحقيق: عمر بن غرامة العمري، ١٩٩٥م، دار الفكر، بيروت.

(٣) عبد الله بن سعيد أبي أحичة بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الأموي له صحبة كان اسمه الحكم فسماه رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** عبد الله.

(٤) هي الشفاء بنت عبد الله بن عبد شمس اسمها ليلي، وغلب عليها الشفاء أسلمت قبل الهجرة، وبايعت النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وكانت من عقلاء النساء وفضلائهن، وكان عمر **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** يقدمها في الرأي، ولأها عمر على أسواق المدينة.

مُحَاضِرَاتُ فِي



رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا^(١) على سوق مكة وكانت تمر في الأسواق تمنع الغش، وتأمّر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتضرب على ذلك بسوطٍ كان معها من كان يغش في البيع والكيل.

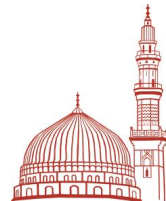
الحسبة في العهد الأموي:

كان نظام الحسبة موجوداً منذ بداية العهد الأموي، وإن لم يكن يحمل لفظ الحسبة، وقد نما النظام وتطور بما يوافق تطور قطاع التجارة، والأسواق، فيلاحظ أنه في بداية الأمر كان الوالي يتولى بنفسه أعمال الحسبة ثم تطور الأمر لأن يكون هناك شخص معين وظيفته الإشراف على السوق، ثم تطور الأمر ليكون لهذا المعين أعوان يعينونه في عمله. وكان الولاية الأمويون - كل في إقليمه - يباشر الحسبة بنفسه وكان من مهام المحتسب جباية ضرائب المبيعات وتحصيل أجرة الدكاكين التابعة للدولة، إضافة إلى مسؤوليات السوق والتي من أبرزها:

- ١- لتأكد من دقة الأوزان، والمكاييل، والمقاييس المستعملة في عمليات السوق.
- ٢- التفقد المفاجئ لعيار الحبات، والمثاقيل لضمان عدم الإخلال بها.
- ٣- منع الارتفاع الفاحش لأسعار السلع الأساسية.

(١) سمراء بنت نهيك الأسدية أدركت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعمرت وكانت تمر في الأسواق وتأمّر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتضرب الناس على ذلك بسوط كان معها. ينظر: ابن عبد البر، الاستيعاب.

مُحَاضَرَاتٌ فِي



الفرق بين والي الحسبة والقاضي العادي من وجهين:

أحدهما: قصور والي الحسبة عن سماع عموم الدعاوى الخارجة عن ظواهر المنكرات كالدعاوى في العقود، والمعاملات، وسائر الحقوق والمطالبات.

والوجه الثاني: أن نظر والي الحسبة مقصور على الحقوق المعترف بها، فأما ما يدخله التجاحد والتناكر فلا يجوز له النظر فيها.

الفرق بين قضاء الحسبة ووالي المظالم فمن وجهين أيضاً:

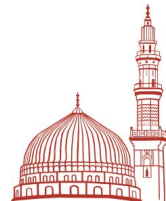
أحدهما: أن النظر في المظالم موضوع لما عجز عنه القضاة، والنظر في الحسبة موضوع لما لا حاجة لعرضه على القضاة.

الوجه الثاني: أنه يجوز لوالي المظالم أن يحكم، ولا يجوز لوالي الحسبة أن يحكم.

وهكذا يظهر أن المظالم والقضاء والحسبة يكمل بعضها بعضاً، وتؤدي غاية موحدة هي تحقيق العدل والإنصاف وحفظ الحقوق والأموال والدماء، وتطبيق أحكام الشرع المحققة لسعادة الناس في الدنيا والآخرة، وإقامة المجتمع الإنساني الفاضل.

مُحَاضَرَاتٌ فِي

تَارِيخِ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ





الوحدة الخامسة:
النظام المالي والاقتصادي
في الحضارة الإسلامية

مُحَاضِرَاتٌ فِي

تَارِيخِ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ



الوحدة الخامسة:

النظام المالي والاقتصادي في الحضارة الإسلامية



﴿ أولاً: النظام المالي في الحضارة الإسلامية:

تعتبر الحضارة الإسلامية الرائدة في مجال تنظيم الأموال والموارد المالية للأمة الإسلامية فمن أبرز ما تميزت به تلك النظم التي قامت عليها تلك الحضارة والتي شملت أمور الاقتصاد وكل ما يتصل بتنظيم أمور الدولة المسلمة.

١ - ديوان بيت المال:

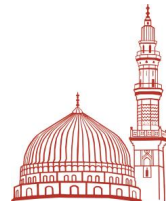
عرف في الدولة الإسلامية ديوان أطلق عليه اسم ديوان بيت المال. كانت مهمته النظر في موارد الدولة ومصارفها. وكان مكان بيت المال في أول الأمر بالمسجد الجامع في العاصمة ثم نقل إلى دار الإمارة أو دار الوزير أو القصر.

تعريف بيت المال:

بيت المال لغةً: هو المكان المعد لحفظ المال ، خاصًا كان أو عامًا. وأما في الاصطلاح: فقد استعمل لفظ بيت مال المسلمين للدلالة على المبنى والمكان الذي تحفظ فيه الأموال العامة للدولة الإسلامية من المنقولات، كالفيء وَحُمُسِ الغنائم ونحوها، إلى أن تصرف في وُجُوهِهَا.

مُحَاضِرَاتٌ فِي

تَارِيخِ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ



نشأة وتطور النظام المالي:

كان الرسول **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ومن بعده خليفته الأول أبو بكر الصديق **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يوزعان الموارد في حينها وعلى مستحقيها، ويعتبر الخليفة الراشد عمر بن الخطاب **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** أول من أنشأ بيت المال بسبب الفتوحات العظيمة التي تمت في عهده والخيرات التي تدفقت على الدولة المسلمة، فقد روى ابن سعد أن أبا هريرة **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** قدم على عمر **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** من البحرين فلقيه في صلاة العشاء الآخرة فسلم عليه ثم سأله عن الناس ثم قال لأبي هريرة: ماذا جئت به؟ قلت: جئت بخمسمائة ألف درهم، قال: ماذا تقول؟ قلت: مائة ألف، مائة ألف، مائة ألف حتى عدت خمسا، فقال عمر، إنك ناعس فارجع إلى أهلك فتم، فإذا أصبحت فأتني، قال أبو هريرة: فغدوت إليه فقال: ماذا جئت به؟ قلت: جئت بخمسمائة ألف درهم، قال عمر: 'أطيب' قلت: نعم لا أعلم إلا ذلك، فقال عمر للناس: إنه قد قدم علينا مال كثير، فإن شئتم أن نعهده لكم عدداً وإن شئتم أن نكيله لكم كيلاً، ونشأ من يومها بيت المال وقد استحدثت بيوت الأموال في الأمصار أيضاً توضع فيها أموال المصير الخاصة.

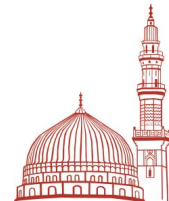
مصادر بيت المال:

من أهم مصادر بيت المال في الدولة الإسلامية:

- ١- الزكاة بأنواعها، التي يأخذها الإمام سواء أكانت زكاة أموال ظاهرة، أم باطنة، من السوائم، والزروع، والنقود، والعروض.

مُحَاضِرَاتُ فِي

تَارِيخُ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ



- ٢- خُمسُ الغنائم المنقولة، والغنيمة: هي كل مال أُخذ من الكفار بالقتال.
 - ٣- خُمسُ الخارج من الأرض من المعادن، من الذهب، والفضة، والحديد، وغيرها.
 - ٤- خُمسُ الركاز (الكنوز)، وهو كل مال دُفن في الأرض بفعل الإنسان.
 - ٥- الفيء: وهو كل مال منقول أُخذ من الكفار بغير قتال، وبلا إيجاف خيل ولا ركاب.
 - ٦- غلّات أراضي بيت المال، وأملاكه، ونتاج المتاجرة، والمعاملة.
 - ٧- الهبات، والتبرعات، والوصايا، التي تُقدم لبيت المال للجهاد، أو غيره.
- نفقات بيت المال:

نفقات بيت المال فضلاً عن ما ورد في القرآن الكريم هي رواتب الخلفاء وكبار رجال الدولة والقضاة والولاة والعمال والجند والمنافع العامة ونفقة المسجونين وأسرى الحرب والعطايا والمنح.

العملة النقدية الإسلامية:

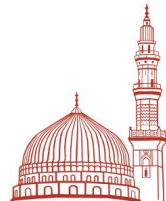
استعمل المسلمون في عصر الرسول **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** والخلفاء الراشدون وأوائل العهد الأموي النقود البيزنطية والساسانية التي كانت سائدة قبل الإسلام. وقد قام عبد الملك بن مروان بتعريب النقود^(١) تعريباً نهائياً وأحدث

(١) كانت الدولة الإسلامية إلى خلافة عبد الملك بن مروان تستخدم الدنانير البيزنطية، فأمر عبد الملك بن مروان بإنشاء دور لسك النقود في دمشق وغيرها من المدن الإسلامية، لسك العملات التي تحمل شعارات إسلامية، وألغى تداول

=

مُحَاضَرَاتٌ فِي

تَارِيخُ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ



دور الضرب التي تضرب فيها الدينار، وجعلها بإشراف الخلافة، وقد تحدث المؤرخون عن أسباب دينية وسياسية واقتصادية قد لعبت دورًا أساسيًا في بناء موقف الخليفة الأموي عبد الملك، تتلخص هذه الأسباب في حرص الخليفة على صبغ الدولة الأموية بصبغة إسلامية، وانتهاء التبعية الاقتصادية للدولة البيزنطية.

❦ ثانيًا: النظام الاقتصادي في الحضارة الإسلامية:

النظام الاقتصادي الإسلامي كغيره من النظم الإسلامية يقوم على أساس العقيدة الإسلامية، فالملك لله، والأمور والمعاملات يجب أن تجري على أمره سبحانه وقد اهتمت الحضارة الإسلامية بالجوانب الاقتصادية أعظم العناية والبيان، وقد جاء أعظم التأكيد والإرشاد في كتاب الله الكريم وفي السنة النبوية وفي سلوك الصحابة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ**، ومن تبعهم من علماء المسلمين على أهمية إقامة النظام الاقتصادي الذي يحقق العدالة الاجتماعية التي أولاهها الإسلام عنايته الفائقة.

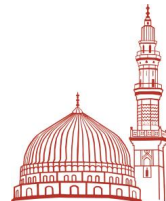
١ - الزراعة:

اهتم المسلمون بالزراعة، وأصبحت على أيديهم علمًا له أصوله وقواعده قبل باقي العلوم الأخرى، فقال الرسول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: (من أحيا

العملات غير الإسلامية. للمزيد ينظر: تعريب النقد وأثره على العلاقات العربية البيزنطية والوضع الاقتصادي. نجدة خماش.

مُحَاضَرَاتٌ فِي

تَارِيخُ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ



أرضاً مواتاً فهي له^(١). وقد شجع عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الزراعة في سواد العراق^(٢).

الزراعة في العهد الأموي:

اهتم الأمويين بالزراعة فكانت الزراعة في العهد الأموي تعتمد بصفة رئيسية على مياه الأنهار، ولذا نجد أن مراكز الإنتاج الزراعي الرئيسية كانت هي العراق ومصر والشام، وبالذات حول الأنهار، وكان للقطاع الخاص دوره في تطوير الزراعة في العهد الأموي، وقد قام القطاع الخاص باستصلاح أراضي زراعية جديدة بمساحات واسعة ومثال ذلك أراضي البطائح التي كانت منذ عهد الفرس وحتى عهد الدولة الأموية أراضي مغمورة بالمياه، فبدأت من بداية الدولة الأموية حركة استصلاحها بحجز المياه عنها وتجفيفها، وقد خرجت منها أراضي واسعة وخصبة وفيرة الإنتاج كما اهتموا ببناء الخزانات وبناء السدود الضخمة على بعض الأنهار، وكذلك شق المجارى المائية تحت سطح الأرض.

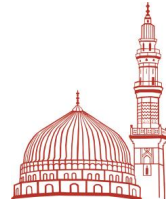
الزراعة في العهد العباسي:

لعبت النهضة الزراعية دورها في تحقيق هذا الازدهار الاقتصادي في العهد

(١) الطبراني. المعجم الأوسط، ج٤، ص٢٤٧.

(٢) سواد العراق ما بين عبادان إلى الموصل طولاً ومن القادسية إلى حلوان عرضاً وسمي السواد؛ لأنها تشاهد سواد عن بعد لشدة خضرتها. فتحت السواد في عهد عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقسمها بين الغانمين ثم سألهم أن يردوا ففعلوا.

مُحَاضَرَاتٌ فِي



العباسي، فقد كانت دولة الخلافة تضم أراضي شاسعة تتسم بالخصوبة والصلاحية لإنتاج شتى المحاصيل. وقامت المدارس الزراعية التي انتشرت في أرجاء دولة الخلافة العباسية في ذلك الوقت بجهد علمي كبير في نشر الوعي الزراعي الصحيح، فتعددت المحاصيل وأدخلت أنواع جديدة منها، وزاد إنتاجها نتيجة استعمال الأسمدة المناسبة. وارتبط بذلك إعادة تطوير نظام الري الذي حول منطقة ما بين النهرين إلى جنة وارفة الظلال، كما ازدهرت فلاحة البساتين القائمة على أسس علمية ازدهارًا كبيرًا وانتشرت كل أنواع النباتات والزهور، وارتبط بنمو الثروة الزراعية نمو الثروة الحيوانية.

٢- التجارة:

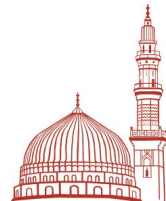
كان العرب قبل ظهور الإسلام وسيطًا تجاريًا مهمًا بين الشرق والغرب؛ حيث كانت التجارة القادمة من الشرق وبخاصة من الهند والصين تمر ببلاد العرب، كما كانت التجارة أهم الموارد التي لعبت دورًا أساسيًا في تشكيل الحياة الاقتصادية بما لها من تداخلات اجتماعية وسياسية ودينية في المجتمع العربي قبل الإسلام.

التجارة في العهد الراشدي:

عني الخلفاء الراشدون بعد الرسول **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** عناية خاصة بالتجارة بعد أن هدأت مشاغل الفتوح أيام أبي بكر وعمر وعثمان **رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ**، وازدهرت التجارة بعد إعادة توحيد الجزيرة العربية في خلافة أبوبكر الصديق **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** والقضاء على حركة الردة، ونلاحظ أن فترة الفتوح نفسها لم تكن

مُحَاضِرَاتٌ فِي

تَارِيخُ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ



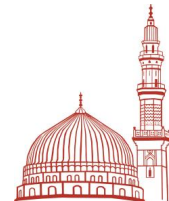
لتخلو من الاتجار حتى من عمال الخليفة أنفسهم، وهذا خير ما يفسر لنا حرص القوم على حرفتهم، ومن حسن الاتفاق أن الخلفاء الثلاثة الأولين كانوا تجارا، فأبو بكر وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كانا بزازين، وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تجر في الجاهلية واستغنى في غزة، أما علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقد ظهر الإسلام وهو صبي، ومع هذا فقد كان على علم من التجارة وأحوالها؛ لأنها مهنة قومه جميعا، ولما ولي الخلافة لم يكن يجهل خطر التجارة وقيمتها.

التجارة في العهد الأموي:

بعد تولي معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الخلافة واستقرار الأمور بدأت حركة التجارة الداخلية تزدهر كما كانت عليه قبل ذلك، كما ازدهرت التجارة الخارجية نتيجة لموقع الدولة الأموية بين دول الشرق الأقصى من ناحية مثل الصين والهند ونحوهما وبين الدولة البيزنطية من ناحية أخرى، ومعنى ذلك بالضرورة وطبقاً لمعايير ذلك العهد.

ومن العوامل التي ساعدت على نشاط حركة التجارة في عهد الدولة الأموية الثراء العريض الذي نعمت به طبقة الحكم وحاشيتهم، وكان التجار يحتلون مكانة اجتماعية عالية في العهد الأموي وكانوا يقومون بتأسيس الشركات في سبيل زيادة فعالية التجارة، حيث كانوا يساهمون في الشركة بتقديم المال وممارسة العمل كذلك، أو بواحد منهما، فإذا أقدم صاحب المال على تقديم ماله لآخر ليتاجر به لقاء حصة من الربح يتفق عليها، فيسمى ذلك الاتفاق بالمضاربة. وقد أصبحت عاصمة الدولة دمشق مركزاً

مُحَاضِرَاتٌ فِي



تجاريًا مهمًّا يعود إلى الظروف السياسية الجديدة التي نشأت، فغيرت من سبل واتجاهات حركة التجارة عما كانت عليه سابقًا في العصر البيزنطي، حيث أصبحت دمشق عاصمة للخلافة الأموية، ومحط للتجارة الشرقية وبالتالي مركزاً لتوزيع البضائع إلى الجهات المختلفة، وكانت عاصمة الشام، محط رحال القوافل التجارية الآتية من الشرق، ولا شك أن الكوفة والبصرة والموصل، ومدن الحجاز، ونجد وغيرها قد ازدهرت حركة التجارة فيها أيضًا إلا أن مدن الشام كانت تزدهر فيها التجارة أكثر من غيرها، حيث أنها تعتبر مراكز تجارية كبرى وأسواقًا هامة، كما أن الأسواق الموسمية التي كانت تقام في بعض المدن، تعرض فيها البضائع المتنوعة بكثرة، كانت توفر مجالاً أوسع لتأمين كافة متطلبات واحتياجات سكان المدن والقرى كذلك. وقد كان من هذه الأسواق التي كانت قائمة في العصر البيزنطي واستمر قيامها في العهد الأموي سوق بصرى^(١) الذي كانت تطول مدة إقامته، حيث كان يستمر من ثلاثين إلى أربعين يومًا وكذلك سوق أذرع^(٢) الذي استمر قيامه حتى ما بعد العهد الأموي.

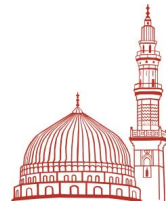
التجارة العهد العباسي:

اهتمت الدولة العباسية بالتجارة وقد دخلت كثير من دول المشرق

(١) بصرى من مشارف الشام وهي عاصمة حوران، ومن كبار مدن الشام منذ الزمن الأطول قبل الإسلام.

(٢) أذرع: بلد في أطراف الشام يجاور أرض البلقاء وعمان.

مُحَاضَرَاتٌ فِي



تحت مظلة الدولة الإسلامية لاسيما بلاد الهند، والسند، والتي كانت تحتل صادراتها نسبة كبيرة من واردات الدولة العباسية، واهتم العباسيون بصناعة السفن التجارية وأصبحت وسائل النقل البحري أكثر أمناً، وسرعة وأعلى كفاءة مما شجع على رواج التجارة.

أدرك الخلفاء العباسيون أهمية الاقتصاد وتنمية الموارد المالية لمواجهة النفقات المتعددة للدولة، فاتخذ المنصور عدة خطوات لزيادة موارد الدولة، فاستحدث نظام المصادرات للاستيلاء على الأموال لمواجهة أعباء الثورات والحركات التي واجهها، وأعاد النظر في مقادير الضرائب المفروضة على الكور.

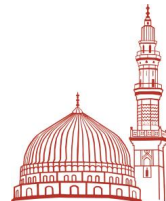
وفي عهد الرشيد ازدهرت أحوال الدولة الاقتصادية، وارتفع مستوى المعيشة، بسبب تدفق الأموال على خزانة الدولة في بغداد، وتعدد موارد الدولة المالية، فكان منها الزكاة، والخراج، والجزية، وأخماس المعدن، والرسوم على التجارة الخارجية، وغيرها.

٣- الحرف والصناعات:

اهتم الإسلام بالعمل المهني والتقني بمفهومه العام والاصطلاحي، وجعله من القيم التي حرص عليها؛ وذلك أنه يدفع إلى تطور البلاد وزيادة الإنتاج؛ وحض الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على تصنيع السلاح بأيدي وطنية عربية.

مُحَاضَرَاتٌ فِي

تَارِيخُ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ



الصناعة في العهد الراشدي :

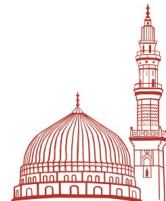
إن قادة المسلمين في العهد الراشدي كانوا يتصفون غالبًا بالحزم واغتنام الفرص وتفجير طاقة المسلمين فقد عني عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالتصنيع الحربي الذي جهز به جيوش الفتح في بلاد الشام ومصر والعراق. كما عكف المسلمون في خلافة عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على دراسة العلوم البحرية، وصناعة السفن، وكيفية تسليحها، وأسلوب القتال من فوقها، وعلوم الفلك المتصلة بتسييرها في البحار.

الصناعة في العهد الأموي:

تأثرت الحرف والصناعات في العهد الأموي بالبيئة الاقتصادية المحيطة بها، كما تأثرت الصناعات والحرف بطبيعة الاقتصاد الأموي، حيث كان النشاط الزراعي هو النشاط الرئيسي فيه، فظهرت وتطورت صناعات تعتمد في موادها الخام على القطاع الزراعي، مثل صناعة النسيج وصناعة المعاصر والمطاحن، كما واكبت الصناعة حركة التطور العمراني بالدولة الأموية، فظهرت وتطورت صناعة مستلزمات البناء، إضافة إلى تأثر الصناعة بالجو العسكري السائد في معظم فترات العهد الأموي، حيث تطورت صناعة السفن التجارية، وقد اهتمت الدولة الأموية ببناء أسطول حربي، ليقف في وجه الأسطول الحربي البيزنطي، والذي كان يهدد سلامة الشواطئ الغربية للدولة الإسلامية، فتطورت صناعة السفن الحربية في العهد الأموي بشكل كبير ومتلاحق. وعرف العهد الأموي صناعات النسيج، وكانت أكثر

مُحاضرات في

تاريخ الحضارة العربية الإسلامية



الصناعات ازدهارًا في مصر والشام والعراق وفارس وبلاد ما وراء النهر، وكانت تصنع من الصوف والقطن والكتان والحزير، بالإضافة إلى صناعات المواد الغذائية القائمة على الإنتاج الزراعي والحيواني، وصناعات الجلود.

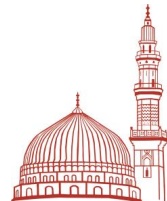
ومن أشهر الصناعات في عهد عبد الملك بن مروان:

١- صناعة المنسوجات: وأصبحت لها مصانع خاصة بها سميت دور الطراز، وكان دورها إنتاج الملابس الخاصة بموظفي الدولة الكبار، كالأمرء والولاء .

٢- التشييد وصناعة مستلزمات البناء: ومن أبرز ذلك المسجد الأقصى وقبة الصخرة وقد أدى الإقبال على تزيين البيوت والتأنيق فيها إلى ظهور صناعات تلبى تلك الرغبات، فظهرت على سبيل المثال صناعة قطع الرخام وزخرفته، وكذا استخدام الزخارف الحبيسة لتزيين المباني.

٣- الصناعات الحربية: توسعت هذه الصناعة في عهد عبد الملك بن مروان وفتح دارًا بتونس لصناعة السفن الحربية وكانت نواة تلك الدار ألف عامل متخصص في صناعة السفن ثم نقلهم من دار الصناعة بمصر^(١).

(١) الصلابي. علي محمد، الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار،



الصناعة العهد العباسي:

ازدهرت الصناعة في العهد العباسي ازدهارًا ملحوظًا، وكان للتقدم العلمي الكبير الذي شهده هذا العصر أثره الملحوظ في تحقيق الازدهار الاقتصادي القائم على أسس علمية صحيحة. وقد تقدم التصنيع الحربي أيام العباسيين فحسنو المجانيق والدبابات، وتقدمت صناعة السفن وتعددت أنواعها، ومن أهم الصناعات:

١- الصناعات النسيجية ومنها الصناعات الحريرية والكتانية والصوفية، وصنعوا الطراز والسجاد وكانت في بغداد وقاشان وهمدان.

٢- الصناعات المعدنية.

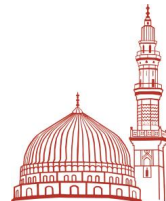
٣- الصناعات الغذائية.

٤- صناعات الزجاج والفخار والخزف والجلود مثل الأباريق والكؤوس والصحون والزهریات، وكانت في دمشق وشيراز. أما صناعة الخزف فكانت في الري والرقه وقاشان وأصفهان^(١).

وشهدت الصناعة ازدهارًا ورواجًا كبيرًا، وتعددت أغراضها ونشطت مراكزها في العهد العباسي الثاني فاشتهرت الكثير من الصناعات كصناعة الورق التي انتشرت في مصر والشام وسمرقند.

كما ظهرت الصناعات المعتمدة على الإنتاج الزراعي كمصانع النسيج ومعامل تكرير السكر.

(١) محمد عبدالنور. محاضرات في النظم والحضارة الإسلامية، ص ٦٠.





**الوحدة السادسة:
النظام العسكري
في الحضارة الإسلامية**

مُحَاضِرَاتٌ فِي

تَارِيخِ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ



الوحدة السادسة:

النظام العسكري في الحضارة الإسلامية



اهتم المسلمون بالجانب العسكري اهتمامًا كبيرًا وتعتبر الحضارة الإسلامية الرائدة في ذلك. وكان الجانب العسكري أول الجوانب التي حظيت باهتمام بالغ بعد الهجرة إلى المدينة. فأرسل الرسول **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** القواعد العسكرية الإسلامية ووضع تعاليمها النظرية والتطبيقية.

تعريف الجهاد:

لغةً: بذل الإنسان جهده وطاقته.

اصطلاحًا: بذل المسلم جهده لإعلاء لكلمة الله تعالى والتمكين لدينه في الأرض.

مفهوم الجهاد ومكانته في الإسلام:

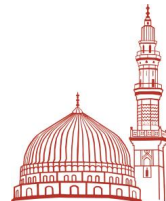
ليس المقصود من الجهاد في الإسلام قتل غير المسلمين، وإنما المقصود هو إقامة دين الله في الأرض، وتحكيم شرعه وإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، قال الله تعالى: **﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾** (١).

والجهاد الإسلامي لا مكان فيه للعدوان على حق الآخرين في العقيدة،

(١) سورة الأنفال: ٣٩.

مُحَاضِرَاتٌ فِي

تَارِيخِ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ



ولا في الحياة، وليس فيه إهدار لأي حق من حقوق أي إنسان، إنما هو جهاد من أجل الدين، من أجل أن تصل رسالة الله إلى الأرض كلها، وهو جهاد لمن يقف أمام تبليغ كلمة الله إلى الدنيا بأسرها قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ أُنتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (١).

أنواع الجهاد:

وقد ذكر العلماء عدة أنواع للجهاد، منها:

١- جهاد المشركين: فهم يحاربون دين الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، ولذلك لا بد من محاربتهم، حتى تصل تعاليم الإسلام إلى الناس كافة. قال تعالى: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ (٢).

٢- جهاد المرتدين: لما مات رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ارتد كثير من القبائل عن الإسلام، فوقف أبو بكر الصديق **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** ضد المرتدين وقام بمحاربتهم فكوّن أحد عشر جيشاً يتقدم كل منها بطل من أبطال الإسلام مثل خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وعكرمة بن أبي جهل وغيرهم **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** (٣). فهزم المرتدين وانتصر عليهم.

(١) سورة البقرة: ١٩٣.

(٢) سورة التوبة: ٥.

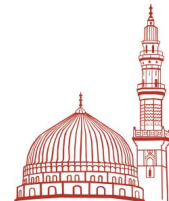
(٣) ينظر: الناظور وآخرون. الخلافة الإسلامية حتى القرن الرابع الهجري، ص ١١٢.

والترياني. جهاد، مائة من عظماء أمة الإسلام غيروا مجرى التاريخ، ص ١٥، دار

التقوى، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

محاضرات في

تاريخ الحضارة العربية الإسلامية



فمن ترك دين الإسلام وكفر به، وجب قتاله وقتله، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (١). وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (من بدل دينه فاقتلوه) (٢).

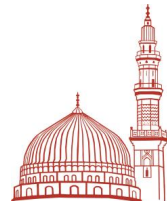
٣- جهاد البغاة: ويقصد بهم الخارجون من المسلمين على الحاكم المسلم العادل، أو الباغون المعتدون على غيرهم من المسلمين، إذا كانت الجماعتان مسلمتين، وهنا يجب قتال الفئة الباغية؛ منعاً للفساد وعملاً بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقْتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنَّ فَاتَةً فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (٣).

٤- جهاد أهل الكتاب: بعث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ برسالة إلى هرقل عظيم الروم، كتب فيها: (بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أَسْلِمَ تَسْلَمَ، أَسْلَمَ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ (عامة الشعب).. ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا

(١) سورة البقرة: ٢١٧.

(٢) البخاري. صحيح البخاري، ج ٩، ص ١٥.

(٣) سورة الحجر: ٩.



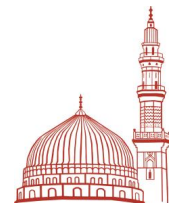
بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿١﴾. لم يستجب هرقل والروم معه لدعوة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكان سقوط إمبراطورية الروم على يد المسلمين تمهيداً لنشر دعوة الإسلام بعد أن وقفوا حائلاً دون وصولها إلى قومهم، فوجب قتالهم حتى يزول هذا الحائل، فإن زال فلا إكراه في الدين، فيدخل الإسلام من شاء ويظل على دينه من شاء. قال الله عَزَّجَلَّ: ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ (٢). والمسلمون لا يبدءون بالقتال إلا بعد التبليغ والإنذار، فإن دخل أهل الكتاب الإسلام، أو قبلوا دفع الجزية، فلا قتال، وإن أبوا حاربوا.

٥- جهاد المنافقين: المنافقون قوم يظهرون الإسلام ويخفون في صدورهم الكفر، وكان منهم جماعة في زمن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعيشون معه في المدينة المنورة، وقد أنزل الله فيهم سورة كاملة هي سورة المنافقون، وقد أمر الله بجهادهم قائلاً: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّرُ لِمَنْ يَشَاءُ اللَّهُ الْإِسْلَامَ ﴾ (٣). إلا

(١) سورة آل عمران: ٦٤.

(٢) سورة التوبة: ٢٩.

(٣) سورة التوبة: ٧٣.



أن جهاد المنافقين يختلف عن جهاد غيرهم، فجهادهم باللسان وبالإنكار عليهم ما يفعلون وبإقامة الحدود فيهم.

❦ دوافع الحرب عند المسلمين:

١- رد العدوان: يقول الله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (١).

٢- الدفاع عن المسلمين المستضعفين: كما في قصة إجلاء يهود بني قينقاع من المدينة.

٣- إزالة الاضطهاد عن الدين والدفاع عن حرية التدين: إذا نقض أعداء الإسلام ما بيننا وبينهم من عهود ومواثيق، وظهرت منهم بوادر الخيانة وجب علينا قتالهم، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا تَخَافُ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْزِلْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِبِينَ﴾ (٢).

❦ الجيش الإسلامي ونظام القتال:

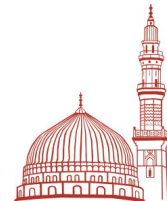
أرسى الرسول **صلى الله عليه وسلم** القواعد العسكرية الإسلامية ووضع تعاليمها النظرية والتطبيقية، وحذا الخلفاء الراشدون حذوه في تطبيق هذه التعاليم، ولذلك استطاعوا تحقيق أكبر الانتصارات على أقوى جيوش فارس والروم. ولم يظهر الجيش النظامي في عصر الخلافة الراشدة بالصفة

(١) سورة البقرة: ١٩٠.

(٢) سورة الأنفال: ٥٨.

مُحَاضِرَاتُ فِي

تَارِيخُ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ



التي نجدها في الدولة العباسية، بل كانت الأمة كلها مقاتلة حين تدعى إلى الجهاد حيث كان كل قادر على حمل السلاح ومسجل في ديوان العطاء يهب للانخراط في الحملة العسكرية لذلك لم تكن التدريبات اليومية تحت إشراف الدولة، وإنما اعتمدت جيوش الفتح على المتطوعين الذين كانوا يتدربون بأنفسهم على السباحة والرماية والمبارزة والفروسية بصورة مستمرة استعداداً للجهاد مما وفر للدولة أعداداً كبيرة من الرجال القادرين على القتال العارفين بأساليبه وفنونه في ذلك العصر.

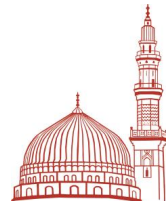
تنظيمات الجيش الإسلامي:

لقد عرف المسلمون من البداية تنظيم الجيوش، وكان للجيش الإسلامي مقدمة ومؤخرة، وميمنة وميسرة وقلب، وكان القائد يقف في قلب الجيش حتى يشرف عليه ويوجههم في كافة مراحل القتال.

وفي عهد عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنشأ ديواناً خاصاً بالجند، ليسجل أسماءهم، ويصرف مرتباتهم، كما أعفاهم من العمل في المهن مثل الصناعة والتجارة وغيرها حتى يتفرغوا للفتوحات الإسلامية. كما أقام الحصون والمعسكرات الدائمة لراحة الجند، وأمر ببناء المدن الجديدة كالفسطاط بمصر، والكوفة والبصرة بالعراق لنفس الغرض، كما وُجد في عهده نظام المرابطة، وبخاصة في الأماكن الساحلية كالإسكندرية وغيرها؛ ذلك لصد هجمات الأعداء على سواحل المسلمين.

مُحَاضِرَاتُ فِي

تَارِيخِ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ



وفي العهد الأموي، عرف المسلمون نظام الصوائف والشواتي^(١). ويطل العهد العباسي بروعته، حيث تم تقسيم الجيوش الإسلامية حسب جنسياتهم، فيكون الفرسان المسلمون الذي يرمون بالرماح من العرب، والمشاة من الفرس وبخاصة من خراسان، ومن بداية عصر الخليفة المعتصم انضم الجنود الأتراك للجيش الإسلامي، وازدادت أعدادهم زيادة كبيرة. واهتم المسلمون اهتماماً خاصاً باختيار القادة الأكفاء، تبعاً لمواصفات خاصة لا تتوفر إلا في قلة من الناس، كالشجاعة، والذكاء، وقوة الشخصية، من أمثال: خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وسعد بن أبي وقاص، وأبي عبيدة بن الجراح **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ**، وعقبة بن نافع، وموسى بن نصير، وطارق بن زياد، وغيرهم ممن كان لهم فضل كبير في نشر دين الله في كل مكان.

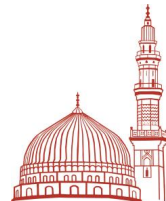
آداب الحرب في الإسلام:

الإسلام دين المبادئ والقيم والأخلاق الفاضلة، ودين العدل والرحمة والسماحة، حتى مع أعدائه، فقد لقي الرسول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** هو وأتباعه من كفار مكة أشد ألوان العذاب، وعندما أنعم الله على المسلمين بفتح مكة، ووقع هؤلاء في أيدي الرسول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، ظنوا أنه سيتقم منهم، ويفتك بهم، لكنه عفا عنهم، وقال لهم: (اذهبوا فأنتم الطلقاء). فالإسلام لا يعرف

(١) وهي عبارة عن حملات عسكرية ضد الدولة البيزنطية صيفاً وشتاءً لتأديبها ومنعها من التفكير في غزو السواحل الإسلامية في بلاد الشام.

مُحَاضَرَاتٌ فِي

تَارِيخُ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ



الانتقام، والتمثيل بأجساد الموتى، وتمزيق أجسادهم، وتقطيع الأشجار وإحراقها، وقتل الحيوان، وتخريب البيوت والتاريخ خير شاهد على تسامح المسلمين مع أعدائهم وعدم الغدر بهم، وحتى في العصور الإسلامية المتأخرة كان هذا التسامح سبب إعجاب الجميع، فهذا محمد الفاتح (١) بعد فتح القسطنطينية، يترك للنصارى كنائسهم يتعبدون فيها، ويعامل قساوستهم بإكرام واحترام، مما جعل بعض هؤلاء القساوسة يقول: لقد لاقينا من الحفاوة والتكريم، ما لم نلقه من إخواننا من أهل ديننا النصارى.

مكونات النظام العسكري الإسلامي:

١- الجيش:

وينقسم إلى فئتين: نظامية ومتطوعة، وقد تكون الجيش من فرق عديدة أهمها:

أ- فرق المشاة: وهم الرجالة على أقدامهم. مائة: وهم قاذفوا.

ب- الخيالة: وهم الفرسان.

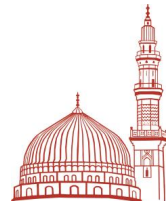
ج- الرماة: وهم قاذفو السهام.

د- الكشافة: وهم الطليعة الاستطلاعية.

(١) هو السلطان محمد الثاني، يعتبر السلطان العثماني السابع في سلسلة آل تولى حكم الدولة العثمانية بعد وفاة والده وكان عمره آنذاك ٢٢ سنة، ولقد امتاز السلطان محمد الفاتح بشخصية فذة جمعت بين القوة والعدل.

محاضرات في

تاريخ الحضارة العربية الإسلامية



هـ- كشافه المؤخرة: و تسير في مؤخرة الجيش لحماية ظهره من غدر الأعداء.

٢- أسلحة الجيش:

اختلفت وتنوعت الأسلحة التي استخدمها الجندي المسلم، ويمكن تصنيف الأسلحة إلى قسمين:
القسم الأول: الأسلحة الفردية:

أ- وهي الدروع وهي اما من صفائح من الحديد ، وأما أن تكون من زرد الحديد وتسمى الزرد.

ب- الخوذة: وهي بيضة الحديد التي تغطي الرأس.

ج- الترس للوقاية من ضربات السيوف.

د- السيف والرمح والفاص (الطبرزين) والخنجر والقوس والسهم^(١).

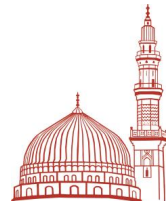
القسم الثاني: الأسلحة الجماعية:

وهي المنجنيق وسلاالم وأبراج الحصار، والحسك الشائك.

٣- الأسطول البحري الإسلامي:

يرجع الفضل في إنشاء أول اسطول إسلامي إلى الخليفة عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ففي عهده كانت بداية سيطرة المسلمين على البحر الأبيض المتوسط

(١) محمد عبدالنور. محاضرات في النظم والحضارة الإسلامية، ص ٤١.



"بحر الروم" وظهور قوة الأسطول البحري الإسلامي، وتمكن الأسطول الإسلامي من إحراز نصر على أسطول الروم في موقعة ذات الصواري^(١) سنة ٣٤هـ.

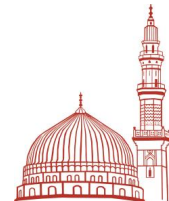
أسباب معركة ذات الصواري:

من أهم أسباب هذه المعركة:

- ١- الضربات القوية التي وجهها المسلمون إلى الروم في إفريقية.
 - ٢- خشية الروم من أن يقوى أسطول المسلمين فيفكروا في غزو القسطنطينية.
 - ٣- أراد قسطنطين بن هرقل استرداد هيبة ملكه بعد الخسائر المتتالية حراً وعلى شواطئه في بلاد الشام ومصر وساحل برقه.
 - ٤- محاولة استرجاع الإسكندرية بسبب مكانتها عند الروم وقد ثبت تاريخياً مكاتبه سكانها لقسطنطين بن هرقل ملك الروم^(٢).
- ولما ولي معاوية بن أبي سفيان **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عني بإنشاء السفن الحربية لصد

(١) علي إبراهيم حسن. التاريخ الإسلامي العام، ٥٣٨، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

(٢) القحطاني. سامي صالح، غزو البحار فضله، وأحكامه، وأشهر قادته المسلمين في القرن الهجري الأول، ص ١٠٠، بحث مقدم للحصول على درجة الماجستير لقسم الدراسات الإسلامية، بالجامعة الوطنية، اليمن، إشراف: الاستاذ دكتور عبدالله بن قاسم الوشلي، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.



الهجمات البيزنطية على البلاد الإسلامية وسار خلفاء بني أمية من بعده على سنته وأصبح الأسطول الإسلامي في نمو مطرد وأكثروا من إنشاء سفنه وتفننوا في إتقانه وجهازه بالأدوات والمعدات القتالية، واشهر القادة في الذين ركبوا البحر أو كانوا على اتصال به عن طريق الجيوش أو إرسال الغزوات في البحر أو على ساحله في العهد الأموي. عبدالله بن قيس الحارثي الذي غزا خمسين غزوة ما بين شاتية وصائفة ولم يغرق فيه أحد، ومسلمة بن عبد الملك بن مروان^(١) وموسى بن نصير وطارق بن زياد اللذان قادا فتح الأندلس، ومالك بن هبيرة السكوني^(٢). وعقبة بن نافع الفهري الذي وقف على جانب المحيط وقال قولته المشهورة **رَحِمَهُ اللهُ**.

رتب الجيش:

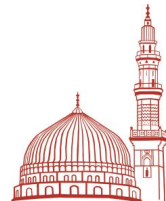
عرف الجيش الاسلامي عدة رتب عسكرية تتمثل في أمير الجيش ونائبه وأمراء الكراديس وأمراء التعبئة والنقباء والعرفاء، وكان المقاتلون فرساناً ومشاة، وكان على كل عشرة من العرفاء نقيب، وعلى كل عشرة من النقباء

(١) هو مسلمة بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، تربى مسلمة في كنف أبيه في بداية العصر الذهبي لحكم بني أمية، فأفاد مسلمة من رعاية والده، فأرسله عبد الملك أسس شخصية ابنه مسلمة وبدت ملامحها واضحة جلية في وقت مبكر من عمره وكانت عبارة عن: الدين والتفقه فيه والتمسك بتعاليمه.

(٢) مالك بن هبيرة بن خالد السكوني الكندي، من رؤساء كندة في العصر الأموي بالشام ومن الخطباء، كان أميراً للمعاوية على الجيوش.

مُحَاضِرَاتُ فِي

تاريخ الحضارة العربية الإسلامية



قائد، وعلى كل عشرة من القادة أمير ثم القائد الأعلى للجند^(١).

الفتوح الإسلامية:

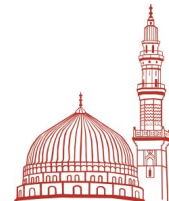
الفتح الإسلامي أكبر لغز من ألغاز العبقريّة وأعظم الحوادث التاريخيّة كلها، في أبواب العظمة كلها، لا يدانيه في ذلك حادث في تاريخ الشرق والغرب، القديم منه والحديث. أما في الحروب فإن التاريخ يعرف كثيرًا من الفاتحين، منذ عهد الإسكندر ومن قبل الإسكندر، إلى عهد نابليون ومن بعد نابليون، ولكنه لم يعرف فتحًا أوسع ولا أسرع من الفتح الإسلامي الذي امتد في اثني عشر عامًا فقط من طرابلس الغرب إلى آخر بلاد العجم، وحاز مصر وسورية وفارس كلها، فلم يعرف عن المسلمين أنهم دخلوا بلادًا وخرجوا منها؛ ذلك أنهم لا يفتحون البلاد بسيفهم شأن كل الفاتحين، ولكنهم يفتحون القلوب والعقول، بعدلهم وعلمهم، فلا تلبث البلاد المفتوحة أن تندمج بالمسلمين، وتصبح أغير على الإسلام من المسلمين الفاتحين، بينما ترى البلاد التي فتحها غيرهم تبقى خاضعة لهم ما بقي السيف مصلتًا فوق رؤوس أهلها، فإذا أحسوا من الفاتحين غرة، وأنسوا منهم ضعفًا وثبوا عليهم فطردوهم، وعادوا إلى ما كانوا عليه.

أما في العلم والثقافة؛ فقد كان الفتح الإسلامي أكبر حادث علمي، لأنه حمل إلى البلاد التي فتحها علم السماء والأرض، فحرر عقولها بالتوحيد،

(١) محمد عبدالنور. محاضرات في النظم والحضارة الإسلامية، ص ٤١.

مُحَاضَرَاتُ فِي

تَارِيخُ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ



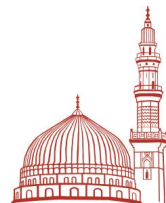
وأعتقها من عبودية الأحجار والأشجار، والنيران والأخشاب، والقسس والأشرف. ثم وضع في أيديها القرآن الذي يأمر بالتفكر في خلق السموات والأرض، ويحفز إلى البحث والنظر والاستدلال، والسنة التي ترغب في العلم وتدعو إليه، وتجعل طلبه فريضة على كل مسلم؛ وكان الفاتحون أنفسهم علماء فما إن فرغوا من الحروب حتى وضعوا السيف وحملوا القلم، وألقوا الدروع وأخذوا الكتب، وجلسوا في المساجد يدرسون ويقرئون ويبحثون، فكان من تلاميذهم المفسرون والمحدثون، والفقهاء والأصوليون، والأدباء والنحويون، والقصاص والمؤرخون، والفلاسفة والباحثون، والأطباء والفلكيون، أولئك الذين تصدروا بعد للتدريس في جامعات الشرق، وجامعات الأندلس.

فكان من ثمرة الفتح أن هذه البلاد الأعجمية - التي كانت تئن في ظلام الجهل والظلم - لم تلبث أن ظهر منها علماء فحول، كان لهم الفضل على العقل البشري، ولا تزال أسماؤها خالدة، تضيء في جبين الدهر.

أما في الحضارة والعمران؛ فللفتح الإسلامي أكبر الأثر في نشر الحضارة وتوطيد العمران، والعمران طبيعة في العربي المسلم، فلم يمض على فتح المسلمين بلاد العراق إلا سنوات حتى أسسوا مدينتين كبيرتين كان لهما الفضل والمنة على الحركة العلمية والأدبية في العالم كله. فضلاً عن أنهما كانتا قاعدتين حربيتين من أكبر القواعد الحربية؛ وما استقرت أقدامهم في البلاد حتى شرعوا في بناء المدن الكبيرة، والقصور العظيمة، وإنشاء أروع

مُحَاضَرَاتٌ فِي

تَارِيخِ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ



آثار البناء، حتى كانت بغداد وسرّ من رأى، وكانت دمشق من قبل، والقاهرة ومدن الأندلس من بعد، أعجوبة في فن العمران.

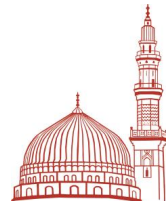
هذا هو اللغز الذي حير المؤرخين من الغربيين، ولم يعرفوا له حلًّا معقولاً! ذلك أن الفتح الإسلامي معجزة من معجزاته **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** (١).

(١) بتصرف من مقال للدكتور علي الطنطاوي، مجلة الرسالة، العدد ١٨٠، ص ٣٧،

نشر المقال عام ١٩٣٦م.

مُحَاضَرَاتٌ فِي

تَارِيخِ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ





الوحدة السابعة:
النظام الاجتماعي
في الحضارة الإسلامية

مُحَاضِرَاتٌ فِي

تَارِيخِ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ



الوحدة السابعة:

النظام الاجتماعي في الحضارة الإسلامية



أقام الإسلام مجتمعًا متكاملًا، فبنى الفرد المسلم الصالح، فكان أساسًا لبناء المجتمع المسلم الصالح المترابط الذي يسير على منهج الله سبحانه، وكان لا بد من تكوين مجتمع مسلم؛ ليحمل عبء هذه الدعوة مع الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والدفاع عنها بعد موته، ونشرها في كل أرجاء الدنيا.

الأسرة في الحضارة الإسلامية:

الأسرة هي الدرع الحصينة التي تحمي صاحبها، ولا يكون الإنسان قويًا عزيزًا إلا إذا كان في أسرة تحصنه. والأسرة التي ينشدها الشرع هي الأسرة الملتزمة بأوامر الله، والتي تكون نواة للمجتمع الملتزم بمنهج الله وشرعه.

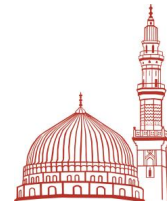
الزواج أساس تكوين الأسرة المسلمة:

الزواج هو الطريق الشرعي الصحيح لتكوين الأسرة المسلمة، وقد حث الإسلام على الزواج وشجع عليه، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (١).

(١) سورة الروم: ٢١.

مُحَاضِرَاتُ فِي

تَارِيخُ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ



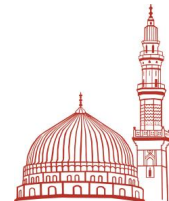
وقال الرسول **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: (يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء)^(١).

﴿ وللزواج فوائد كثيرة أهمها: ﴾

- ١- أنه وسيلة مشروعة للمحافظة على بقاء النسل.
 - ٢- المحافظة على الأنساب من الاختلاط.
 - ٣- المحافظة على المجتمع من شيوع البغاء والزنى واللواط.. تلك الأمراض التي تهدم المجتمع.
 - ٤- الزواج مسيطرة للفطرة وعدم الانحراف عنها.
- وسوف يؤدي الزواج ثماره المرجوة إذا توافرت فيه النية الصادقة، والقدرة على نفقات الزواج. فالمسلم يبغى من زواجه أن يعف نفسه، ويحصن فرجه، ويكثر أعداد المسلمين، فعلى المسلم أن يصح نيته في ذلك، فقد قال النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: "إن في بضع أحدكم صدقة، قالوا: يا رسول الله، أيقضي أحدنا شهوته، ويكون له بها أجر؟. قال: أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر. قالوا: نعم. قال: فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر"^(٢).

(١) البخاري. صحيح البخاري، ج٧، ص٣.

(٢) مسلم. صحيح مسلم، ج٣، ص٦٩٧.



﴿ ولقد وضع الإسلام كثيراً من الضوابط، حتى يحقق الزواج ثمرته المرجوة، وهذه الضوابط هي:

١- الخطبة قبل الزواج:

والخطبة مجرد وعد بالتزويج، وقد أباح الشرع الحنيف لمن يريد الزواج من امرأة أن ينظر إليها، حتى يكون على بصيرة من أمره، إن كان ينظر إليها بقصد الخطبة، قال رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: (انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما)^(١)، إلا أن الخطبة لا تحل حراماً كان قبلها، فما يزال كلا الخاطبين أجنبيّاً، فلا يجوز للرجل أن يخلو بمخطوبته، أو يخرج معها دون محرم، ولا يجوز للرجل أن يخطب على خطبة أخيه.

٢- اختيار الزوجة:

حثَّ الإسلام الشاب على أن يختار زوجته ممن تتوفر فيها عدة شروط، وهي:

١- الدين.

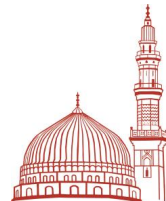
٢- البكر.

٣- الولود.

٣- اختيار الزوج:

وكما وضع الإسلام للرجل أسساً يختار على أساسها الزوجة، فإنه وضع أيضاً للمرأة أسساً تختار على أساسها زوجها، فلا بد أن تتوفر في الرجل جميع

(١) الترمذي. سنن الترمذي، ج٣، ص ٣٩٧.



ما يجب توفره في المرأة، دون تفرقة بينهما، فينبغي أن تتوفر فيه الصفات التالية: ١- أن يكون رجلاً ذا دين.

٢- أن يكون أميناً ذا خلق.

٣- أن يكون قادراً على تحمل المسؤولية.

وهذه الصفات معلومة من حديث **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: (إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه، فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد)^(١).

﴿ حقوق الزوج على زوجته: ﴾

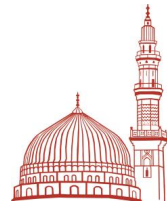
ولكي تدوم المودة بين الزوجين، ومن أجل الحفاظ على الأسرة المسلمة، جعل الشرع الحنيف لكل من الزوجين حقوقاً على الآخر يؤديها إليه في رضا وسعادة، وحقوق الزوج على زوجته هي:

١- الطاعة: فيجب على المرأة المسلمة أن تطيع زوجها فيما يأمرها به سراً وعلانية، ما لم يأمرها بمعصية، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. وقد سئل النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: (أي النساء أفضل؟ فقال **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: (التي تطيع زوجها إذا أمر، وتسره إذا نظر)^(٢).

٢- إجابة دعوة الزوج لها إلى الفراش في أي وقت، فإذا دعا الزوج زوجته إلى فراشه فلم تجبه، غضب الله عليها.

(١) الترمذي. سنن الترمذي، ج٣، ص ٣٩٥.

(٢) أحمد بن حنبل. المسند، ج١٢، ص ٣٨٣.



٣- ألا تصوم صوم تطوع إلا بإذنه، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لا يحل للمرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه، ولا تأذن في بيته إلا بإذنه) (١).

٤- المحافظة على مال زوجها وعدم الإسراف فيه: لقول الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إذا أنفقت المرأة من طعام بيتها غير مفسدة، كان لها أجرها بما أنفقت، ولزوجها أجره بما كسب، وللخازن مثل ذلك، لا ينقص بعضهم أجر بعض شيئاً) (٢).

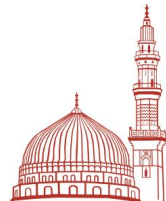
٥- تربية الأولاد تربية إسلامية وتنشئتهم على الأخلاق، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (كلكم راعٍ وكلكم مسئولٌ عن رعيته، فالإمام راعٍ وهو مسئولٌ عن رعيته، والرجل راعٍ على أهله وهو مسئولٌ عن رعيته، والمرأة راعية على بيت زوجها وهي مسئولة عن رعيته) (٣).

٦- التزين والتجمل: فمن حق الزوج على زوجته أن تتزين وتتجمل له. وهناك، حقوق كثيرة، منها: الوفاء للزوج، واحترام مشاعره، وشكر جميله، وحسن معايشرة أهله، والحداد عليه بعد وفاته، وإعانتة على فعل الخيرات والطاعات من صيام وقيام وبر والديه، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (رحم

(١) البخاري. صحيح البخاري، ج٧، ص ٣٠.

(٢) مسلم. صحيح مسلم، ج٢، ص ٧١٠.

(٣) البخاري. صحيح البخاري، ج٣، ص ١٢٠.



الله امرأة قامت من الليل فصلَّت وأيقظت زوجها، فإن أبى نضحت في وجهه الماء^(١).

﴿ حقوق الزوجة على زوجها: ﴾

كما أن للرجل حقوقاً على زوجته، فإن لها -أيضاً- حقوقاً على زوجها، وهذه الحقوق منها حقوق مالية وحقوق غير مالية، ومن هذه الحقوق ما يلي:

١- المهر: وهو حق خالص للزوجة، وهذا المهر لا حد لكثرتة أو قلته إلا أنه تكرر المغالاة في المهور، قال **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: (إن أعظم النكاح بركة، أيسره مئونة)^(٢).

٢- النفقة: والمقصود بها أن يوفر الزوج لزوجته من الطعام والمسكن والدواء، وإن كانت غنية.

٣- حسن معاشرتها، فإن أول ما يجب على الزوج لزوجته أن يعاشرها معاشرة حسنة، وأن يكرمها على قدر ما يستطيع، وأن يقدم إليها ما يؤلف قلبها ويقوي رابطة المحبة بينهما.

ومن مظاهر كمال أخلاق المسلم أن يكون رفيقاً مع أهله، يقول الرسول **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: (أكمل المؤمنين إيماناً، أحسنهم أخلاقاً، وخياركم خياركم لنسائهم خلقاً)^(٣).

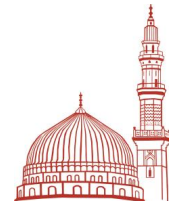
(١) أبو داود. سنن أبي داود، ج١، ص ٥٠٤.

(٢) أحمد بن حنبل. المسند، ج٤١، ص ٧٥.

(٣) الترمذي. سنن الترمذي، ج٢، ص ٢٠.

مُحَاضِرَاتُ فِي

تَارِيخُ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ



ومن إكرام المرأة تحمُّل ما يصدر منها، قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (استوصوا بالنساء خيراً، فإنهن خُلِقْنَ من ضِلَعِ أعوج، وإن أعوج شيء في الضِّلَعِ أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيراً) (١).

٤- صيانتها والحفاظ عليها من كل ما يخدش كرامتها، وينبغي أن يكون الرجل معتدلاً في غيرته على أهله؛ حتى لا تفسد الحياة الزوجية وتتحوّل إلى عذاب، وتضيع الثقة بين الزوج وزوجته وتستحيل الحياة بينهما.

٥- تعليمها أحكام دينها، وتحذيرها من المعصية، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَوْأَ أَنفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَفُودَهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ (٢).

٦- ألا يفشي سرها، وذلك لقول الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إن من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه، ثم ينشر سرها) (٣).

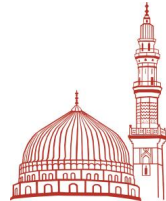
٧- عدم الإضرار بها في أي أمر من الأمور.

٨- ألا يدخل الرجل على أهله ليلاً إذا أطل الغيبة، كأن يكون في سفر،

(١) البخاري. صحيح البخاري، ج٣، ص٢٧٨.

(٢) سورة التحريم: ٦.

(٣) مسلم. صحيح مسلم، ج٢، ص١٠٦٠.



إلا إذا أعلمها، وهذا من أسمى الآداب الإسلامية في معاملة الرجل لزوجته، وهو أدعى لاحترام مشاعر الزوجة، والثقة المتبادلة، وأدعى لدوام الحب والعلاقة الحسنة بينهما، قال رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: (إذا أطال أحدكم غيبته، فلا يطرق أهله ليلاً) (١).

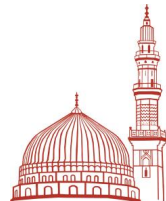
٩- العدل بين الزوجات إن كان الزوج متزوجاً بأكثر من واحدة، قال **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: (إذا كان عند الرجل امرأتان، فلم يعدل بينهما؛ جاء يوم القيامة وشقه ساقط) (٢).

الحقوق المشتركة بين الزوج وزوجته:

- ١- حق العشرة الزوجية.
- ٢- حرمة المصاهرة؛ أي أن الزوجة تحرّم على أب الزوج وأجداده وأبنائه، وفروع أبنائه وبناته، كما يحرم الزوج على أمها وبناتها .. ما دامت في عصمته.
- ٣- ثبوت حق التوارث بينهما بمجرد إتمام العقد، فإذا مات أحدهما بعد إتمام العقد ورثه الآخر، وإن لم يكن قد دخل بها.
- ٤- ثبوت نسب الولد من صاحب الفراش.

(١) البخاري. صحيح البخاري، ج٧، ص٣٩.

(٢) الترمذي. سنن الترمذي، ج٣، ص٤٤٧.



﴿ تكريم المرأة في الحضارة الإسلامية: ﴾

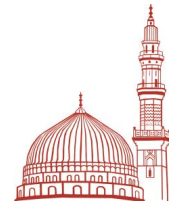
كانت المرأة قبل مجيء الإسلام مظلومة ومهانة من كل الحضارات القديمة وظلت مهضومة الحقوق حتى جاء الإسلام فاعتنى بها عناية كبيرة، ورفع مكانتها، وأعلى منزلتها.

﴿ مظاهر عناية الإسلام بالمرأة: ﴾

- ١- قضى الإسلام على صور الزواج التي كانت عند العرب في الجاهلية، ما عدا الصورة الصحيحة التي عليها زواج الناس حتى الآن، لما في ذلك من تكريم للمرأة، وأنها ليست متاعاً لكل من أراه.
- ٢- حفظ الإسلام للمرأة مكانتها، فقد كانت تورث كما يورث المتاع، فكان الابن الأكبر يرث نساء أبيه، كما يرث أنواع الميراث الأخرى، فجاء الإسلام فحرم ذلك.
- ٣- نهى الإسلام عن وأد البنات، (أي قتلهن أحياناً)؛ خوفاً من أن يأتين بالفقر.
- ٤- منح الإسلام المرأة حق التعليم.
- ٥- أجاز الإسلام للمرأة أن تعمل إذا فقدت من يعولها وكذلك إذا احتاج المجتمع الإسلامي إلى عملها.
- ٦- جعل الإسلام رضا المرأة شرطاً لصحة الزواج، فلا يستطيع أحد أن يجبر المرأة أن تتزوج بمن لا ترضاه. قال **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: (لا تُنكح

مُحَاضِرَاتُ فِي

تَارِيخُ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ



الأيّم (الثيب) حتى تُستأمر، ولا تُنكح البكر حتى تُستأذن^(١).

٧- لم يفرق الإسلام بين الرجل والمرأة على أساس النوع، إنما التفاضل

بينهما فيما فضل الله به بعضهم على بعض، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ

صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم

بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٢).

المساواة بين الناس في الحضارة الإسلامية:

كان العربي في العهد الجاهلي يؤمن بنظام الطبقات، وكانت نظرتة

للإنسان على أنه إما سيد وإما عبد، وكان يؤمن بالدم والنسب أساسًا للتفاضل

بين الناس، فجاء الإسلام، وألغى نظام الطبقات، وجعل أساس التفاضل

التقوى والعمل الصالح، قال تعالى: ﴿يٰٓأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ

شُعُوبًا وَقَبَاۗئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقٰكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^(٣). وقال النبي

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (يأيتها الناس إن ربكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب، لا

فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا

لأسود على أحمر إلا بالتقوى)^(٤).

(١) البخاري. صحيح البخاري، ج٧، ص ١٧.

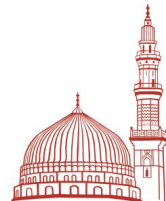
(٢) سورة النحل: ٩٧.

(٣) سورة الحجرات: ١٣.

(٤) أحمد بن حنبل. المسند، ج٣٨، ص ٤٧٤.

مُحَاضِرَاتُ فِي

تَارِيخُ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ



التكافل الاجتماعي في الحضارة الإسلامية:

لقد وضع الإسلام نظامًا دقيقًا يحقق العدالة الاجتماعية بين المسلمين، ويشيع بينهم جوًّا من المحبة والمودة والرحمة والتعاون والإيثار. والمال من الأشياء الهامة التي لها دور رئيسي في تحقيق التكافل الاجتماعي بين المسلمين، والإسلام لا يحارب الغنى، ولا ينتقص من ثروة الأغنياء، ما دامت هذه الثروة قد جاءت بطريق مشروع وأدى حق الله فيها. وهناك كثير من التشريعات المرتبطة بإنفاق المال، وكلها تعمل على توثيق التعاون والترابط والمودة والمحبة بين المسلمين، ومن هذه التشريعات: الزكاة، والصدقات، والكفارات والولائم والهدايا والهبات والوصايا، وكلها أمور تقضي على الأنانية بين الناس، وتزيل الكراهية من النفوس، وتساعد على التعاون على البر والتقوى. ومنها كفالة اليتيم ورعاية الأرملة، وهناك أمور أخرى كثيرة، مثل الوقف والقرض والعارية.

حرص الشريعة على سلامة المجتمع وطهارته:

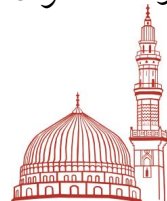
أكد الإسلام حرصه على سلامة المجتمع وطهارته ورقبه، وقد ظهر ذلك واضحًا من خلال بعض التشريعات الاجتماعية والأخلاقية، مثل:

١ - المعاملات:

أحلَّ الإسلام البيع، وفصّل أحكامه وشروطه وأركانه، والحلال منه والحرام، فأحل منه ما كان المجتمع محتاجًا إليه وفيه نفعهم، وحرّم ما كان ظلمًا وأكلًا لأموال الناس بالباطل، كما حرّم الإسلام الربا لما فيه من أخطار

مُحَاضِرَاتٌ فِي

تاريخ الحضارة العربية الإسلامية



ومضار كثيرة، فهو يسبب العداوة بين الناس، ويقضي على التعاون فيما بينهم.

٢- الحدود والقصاص:

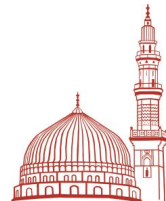
لقد حرّم الإسلام الإفساد في الأرض كسفك الدماء، وسرقة المال وغصبه، وانتهاك الأعراض، وقذف المحصنات، وقطع الطريق، وغيرها كثير، فجاءت الحدود الإسلامية لتكون مانعاً من ارتكاب هذا الفساد، وصوناً للمجتمع، كما أن إقامة الحدود من مسؤولية الحاكم المسلم، وليس للأفراد إقامة الحدود إلا من ينييه الحاكم منهم في إقامة الحد، فإن أقام الحد أحد الناس من تلقاء نفسه؛ عُرِّر لتعديه على حق من حقوق الحاكم، وحتى لا تعم الفوضى في البلاد، وتعزيره موكول للحاكم في حدود التعزير الذي قرره الشرع.

٣- الآداب الاجتماعية:

جاء الإسلام بآداب كثيرة ومتنوعة تحقق سلامة بنيان المجتمع المسلم، وتسهم في ترابطه وتعاونه مثل: إفشاء السلام، وصلة الرحم، وبر الوالدين، والأخوة، والتزاور، والإصلاح بين الناس، والتواضع، والنصح للمسلمين. وحرّم الإسلام أشياء لما لها من أثر سيء في تفكك المجتمع وتنافره وانحلاله، مثل: الغيبة والنميمة، وقطع الرحم، وعقوق الوالدين، والاعتداء على الآخرين، والغش، والكذب، والخيانة، وشهادة الزور، والظلم، إلى آخر هذه الأمور المنهي عنها في كتاب الله وسنة رسوله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**.

مُحَاضِرَاتٌ فِي

تَارِيخُ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ



﴿ مكانة العمل في المجتمع الإسلامي: ﴾

احترم الإسلام العمل فقد عمل الصحابة رضي الله عنهم، فكان الصديق **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** تاجر قماش، وسقى علي **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** بالدلاء، والزبير بن العوام **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** خياط، وسعد بن أبي وقاص **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** كان يبرئ النبل، وعمرو بن العاص **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** كان جزاراً^(١). فجعل الإسلام اجر العمل اجرين اجرأ في الآخرة عن العمل الصالح بالإضافة إلى الأجر المادي الدنيوي. قال رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: "إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه"^(٢).

﴿ احترام الحضارة الإسلامية للحيوان: ﴾

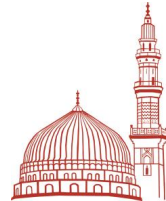
كان للحيوان نصيب كبير في المؤسسات الاجتماعية الإسلامية حيث تذكر لنا كتب التاريخ أن خلفاء المسلمين كانوا ينشرون خطابات عامة على الشعب يوصونهم بالرفق بالحيوان، ومنع الأذى والإضرار به، يروي ابن عبد الحكم في سيرة عمر بن عبد العزيز أنه نهى عن ركض الفرس إلا لحاجة، وأنه كتب إلى صاحب السكك أن لا يحملوا أحداً بلجام ثقيل، ولا ينخس بمقرعة في أسفلها حديدة، وكتب إلى واليه بمصر: أنه بلغني أن بمصر إبلاً نقالات يحمل علي البعير منها ألف رطل فإذا أتاك كتابي هذا فلا أعرفن أنه يحمل على البعير أكثر من ستمائة رطل.

(١) محمد عبدالنور. محاضرات في النظم والحضارة الإسلامية، ص ٨٣.

(٢) صحيح الجامع الصغير وزيادته. ج١، ص ٣٨٣، حديث رقم: ١٨٨٠.

مُحَاضَرَاتُ فِي

تَارِيخُ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ

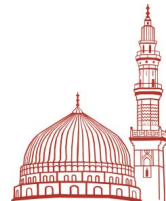


وسميت مدينة الفسطاط في مصر القديمة بذلك لأن فسطاط عمرو بن العاص حين الفتح اتخذت من أعلاه حمامة عشاً لها فلم يشأ عمرو أن يهيجها بتقويضه، فتركه، وتتابع العمران من حوله فكانت مدينة الفسطاط. وعرفت الحضارة الإسلامية منذ ابن البيط، أوقافاً خاصة لتطبيب الحيوانات المريضة، وأوقافاً لرعي الحيوانات المسنة. ومن أوقاف دمشق كان هناك وقف للقطط. وإذا كانت الشريعة الإسلامية تحرص على الحيوان في التعامل معه، وإعطائه حقوقه، إلا أنها جاءت أيضاً بقتل الضار منه^(١)، وتحريم ما يؤذي الإنسان أكله. وهذا هو التوازن الذي تسعده البشرية حقاً.

(١) فقد روى مسلم عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: "خمس من الدواب كلهن فواسق، يقتلن في الحرم: الغراب، والحدأة، والعقرب، والفأرة، والكلب العقور" متفق عليه. ولمسلم "خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم" وذكر نحوه. وفي رواية النسائي قال: "خمس يقتلن المحرم: الحية، والعقرب، والفأرة، والغراب الأبقع، والكلب العقور.

مُحَاضِرَاتُ فِي

تَارِيخُ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ





الوحدة الثامنة:
المظاهر العلمية والفكرية
في الحضارة الإسلامية

مُحَاضِرَاتٌ فِي

تَارِيخِ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ



الوحدة الثامنة:

المظاهر العلمية والفكرية في الحضارة الإسلامية



لم يعرف دين رَفَعَ قدر العلم، واهتم بالتعليم، واحترم العلماء مثل الإسلام، فالقرآن الكريم يرفع العلماء أعلى الدرجات، وأنزل الله عزَّجَلَّ أول آية من كتاب الله تعالى تحت المسلمين وتحضهم على العلم والتعلم، قال تعالى: ﴿ أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ (١). وقد رفع الله عزَّجَلَّ قدر العلماء حيث قال: ﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۝﴾ (٢). وقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مبيِّناً أهمية العلم: (طلب العلم فريضة على كل مسلم) (٣). وقد نشط المسلمون في جميع العصور في طلب العلم والمعرفة حتى تركوا لنا ميراثاً حضارياً رائعاً، يعبر عن تفوقهم في كل مجالات الحضارة.

❦ وهناك وسائل عني بها الإسلام لاكتساب العلوم منها:

١- المساجد: فهي أهم المنارات التي أضاءت للمسلمين طريق العلم والمعرفة. ومن أهم المساجد التي أسهمت في بناء الحضارة

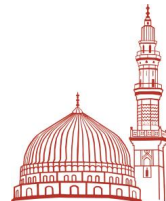
(١) سورة العلق: ١-٥.

(٢) سورة المجادلة: ١٧.

(٣) ابن ماجه. سنن ابن ماجه، ج٥، ٥٠٠.

مُحَاضَرَاتٌ فِي

تَارِيخِ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ



الإسلامية: المسجد الحرام، والمسجد النبوي، والمسجد الأقصى، والمسجد الأموي في دمشق، ومسجد عمرو بن العاص، والجامع الأزهر في مصر، ومسجد القيروان في تونس.

٢- الكتابات: يعد الكتاب خطوة جديدة نحو تطوير المنشآت التعليمية بعد أن ضاقت المساجد عن استيعاب أعداد المتعلمين، فانتشرت هذه الكتابات في كل بلاد المسلمين.

٣- المكتبات: قام الحكام المسلمون بإنشاء المكتبات المملوءة بالكتب النافعة في مجالات العلوم، واشتهرت بغداد ودمشق والقاهرة بمكتباتها الزاخرة بأهمّ الكتب في كل فروع المعرفة.

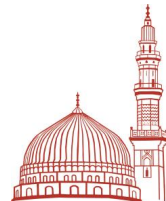
٤- المدارس: كانت هذه المدارس منارات لتخريج العلماء، وقد انتشرت هذه المدارس في بغداد وأصفهان والبصرة والموصل وغيرها.

تعليم النساء في الحضارة الإسلامية:

لم يفرّق الإسلام بين الرجل والمرأة في التعليم، بل جعل تعليم المرأة أمور دينها، وما تستقيم به حياتها فرضاً يجب عليها أن تتعلمه، وقد ورد أن الشفاء بنت عبد الله العدوية علمت حفصة أم المؤمنين **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا** الكتابة بعلم رسول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وعدد العلماء من النساء المتعلمات في عصر الرسول: عائشة وحفصة وأم سلمة أمهات المؤمنين وأم أيمن وأم عطية وعاتكة بنت زيد والخنساء بنت الشريد وقتيلة بنت النضر. وكان **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يخرج إلى

مُحَاضِرَاتٌ فِي

تاريخ الحضارة العربية الإسلامية



النساء فيعظهن ويعلمهن، لأن ترك النساء بغير تعليم يؤدي إلى جهلهن بما يجب عليهن من أمور دينهن، وحقوق أزواجهن، وتربية أولادهن، والنساء نصف المجتمع، وتعليمهن يرفع من مستوى الأمة، ويمكنهن من القيام بواجبهن، وبذلك يسهمن في تطوير الحياة في الأمة التي يعيش فيها^(١).

﴿ الحَرَكَة العِلْمِيَّة في عَصْر الرُّسُول ﷺ ﴾:

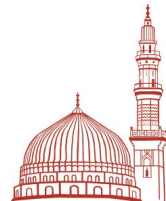
كانت الحركة العلمية في المدينة المنورة في دولة الإسلام الأولى، نشأت صغيرة مع الدولة الناشئة، ثم نمت برعاية الإسلام لها وعناية الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بها، واتخذ الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خطوات عملية لتحقيق تلك الغاية، فجعل فداء أسرى بدر الذين يحسنون الكتابة أن يعلم كل واحد منهم عشرة من المسلمين وأمر سعيد بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ^(٢) أن يعلم المسلمين القراءة والكتابة، وهكذا انتشرت الكتابة بين المسلمين حتى أصبح عدد كتابه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اثنين وأربعين كاتبًا وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يجلس في المسجد، فيعلم الجاهل، ويفتي السائل، ويعبر الرؤيا ويبين الأحكام. وقد عرفت أدوات الكتابة في عهد الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كالقلم واليدوية -المحبرة- وأما الألواح فكانوا يكتبون على الخرق والأكتاف والحجارة

(١) الوكيل. محمد، الحركة العلمية في عصر الرسول وخلفائه، ص ٣٥.

(٢) سعيد بن العاص الأموي القرشي: صحابي، من الأمراء الولاة الفاتحين. ربي في حجر عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. وولاه عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الكوفة وهو فاتح طبرستان. وأحد الذين كتبوا المصحف لعثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

مُحَاضِرَاتُ فِي

تَارِيخُ الحَضَارَةِ العَرَبِيَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ



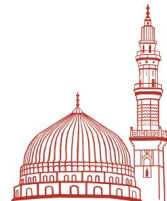
وسعف النخل. واشتملت مناهج التعليم في عهد النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** على جوانب مختلفة من العلم فلم تقتصر على العلوم الدينية، ولم تهمل العلوم الإنسانية، ولم تتجاهل المعارف التي احتاج إليها الناس في معاشهم كما يحتاجون إلى العلوم الدينية في معادهم. لهذا كانت مناهج التعليم تحتوي على العلوم الدينية والعلوم اللغوية، وتضم العلوم الإنسانية إلى العلوم العسكرية، وخصصت قسطاً غير قليل لعلوم الطب والحساب والأنساب. وكان **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يأمر بكتابة العلم حتى لا يتفلسف من صاحبه، لأن تقييد العلم بالكتابة فيه حفظ للعلم من الضياع.

وقد أرسل الرسول **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** المعلمين إلى أنحاء الجزيرة المختلفة ليعلموا الناس ويفقهوهم، فخلف معاذ بن جبل **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** في مكة بعد الفتح ليفقه أهلها، ويعلمهم الحلال والحرام ويقرئهم القرآن. وأرسل أبو موسى الأشعري ومعاذ بن جبل **رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا** إلى اليمن يدعوان إلى الإسلام فأسلم أهلها طوعاً من غير قتال. وبعث العلاء بن الحضرمي **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** إلى البحرين فأسلم حاكمها وصدق، وأقره الرسول على البحرين يعلم أهلها، ويفقههم وظل بها حتى أخرجها عندما ارتدوا^(١).

﴿ الحَرَكَةُ الْعِلْمِيَّةُ فِي عَهْدِ الْخُلَفَاءِ الرَّشِيدِينَ ﴾

بدأت الخلافة الرشيدة بتولي أبي بكر **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** أمور المسلمين بعد

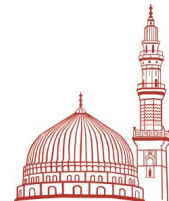
(١) الوكيل. الحَرَكَةُ الْعِلْمِيَّةُ فِي عَصْرِ الرَّسُولِ وَخُلَفَائِهِ، ص ٤٣.



الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكانت مدة خلافته مملوءة بالأمر التي شغلته عن أن يبرز له أثر في الإصلاحات الداخلية كعمارة المسجد والحركة العلمية وغيرهما، كما أن المسلمين أنفسهم كانوا في شغل شاغل عن الاهتمام بتلك الأمور حيث كانت حركة الردة قد استفحلت، وخشى المسلمون على دينهم أن يقع فريسة في أفواه الوحوش الضارية، فهبوا جميعاً لنصرته، وتأديب المتمردين وردهم إلى الإسلام أو القضاء عليهم. وقضى على الردة والمرتدين وزحفت الجيوش الإسلامية على العراق والشام، وعادت الجزيرة إلى ظلال الإسلام، وأخذت الحركة العلمية وضعها الطبيعي في آخر خلافة الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فهذا ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يدرس ويفتي، وهذا معاذ بن جبل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يعلم ويرشد. وفي خلافة عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ اتسعت رقعة البلاد المفتوحة، ودخل فريق كبير من أهلها في الإسلام، وفي عقولهم علوم مدروسة، وحضارة موروثه ولم يكن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ممن يغيب عنه أثر تلك العلوم وهذه الحضارة في عقول ونفوس أصحابها، ولم يكن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ممن يضيق صدره بمثل تلك العلوم فيرفضها، ولا ممن يتنكرون للحضارة ويردها ولكنه كان فسيح الصدر، واسع الأفق، بعيد الغور، حريصاً على الخير. كان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يعلم تماماً أن هذه العلوم وتلك الحضارة لا بد أن تنتقل يوماً ما إلى عقول المسلمين، وعاداتهم، ويعلم كذلك أنها لا بد أن تؤثر في المسلمين بقدر ما تصادف منهم من الوعي والإدراك، ومع ذلك لم ينع عنها، ولم يمنع أصحابها من التحدث بها.

مُحَاضَرَاتٌ فِي

تَارِيخُ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ



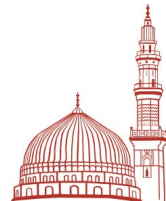
وهكذا وسع الخلفاء بعد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مجال الحركة العلمية، حتى شملت جميع الجهات المفتوحة، وكان حرص الخلفاء على تزويد هذه الجهات بعلماء الصحابة، حتى يتعلم أهلها الإسلام من مصادره الوثيقة، ويتخذون المسجد مقراً للتعليم، فيجلسون فيه حلقاتاً، ويقرأون القرآن، ويتدارسون العلم، وقد سمح عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لتميم الداري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن يقص في المسجد فيعظ الناس ويعلمهم يوماً أو يومين في الأسبوع. ولما كثرت الفتوح ودخل الناس كثيراً في الإسلام منهم العرب والعجم، وكثر الولدان، أمر عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ببناء بيوت المكاتب، ونصب الرجال لتعليمهم وتأديبهم، فبنى مكاتب التعليم ليكون له مكان مستقل بدلاً من المسجد، ولم يكن ذلك من قبل.

✽ الحركة العلمية في العهد الأموي:

بعدما انجلت الفتنة عن المسلمين، واستقرت الخلافة بأيدي الأمويين بدأت الحركة العلمية في الازدهار وعكف كل فريق من العلماء وتأصيل القواعد وتأليف الكتب في مختلف الفنون، فكان معاوية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يشجع الولاة والعلماء وأبناء الأمة على إيجاد نهضة ثقافية حضارية، وشهد عصره نهضة في التفسير وعلوم القرآن والفقه والعقيدة، وتآلق فيه نجم عديد من العلماء الذين ظل المسلمون بعد ذلك يأخذون من علومهم ويستشهدون بأقوالهم واجتهاداتهم، كابن عباس وأبي هريرة، وابن عمر، وغيرهم وكانت العلوم الرئيسية هي القرآن الكريم والسنة النبوية والفقه واللغة العربية

مُحَاضِرَاتٌ فِي

تاريخ الحضارة العربية الإسلامية



والتاريخ وظهرت المدارس العلمية في مكة والمدينة والبصرة على استنباط الأحكام والكوفة والشام ومصر وغيرها وأشرف الصحابة الكرام على تعليم وتربية الناس فيها، واستطاعت تلك المدارس أن تخرج كوادر علمية وفقهية ودعوية متميزة^(١).

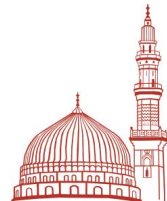
الحركة العلمية في العهد العباسي:

شهد عصر القوة العباسي نهضة علمية بالغة القوة والتنوع في شتى المجالات، وفي العصر العباسي تجددت الحياة في كل جانب من جوانبها، وازدهرت الثقافة والفكر ازدهارًا عكس آثاره على كل لون من ألوان الحضارة الإسلامية فشهد هذا العهد ظهور علوم نقلية كثيرة مثل: علم التفسير وعلم القراءات وعلم الحديث، والفقه، وعلم الكلام، والنحو واللغة، والبيان، والأدب. وزاد الاهتمام بالعلوم العقلية مثل: الفلسفة، والهندسة، والطب، والكيمياء، والتاريخ، والجغرافيا.

ويمكن أن أرجع أسباب ازدهار العلوم في العصر العباسي إلى أمور منها:

- ١- حب الخلفاء العباسيين للعلم.
- ٢- التشجيع المادي للعلماء وتقريبهم.
- ٣- حركة الترجمة والتي قام الخلفاء العباسيين بتشجيعها.

(١) الصَّلَابِي. علي محمد، الدولة الأمويَّة عواملُ الازدهارِ وتَداعيات الانهيار،



- ٤- الشغف العلمي الشديد مما دفع العلماء إلى الرحلة في طلب العلم.
- ٥- اتساع رقعة الأمة، وتعاضم عمراتها، وارتفاع شأنها.

مجالات العلوم التي اهتم المسلمون بتعليمها:

من أهم مجالات العلوم التي اهتم المسلمون بتعليمها: العلوم الأصيلة، والعلوم المقتبسة.

أولاً: مجال العلوم الأصيلة:

هي العلوم التي تتصل بالقرآن الكريم والسنة النبوية وأصول الدين وما يخص الأمة من آداب وتاريخ، وقد أبدعها المسلمون أنفسهم، ولم يقتبسوها من غيرهم، ومن أبرز هذه العلوم:

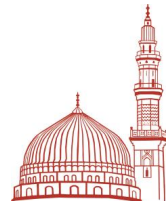
١- علم القراءات القرآنية:

وُجدت القراءات مع وجود القرآن الكريم، فقد كان جبريل عَلَيْهِ السَّلَام يُقرئ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأكثر من طريقة؛ تيسيراً على الناس؛ لاختلاف لهجاتهم، واهتم صحابة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بحفظ القرآن وتدوينه وتعليمه، واشتهر من بينهم بحفظ القرآن علي بن أبي طالب، وعثمان بن عفان، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعري، وسالم مولى حذيفة، وعبد الله بن مسعود، وأبو الدرداء، ومعاذ بن جبل، وغيرهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

وقد أخذ عنهم عدد كبير من الصحابة -أيضاً- والتابعين في الأمصار،

مُحَاضِرَاتٌ فِي

تَارِيخُ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ



فراح الناس يقرءون على طريقتهم في القراءة إلى أن جاء القراء السبعة المشهورون.

ومن هنا نشأ علم القراءات، والقراءات جمع قراءة، وهي مذهب من مذاهب النطق في القرآن قرأ به إمام من أئمة القراءات، يختلف عن المذهب الذي قرأ به غيره في الأداء والحروف، وقد اهتم المسلمون بتدوين هذه القراءات وضبطها وبيان قواعدها، وبيان أئمتها ورواتها وسننها والفروق بينها، كما اهتموا ببيان أنواعها، وقد أسهم هذا العلم وعلم التجويد في الحفاظ على قراءة القرآن الكريم قراءة صحيحة، والحفاظ عليه من التحريف والتبديل، كما أسهم علم التجويد في نشأة علم أصوات اللغة العربية، والتي وضع لها علماء المسلمين القواعد فيما بعد، واستفاد منها علماء اللغة في العصر الحديث.

٢- علم التفسير:

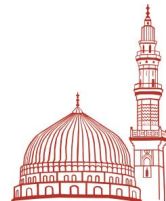
هو العلم الذي يبحث في أوجه معاني كلام الله تعالى، ومعرفة المراد منه، ومعرفة أحكامه وحكمه، وما اشتمل من عقائد وأسرار، وقد قدم تفسير القرآن للحضارة الإسلامية خدمات جليلة، منها: أنه ساعد على استنباط الأحكام من كتاب الله، ومعرفة قواعد وأصول الحضارة الإسلامية في كل مجالات الحياة، كما ساعد على فهم مقاصد كتاب الله.

٣- علم الحديث:

نشط العلماء في جمع وتدوين أحاديث الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في القرن

مُحَاضِرَاتٌ فِي

تَارِيخُ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ



الثالث الهجري، ويعد هذا القرن هو القرن الذهبي لتدوين الحديث، فقد ظهر في هذا القرن أصحاب الكتب الستة: ومنها: صحيح البخاري للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، وصحيح مسلم للإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري، وقد اتبع هذان العالمان الدقة والأمانة في جمع الأحاديث النبوية، فبالثقة المسلمين جميعاً، وأصبح كتابهما أصح كتابين بعد كتاب الله تعالى. كما ظهر ما يعرف بكتب السنن، كسنن أبي داود، وسنن الترمذي، وسنن النسائي، وسنن ابن ماجه، كما ظهرت المسانيد، كمسند أحمد بن حنبل، ومسند أبي عوانة، والمستخرجات والمستدركات كمستدرك الحاكم على الصحيحين. كما ظهر علم مصطلح الحديث، وهذا العلم يهتم بمعرفة الحديث الصحيح والحسن من الضعيف والموضوع، كما ظهرت كتب خاصة بالضعيف، وأخرى خاصة بالموضوع. واهتم العلماء في كل العصور بسنة رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** حتى عصرنا الحالي.

٤ - علم الفقه:

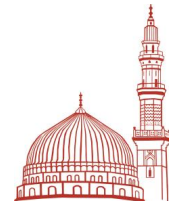
وهو الطريق لمعرفة الأحكام الشرعية العملية من خلال الأدلة التفصيلية. وهو ما استنبطه المجتهدون من الشريعة، او هو ما استنبط عن طريق الاجتهاد الشرعي. وهو حفظ طائفة من مسائل الأحكام الشرعية العملية الواردة في الكتاب والسنة.

المذاهب الفقهية الأربعة:

المذهب الحنفي: وهذا المذهب، يعد امتداداً لمدرسة الصحابي عبد الله

مُحَاضِرَاتُ فِي

تَارِيخُ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ



بن مسعود في الكوفة، وإمام ذلك المذهب الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت ٨٠ - ١٥٠ هـ. ويتركز اتباعه في شبه القارة الهندية وأفغانستان ووسط آسيا حتى تركيا وسنة العراق. ومن أشهر تلاميذ أبي حنيفة: أبو يوسف، ومحمد بن الحسن الشيباني.

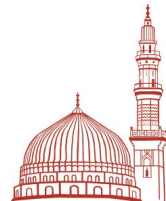
المذهب المالكي: وهو امتداد لمدرسة المدينة، وينسب إلى الفقيه المدني مالك بن أنس ت ١٧٩ هـ، وللإمام مالك كتاب الموطأ، وينتمي إليه أغلب مسلمي شمال إفريقيا والسودان والسنغال وما وراءهما من بلدان غرب ووسط إفريقيا.

المذهب الشافعي: ومؤسسه هو الإمام محمد بن إدريس الشافعي ١٥٠ - ٢٠٤ هـ أحد أئمة الفقه الأعلام، ومن أشهر تلاميذه أبو ثور الربيع المرادي ت ٢٧٠ هـ، ويوسف بن يحيى البويطي ت ٢٣١ هـ، وإسماعيل بن يحيى المُرَني ت ٢٦٤ هـ، وينتمي إليه معظم مسلمي اليمن والشام واندونيسيا وماليزيا وشرق قارة إفريقيا.

المذهب الحنبلي: وينسب هذا المذهب إلى الإمام أحمد بن حنبل ١٦٤ - ٢٤١ هـ، وينتمي إليه كثير من مسلمي شبه جزيرة العرب، وبعض مسلمي الشام. وهو مذهب قائم على الحديث النبوي الشريف، وأفعال الصحابة، ولم يترك الإمام أحمد مؤلفات تعبر عن فقهه لكن تلاميذه نقلوا آراءه الفقهية، فحُفظ بذلك مذهبه من الضياع، ومن تلامذته: صالح بن أحمد بن حنبل ت ٢٦٦ هـ وإبراهيم بن إسحاق الحربي ت ٢٨٥ هـ. وهكذا لعب

مُحَاضِرَاتُ فِي

تَارِيخُ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ



الفقهاء دورًا هامًا في ازدهار الحضارة الإسلامية ورفيها، بما قدموا لها من اجتهادات واستنباطات وهذا من عظمة الفقه الإسلامي.

٥- اللغة والأدب:

أعطى العرب لغتهم للحضارة الإسلامية، واهتموا بها اهتمامًا كبيرًا، لأن باقي العلوم الإسلامية تحتاج إلى فهم اللغة العربية فهمًا جيدًا، فاهتم العلماء بدراسة حروف اللغة وخصائص كل حرف، وكيفية النطق به، وظهر عدد من الأدباء والفصحاء من الشعراء والخطباء فأبدعوا لنا شعرًا رائعًا ونثرًا أمتع العقول والمشاعر والعواطف.

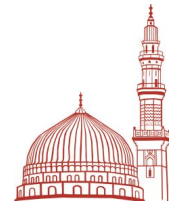
وقد كانت اللغة العربية لغة الحضارة الإسلامية، فتعلمها سكان البلاد التي فتحها المسلمون الأوائل، وصارت لغة العلم في كافة الأقطار الإسلامية.

٦- التاريخ:

اهتم المؤرخون المسلمون بتدوين تاريخ الإسلام، وأخذوا هذا العلم من مصادره الأصلية، وقد اهتموا اهتمامًا خاصًا بسيرة الرسول **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وقد ظهر في القرن الثالث الهجري. ومن أشهر المؤرخين المسلمين ما يلي:

المؤرخ الأول: محمد بن جرير الطبري^(١): صاحب كتاب تاريخ الرسل

(١) محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر: المؤرخ المفسر الإمام. ولد في أمل طبرستان، واستوطن بغداد وتوفي بها. وعرض عليه القضاء فامتنع، والمظالم فأبى. له أخبار الرسل والملوك.



والملوك ويعتبر "تاريخ الطبري" من أهم كتب التاريخ الإسلامي فهو ذروة التأليف التاريخي عند المسلمين، ومن أوسع الكتب التاريخية وأكثرها شمولاً للأحداث لأمر كثيرة منها:

١- غزارة علمه ومكانته عند العلماء الأمر الذي أعطى مؤلفه هذه الأهمية العلمية.

٢- من أوسع كتب التاريخ وأكثرها مادة علمية كما أنه غطى تاريخه فترة زمنية طويلة كانت قريبه من عهد الإمام الطبري .

٣- أنه أوثق مصدر للتاريخ الإسلامي، لأنه يورد الحوادث . فقلما نجد كتاباً على مثل سعة تاريخه اهتم بالإسناد .

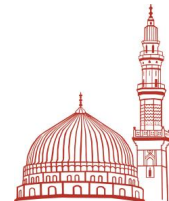
٤- اهتمام المؤرخين به وقيام الكثير منهم بخدمته والنقل عنه فجل من جاء بعده أعتمد عليه في تاريخ القرون الثلاثة الأولى من تاريخ الإسلام.

٥- جمع الكتاب بين السهولة والجزالة والوفاء، وفي تصويره للحوادث وضوح وقوة.

٦- سعة اطلاعه على كتب الادب واشعار العرب فاستطاع أن يرصع كتابه بالقصائد البديعة، والمقطوعات البارعة، والخطب البليغة، والأقوال الحكيمة، وهو لا يعرضها في بذخ وإسراف، وإنما يذكرها في مناسباتها، وينزلها منازلها اللائقة، فيضئ بها جوانب التاريخ، ويجلوا غوامض الحوادث.

مُحَاضِرَاتُ فِي

تَآرِخُ الحَضَارَةِ العَرَبِيَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ



المؤرخ الثاني: ابن الأثير^(١): صاحب كتاب الكامل في التاريخ، يعتبر الكامل في التاريخ من المصادر التاريخية الغنية بمعلوماته التاريخية ومؤرخه مؤرخ ثقة وكتابه تاريخ عام مرتب على السنين، بلغ فيه عام ٦٢٩ هـ. وهناك عشرات بل مئات من الكتب التي تحدثت عن حياة العلماء والولاة والقضاة والأطباء والفقهاء والمفسرين وغيرهم، وهي تشهد بعظمة هؤلاء الرجال والجهد الرائع الذي بذلوه من أجل الحفاظ على تراثهم وتاريخهم، وهذه الكتب تسمى كتب التراجم والطبقات، ومنها: أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير. والطبقات الكبرى لابن سعد. وكتاب الطبقات الكبير للواقدي. وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي. وسير أعلام النبلاء للذهبي، وغير ذلك.

ثانياً: مجال العلوم المقتبسة:

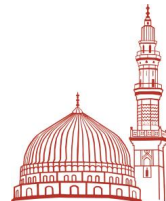
العلوم المقتبسة هي العلوم التجريبية التي تقوم على التجربة والاستنباط، وتهدف إلى إسعاد الناس وتسهيل حياتهم وخدمتهم، وقد كان للعرب قصب السبق في تقدمها ووصولها إلى الغرب في مجالات مختلفة^(٢)، وهذه العلوم

(١) ابن الأثير: علي بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، المؤرخ الإمام. ولد سنة ٥٥٥ هـ ونشأ في جزيرة ابن عمر، وسكن الموصل. وتوفي بها سنة ٦٣٠ هـ. من تصانيفه "الكامل" وأسد الغابة في معرفة الصحابة والجامع الكبير. ينظر: الزركلي. الأعلام، ج٤، ص ٢٤٨.

(٢) أبو زيد شلبي. تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي، ص ٣٠٥، مكتبة القاهرة، الطبعة الأولى.

مُحَاضَرَاتٌ فِي

تَارِيخُ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ



مثل الفلك والهندسة والحساب والجبر والكيمياء والفيزياء والتاريخ والطب، وغير ذلك من العلوم التطبيقية.

وقد أسهم المسلمون الأوائل بدور كبير في هذه العلوم، لأن ديننا الحنيف يحث دائماً على البحث والتحري ودقة النظر، والتأمل في معالم هذا الكون، واستتاج قدرة الله **عَزَّوَجَلَّ**، ولقد تعددت إنجازات المسلمين في العلوم المقتبسة، ومنها:

١ - علم الفلك^(١):

وهو العلم الذي يعرف به أحوال الكواكب والنجوم في السماء وحركاتها وأبعادها، وقد برع المسلمون فيه براعة كبيرة ومن أهم علماء الفلك الذين نبغوا في ظل الحضارة الإسلامية:

١ - البتاني محمد بن جابر بن سنان^(٢). يعدُّ أحد المشهورين برصد

(١) علم الفلك قسماً: الأول: هو معرفة منازل القمر والنجوم والمطالع وغيرها مما يعين في معرفة القبلة والاهتداء في البر والبحر ونحوها، وهو ما يسمى بعلم التسيير وقد اتجه الكثير من علماء المسلمون لدراسة القسم الأول من هذا العلم دراسة دقيقة نابعة من توجيهات القرآن الكريم وإشاراته.

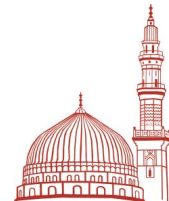
والثاني: هو الاستدلال بالحوادث الفلكية على الحوادث الأرضية وادعاء معرفة الغيب، وهو ما يعرف بالتنجيم، ويسمى علم التأثير والعلماء جميعاً مجمعون على حرمة وإبطاله شرعاً وعقلاً.

(٢) محمد بن جابر بن سنان الحرَّاني الرقي الصابئ، أبو عبد الله المعروف بالبتاني: فلكي مهندس، اشتغل برصد الكواكب من سنة ٢٦٤ إلى ٣٠٦ هـ، ومن أشهر

=

مُحَاضَرَاتٌ فِي

تَارِيخُ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ



الكواكب والمتقدمين في علم الهندسة، وهيئة الأفلاك، وحساب النجوم. حيث ذكر قدرى طوقان في كتابه تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك أن كاجوري وهاليه يعدان البتاني من أقدر علماء الرصد، وسماه بعض الباحثين بطليموس العرب. كما وصفه جورج سارطون بأنه أعظم فلكي جنسه وزمنه، ومن أعظم علماء الإسلام.

٢- أبو إسحاق إبراهيم بن يحيى النقاش^(١) الذي عاش في القرن الرابع الهجري، وولد في قرطبة، وعمل في طليطلة بالأندلس، وقد أنشأ مرصد فلكية عديدة، واخترع جهاز الأسطرلاب الفلكي لقياس اتجاهات الرياح وسرعتها وتحديد الليل والنهار، مما أدهش علماء أوروبا.

٣- الفزاري^(٢). كان عالمًا بالفلك، وهو أول من عمل في الإسلام إصطربلاًبًا.

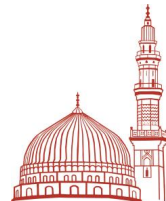
مؤلفاته كتاب معرفة مطالع البروج فيما بين أرباع الفلك، يتناول البتاني في هذا المؤلف الحل الرياضي للمسألة التنجيمية لاتجاه الراصد. ورسالة في مقدار الاتصالات.

(١) إبراهيم بن يحيى التجيبي النقاش، أبو إسحاق المعروف بابن الزرقالة: فلكي أندلسي، من أهل طليطلة.

(٢) الفزاري: هو محمد بن إبراهيم بن محمد بن حبيب بن سمرة بن جندب الفزاري.

مُحَاضَرَاتٌ فِي

تَارِيخِ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ



٢- علوم الرياضيات:

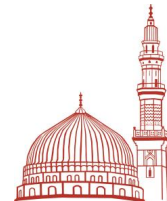
تدين الرياضيات بشطر كبير من تقدمها للعرب والمسلمين، ومن اسهاماتهم في الرياضيات تهذيبهم للأرقام الهندية^(١)، ويعد محمد بن موسى الخوارزمي صاحب الفضل الأكبر في معرفة خانات الأحاد والعشرات والمئات، وفي معرفة الزوجي من الفردي في الأعداد، وفي معرفة عمليات الكسور العشرية، واستخدامها في تحديد النسبة بين محيط الدائرة، وقطرها مما لم تعرفه أوروبا قبله.

كما أن المسلمين أخذوا حساب المثلثات والهندسة عن الأمم السابقة، وكان أهم ما ترجموه كتاب هندسة إقليدس ونقدوا نظريات السابقين، وأضافوا إليها الكثير، فابتكروا نظريات هندسية جديدة، فجددوا وأضافوا في المساحات والأحجام، وتحليل المسائل الهندسية، وتقسيم الزوايا، ومحيط الدائرة وكيفية إيجاد نسبة محيط الدائرة إلى قطرها مما سهل لهم أمورًا كثيرة في فنون العمارة والزخارف الإسلامية، وقد كان في مقدمة علماء المسلمين في اله أبو جعفر الخازن، بالإضافة إلى أبناء موسى الثلاثة شاعر وأحمد والحسن.

٣- علم الجغرافيا:

استفاد المسلمون من معارف الأمم السابقة في الجغرافية، وأضافوا إليها معلومات جغرافية كثيرة، فقد برعوا في مجال الجغرافيا الوصفية، وهي ما

(١) فتحي علي. أثر العرب والمسلمين في النهضة الأوروبية، ص ٣١، القاهرة، ١٩٩٦م، مركز البحوث العربية.



عرف بعلم المسالك والممالك، وقاموا في ذلك بعدة رحلات برية وبحرية كثيرة وصفوا خلالها الطرق والمسافات والمدن والأقطار وصفًا دقيقًا رائعًا، كما برع المسلمون في مجال التأليف الجغرافي ومحاولة التفسير العلمي لبعض الظواهر الجغرافية، ونجحوا نجاحًا باهرًا في فن رسم الخرائط، مما يدل على الدقة وسعة الثقافة التي وصل إليها الجغرافيون المسلمون في معرفة البلاد ورسم مواقعها. ومن أهم الجغرافيين والرحالة المسلمين: محمد بن موسى الخوارزمي وابنه أحمد، واليعقوبي (١). وياقوت الحموي (٢).

٤ - علم الفيزياء:

درس المسلمون ظواهر عديدة في البحر، كالمد والجزر، والبراكين، وظواهر جوية كالضغط الجوي والرياح والأعاصير، والمطر والسحاب والبرق والرعد وظواهر الصوت والضوء وغيرها. وظهر أبو الحسن بن الهيثم (٣)، الذي اخترع الحجرة المظلمة في التصوير وصاحب النظريات

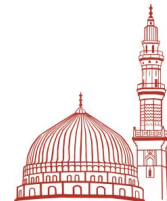
(١) اليعقوبي: هو أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح العباسي من أهل بغداد، ألف كتاب البلدان، واهتم فيه بالجغرافية الطبيعية، والنواحي البشرية لبلدان كثيرة.

(٢) هو ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، أبو عبد الله، شهاب الدين: مؤرخ ثقة، من أئمة الجغرافيين، ومن العلماء باللغة والأدب.

(٣) محمد بن الحسن بن الهيثم، مهندس من أهل البصرة، يلقب ببطليموس الثاني له تصانيف في الهندسة وكتبه كثيرة تزيد على سبعين، منها المناظر وتهذيب المجسطي والشكوك على بطليموس.

مُحَاضَرَاتٌ فِي

تاريخ الحضارة العربية الإسلامية



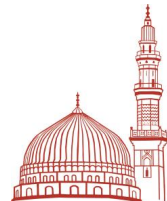
المعروفة في علم البصريات. وقدم الكندي في علم الفيزياء الكثير في البصريات الهندسية والفيزيولوجية. ودرس المسلمون الصوت والضوء، وعرفوا كيفية تمييز الأصوات من خلال دراسة الأوتار الصوتية، واهتزازاتها، وعرفوا المرايا بأنواعها.

٥ - علوم الحياة:

وهي العلوم التي تدرس النبات والحيوان. وقد اشتغل المسلمون بعلمي النبات والحيوان، واهتموا بهما اهتمامًا عظيمًا، وكانت تعاليم القرآن والإشارات العلمية الواردة فيه خير دافع للمسلمين للبحث في جميع فروع المعرفة، ومنها علوم الحياة.

وقد ألف أبو حنيفة الدينوري^(١) الملقب بشيخ علماء النبات كتاب النبات، وألف الإدريسي كتاب الجامع لصفات أشاتات النبات. واهتم المسلمون بالزراعة، وأصبحت على أيديهم علمًا له أصوله وقواعده قبل باقي العلوم الأخرى. واهتم المسلمون بالحيوان، فدرسوه بالتفصيل في كتبهم، ومن أبرز من كتبوا في هذا المجال: الجاحظ في كتابه الحيوان، والدميري في كتابه حياة الحيوان الكبرى، كما وجدت كتب عن البيطرة مثل: علاج الحيوانات، ومنها كتب للرمّاح.

(١) أبو حنيفة الدينوري: أحمد بن داود بن وند الدينوري، أبو حنيفة: مهندس مؤرخ نباتي، من نوابغ الدهر.



وقد اعترف الأوروبيون بفضل العلماء المسلمين ودورهم في نقل كثير من النباتات إلى مصر والأندلس وصقلية، والتي استفاد منها الغربيون في زراعاتهم ومنها القطن، والبطيخ، وقصب السكر، والليمون، واهتموا بشق الترع والقنوات، وقد ذكر ابن حوقل في كتابه المسالك والممالك أخبارًا كثيرة عن هذه الترع والقنوات والأنهار.

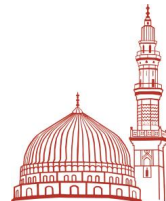
٦- علم الكيمياء:

عرف المسلمون علم الكيمياء في وقت مبكر، وذلك على يد خالد بن يزيد بن معاوية^(١) الذي ترك حقه في الخلافة؛ لأنه كان يحب العلم ويفضله على أي شيء آخر، فقام بترجمة كتب النجوم والطب والكيمياء. وبرع في هذا الجانب جابر بن حيان^(٢) الذي أكد على أن التجربة هي أهم مراحل

(١) خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي، أبو هاشم حكيم قرشي وعالمها في عصره. اشتغل بالكيمياء والطب والنجوم، فأتقنها وألف فيها رسائل. قال ابن النديم كان خالد بن يزيد فاضلاً في نفسه له همة ومحبة للعلوم، خطر بباله حب الصنعة الكيمياء فأمر بإحضار جماعة من فلاسفة اليونانيين ممن كان ينزل مصر وقد تفصّح بالعربية وأمرهم بنقل الكتب من اللسان اليوناني والقبطي إلى العربي. وهذا أول نقل كان في الإسلام من لغة إلى لغة.

(٢) جابر بن حيان: أبو موسى: فيلسوف كيميائي، وهو أول من استخرج حامض الكبريتيك وسماء زيت الزاج، وأول من اكتشف الصودا الكاوية، وأول من استحضر ماء الذهب، وينسب إليه استحضر مركبات أخرى مثل كربونات البوتاسيوم وكربونات الصوديوم.

مُحَاضَرَاتٌ فِي



البحث العلمي، وبذلك وضع أسس المنهج التجريبي الحديث، وهو المنهج الذي يقوم على التجربة والملاحظة والاستنتاج، كما عرف ابن حيان كثيراً من العمليات الكيميائية، ووصفها بدقة مثل: التبخير، والترشيح، والتقطير، والإذابة، وقد أجرى بعض التفاعلات الكيميائية، وحصل من خلالها على محلول نترات الفضة. هذا وقد بلغت كتبه أكثر من مائة كتاب مثل: الخواص الكبير، والموازنين، والإيضاح، وقد عرف الغربيون له قدره فترجموا مؤلفاته إلى اللاتينية من شدة إعجابهم بها.

ومن الكيميائيين المسلمين الذين برعوا في هذا المجال، محمد ابن زكريا الرازي^(١)، صاحب كتاب الأسرار في الكيمياء، الذي استخدم علم الكيمياء في الطب وعلاج كثير من الأمراض داخل جسم الإنسان.

ولقد كثرت منجزات المسلمين في علم الكيمياء، فحصلوا على مركبات وعناصر كيميائية كثيرة مثل: مركبات البوتاسيوم والصوديوم، واستخدموا ثاني أكسيد الكربون في صناعة الزجاج، وساهموا في صناعة الصابون والروائح.

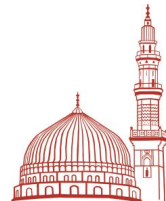
٧- علم الطب:

اهتم المسلمون بالطب لما ورد في القرآن الكريم وسنة النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**،

(١) هو أبو بكر محمد بن زكريا الرازي، كان واسع الاطلاع وله مشاركات في الحساب والكيمياء والفلسفة، وله تصانيف كثيرة منها كتاب الأسرار في الكيمياء كما نبغ واشتهر في علم الطب شهرة عظيمة، له مؤلفات كثيرة بلغت مائتين وثلاثين كتاباً ورسالة في العلوم الطبية، وغيرها، ومنها الحاوي، منافع الأغذية ودفع مضارها.

مُحَاضَرَاتٌ فِي

تَارِيخُ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ



من إشارات طبية، وأمر بالتداوي، وقد احتوت كتب أئمة الحديث على أحاديث الرسول **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** التي تتعلق بالأمراض وبعلاجها. وقد عرف المسلمون الأوائل التخصص، فلم يسمحوا لأحد بممارسة الطب إلا بعد نجاحه في امتحان في كتب التخصص المعروفة، للتأكد من سعة ثقافة الطلاب النظرية والعملية، وللوثوق من مهارتهم ومقدرتهم على التشخيص والعلاج، قبل أداء اليمين، وحصولهم على شهادة مكتوبة تحدد لهم الأمراض التي يمكنهم مواجهتها وعلاجها. وكان الأطباء يخضعون لرقابة الدولة. ويعتبر الأطباء المسلمون أول من استعمل التخدير في الجراحة الطبية، حيث اخترعوا الأسفنجة المخدرة، وكذلك كانوا أول من استعمل الخيوط المصنوعة من أمعاء الحيوان في تخييط الجروح. واشتهر من العلماء الرازي الذي كان له دور كبير في التفريق بين الأعراض المتشابهة لبعض الأمراض، مثل: ألم القولون، وألم الكلى، والتفريق بين الجدري والحصبة.

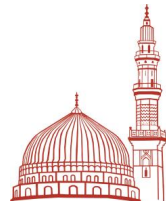
ومن التخصصات الطبية التي عرفها المسلمون:

١- الأمراض الباطنية: لقد عرف المسلمون تركيب جسم الإنسان وأجهزته، وطبيعة المعدة وأمراضها، وديدان الأمعاء، والبواسير وغيرها من الأمراض.

٢- الجراحة: وكان كتاب الحاوي للرازي يشتمل على معلومات عن جراحات الأعضاء التناسلية والدماغ والخراجات الموجودة داخل الأذن وجراحة البطن وغيرها. ويرجع الفضل في تقدم المسلمين في

مُحَاضِرَاتٌ فِي

تَارِيخُ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ



الجراحة إلى الطبيب الأندلسي المسلم أبي القاسم الزهراوي رائد هذا التخصص.

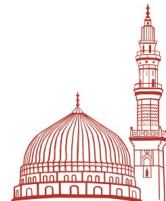
٣- طب العيون: اهتم الأطباء المسلمون بأمراض العيون التي انتشرت في بعض البلاد الحارة، مثل: مصر والشام والعراق، ونجحوا في تشريح عيون الحيوانات، فعرفوا أجزاء كثيرة من عين الإنسان التي لا تختلف كثيراً عن عين الحيوان، وعرفوا أمراضها المختلفة، ووصفوا لها علاجها، ومن الأطباء الذين برعوا في هذا التخصص عمار بن علي الموصلي صاحب كتاب المنتخب في علاج أمراض العين، وأيضاً علي بن عيسى الكحال صاحب كتاب تذكرة الكحالين، وغيرهما.

٤- طب العظام: وقد نجح الأطباء المسلمون في علاج جميع الكسور في الأنف والفك والرقبة، والضلوع والركبة، والساقين، والذراع وغير ذلك، وكانوا يشرحون جثث الموتى لمعرفة شكل العظام والمفصل وكيفية اتصالها.

٥- طب الأسنان: وفي كتاب الطبيب المسلم الزهراوي الذي سماه التصريف: باب وضح فيه كيف يمكن خلع الأسنان بجذورها، ووصف الآلات المستخدمة في ذلك، وعلاج ورم اللثة وتسكين الآلام، ووضع أسنان بديلة عن المخلوعة من عظم البقر المشدود بخيوط من الذهب أو الفضة، وعرفوا الوقاية من التسوس باستعمال

مُحَاضَرَاتٌ فِي

تَارِيخِ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ



السّوك وبعض المحاليل والمساحيق التي تشبه معجون الأسنان اليوم.

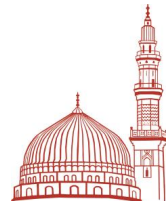
٦- طب النساء: اشتهر في هذا الفرع من فروع الطب الطيب المسلم أبو بكر الرازي والزهراوي وابن سينا، ووجدت طبيبات مسلمات للقيام بهذا العمل مثل: أخت الحفيد بن زهر الأندلسي وابنتها، وهناك مؤلفات إسلامية طبية مثيرة تحتوي على معلومات واسعة عن أمراض النساء وعلاجها، مثل: عمليات التوليد، وتوسعة باب الرحم أثناء الولادة، والنفاس وآثاره، وعالجوا احتباس الدورة الشهرية وغيرها من أمراض النساء، وحاولوا التعرف على نوع الجنين في بطن أمه عن طريق الملاحظة والتدقيق.

٧- طب الأطفال: احتل طب الأطفال مكانة عالية عند المسلمين، ونال الأطفال عناية كبيرة من اهتمام علماء الطب المسلمين، فقد عالجوا أمراض الأطفال مثل السعال والإسهال والقيء، وحاولوا علاج شلل الأطفال، والتبول اللاإرادي في الفراش، وغيرها من الأمراض. ومن كتب طب الأطفال: رسالة في أوجاع الأطفال لأبي علي بن أحمد بن مندويه الأصفهاني.

٨- الطب النفسي والعقلي: وقد مارسه من أطباء المسلمين الرازي وغيره من الأطباء، واستخدموا فيه الصدمات والمفاجأة لعلاج الأعضاء المصابة بالشلل، وإعادة الحياة إليها، أما الأمراض العقلية فكانت

مُحاضرات في

تاريخ الحضارة العربية الإسلامية



هناك مستشفيات خاصة بهذه الأمراض في جو مليء بالخضرة والزهور والورد، وسماع بعض الآيات القرآنية.

فضل علماء الطب المسلمين في تطوير الجراحة ونماذج من إسهاماتهم:

نبغ علماء الطب المسلمون في تطوير الجراحة الطبية والإسهام في تقدمها حتى وصلت إلى درجة عالية من الدقة والمهارة^(١)، فقد كانوا أول من أفرد علم الجراحة الطبية بالكتابة عنه في مواضع مخصوصة من كتبهم الطبية، ومن تلك الأنواع التي بينوها ما يلي:

١- عملية تفتيت الحصى الموجود في المثانة.

٢- عملية تجبير الكسور الموجودة في الأنف.

٣- عملية فتح القصبة الهوائية.

٤- عملية استئصال اللوزتين.

٥- عملية فتح الخراج الموجود في اللهاة.

٦- عملية قطع اللحم النابت في الأذن.

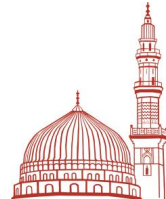
٧- عملية ثقب الأذن المسدود.

ومع اكتشافهم لهذه الأنواع ووصفهم لها لأول مرة في التاريخ نجدهم

(١) ينظر: أعلام العرب المسلمين في الطب، د. علي عبد الله الدفاع ٥١، ٥٢. و الطب

الإسلامي، د. أحمد طه ٦٣، ودراسات في تاريخ العلوم عند العرب حكمت نجيب

عبد الرحمن ٥٧.



أيضاً قد تكلموا على بعض المعلومات المهمة جداً في علم الجراحة، وكانوا أول من نبه عليها، ومن تلك المعلومات تفريقهم بين الأورام الخبيثة السرطانية والزوائد اللحمية، حيث وضعوا بعض الأمارات والعلامات التي يمكن للطبيب أن يستهدي بها لمعرفة نوعية الورم هل هو خبيث فيتجنبه، أم هو من الزوائد اللحمية التي يمكن استئصالها ومداواتها بالجراحة. ويعتبر عبد الملك بن زهر^(١) أول طبيب جراح قام بوصف جراحة الجهاز التنفسي، وذلك في كتابه الفريد في الطب "التيسير في مداواة والتدبير.

٨- علم الصيدلة:

برع المسلمون الأوائل في علم الصيدلة، وقاموا بترجمة الكتب التي تتحدث عن العقاقير والأدوية، ثم طوروا وأبدعوا في مجالات الأدوية والأقراص والأشربة. وقد نجح المسلمون في تحضير الأدوية من الأعشاب، وكانت هذه الأدوية تباع في دكاكين العطارين المنتشرة في أسواق المدن الإسلامية بالإضافة إلى دكاكين الصيادلة.

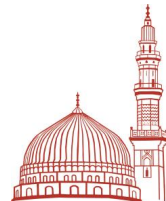
أهم إنجازات العلماء المسلمين في مجال الصيدلة:

١- اكتشاف العديد من العقاقير التي لا تزال تحتفظ بأسمائها العربية في اللغات الأجنبية مثل الحناء، والحنظل، والكافور، والكرم، والكمون.

(١) هو أبو مروان عبد الملك بن أبي العلاء زهر بن زهر الأيادي، ولد في أشيلية يعتبر أعظم أطبائها بلا نزاع، وله مؤلفات منها: التيسير، الأغذية.

مُحَاضِرَاتُ فِي

تاريخ الحضارة العربية الإسلامية



٢- تحضير أدوية من مواد نباتية وحيوانية ومعدينية، وابتكار المعالجة المعتمدة على الكيمياء الطبية، ويعد الرازي أول من جعل الكيمياء في خدمة الطب، فاستحضر كثيرًا من المركبات.

٣- تغليف الأدوية المرة بغلاف من السكر أو عصير الفاكهة كي يستسيغها المريض.

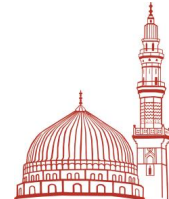
مكان العلاج:

وقد عرف المسلمون البيمارستان^(١) منذ زمن بعيد، وأول مستشفى أنشئت في عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك بن مروان.

٩- علم المعادن:

عرف المسلمون الكثير عن الخواص الطبيعية للمعادن، ووصفوها وصفًا علميًا دقيقًا، مثل: اللون ودرجة الشفافية، والوزن النوعي لها. وقد برع علماء كثيرون في هذا المجال، منهم: ابن سينا، وهو يعد المؤسس الحقيقي لعلم الجيولوجيا، ويبدو إسهامه من خلال كتابه الشفاء، في الجزء الخاص بالمعادن والظواهر الجوية. وشهاب الدين أبو العباس أحمد بن يوسف التيفاشي صاحب كتاب أزهار الأفكار في جواهر الأحجار، وأبو بكر محمد بن زكريا الرازي وقد ألف في المعادن كتاب الخواص، وكتاب علل المعادن وتناول فيهما دراسة خواص الأحجار، ومكوناتها الطبيعية.

(١) البيمارستان هي المستشفى أو دار الاستشفاء.



حركة الترجمة:

كانت حركة الترجمة من أهم وأنشط الحركات الفكرية التي وجدت في الحضارة الإسلامية، فلم تقف جهود المسلمين عند حد النظر والاجتهاد الشخصي، بل عمدوا إلى التعرف على كل ما أحرزته البشرية من تقدم في مجالات الثقافة المختلفة.

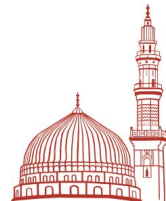
حركة الترجمة في العهد النبوي:

ترجع حركة الترجمة إلى صدر الإسلام ومن أشهر من تعلم السريانية في عهد الرسول **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** هو زيد بن ثابت **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** وقد تعلمها بتكليف منه في ستين يوماً وتعلم كذلك الفارسية والرومية. وقد قيل أن: "من عرف لغة قوم امن شرهم"^(١). لأن اللغة هي الوعاء الثقافي لأي أمة أو جماعة ومن هنا فإن دراسة ثقافة أي جماعة إذا كانت مغرضة ضد الإسلام تكون واجبة لحماية عقيدتنا والدفاع عنها وحتى نستطيع أن نرد عليها. وأدى اتساع الفتوحات الإسلامية إلى دخول أقطار ذات حضارة فكرية متعددة مما أحدث اتصالات بين الإسلام وتلك الحضارات.

حركة الترجمة في العهد الأموي:

تحركت الترجمة في العهد الأموي تحركاً بطيئاً، وبمحاولات فردية. إلا أنها كانت حجر الأساس لبناء هذه الحركة عموماً، واقتصرت الترجمة في

(١) وهو من الأمثال الشائعة بين الناس وليس هذا من كلام النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**.



العهد الأموي على الكيمياء و الفلك و الطب. وبدأت الجذور الأولى للترجمة في أوائل العهد الأموي حيث ذكر في المصادر أن خالد بن يزيد بن معاوية و الملقب بحكيم آل مروان أرسل إلى الإسكندرية في طلب بعض الكتب في الطب و الكيمياء لترجمتها إلى العربية.

حركة الترجمة في العهد العباسي:

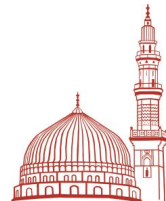
أخذت حركة الترجمة في العهد العباسي تتسع و تزداد قوة في العهد العباسي بفضل: تشجيع الخلفاء العباسيين و رعايتهم لهم و قد فتحوا بغداد أمام العلماء و اجزلوا لهم العطاء و أضفوا عليهم ضروب التشريف و التشجيع بصرف النظر عن مللهم و عقائدهم. حيث أضحت حركة الترجمة من اليونانية و الفارسية من اهتمامات الدولة في عهد المنصور. و استمرت حركة الترجمة نشطة في عصر الرشيد و وزرائه من البرامكة الذين أكثر ما اهتموا به ترجمة التراث الفارسي و كان من أبرز المترجمين الذين اشتهروا آنذاك محمد بن جهم البرمكي و زادويه بن شاهواه و سهل بن هارون، و نشطت حركة الترجمة، في عصر المأمون فأصبحت دار الحكمة أكاديمية للبحث العلمي في مختلف العلوم، و خصوصاً العلوم الطبية.

ولقد لخص العلامة مصطفى الشهابي القواعد التي اتبعتها النقلة في وضع المصطلحات في تلك الأيام، فرآها لا تخرج عن هذه الوسائل الأربع:

١- تحوير المعنى اللغوي القديم للكلمة العربية، و تضمينها المعنى العلمي الجديد.

مُحَاضَرَاتٌ فِي

تاريخ الحضارة العربية الإسلامية



٢- اشتقاق كلمات جديدة من أصول عربية أو معربة للدلالة على المعنى الجديد.

٣- ترجمة كلمات أعجمية بمعانيها.

٤- تعريب كلمات أعجمية بمعانيها^(١).

أما عن مظاهر العناية بالترجمة في العهد العباسي فتمثلت في الآتي:

١- تشجيع المترجمين وإجزال العطاء لهم.

٢- البحث عن المخطوطات القديمة وبذل المال في سبيل الحصول عليها.

٣- إرسال الوفود والسفارات إلى الدول مثل الدولة البيزنطية لجلب الكتب^(٢).

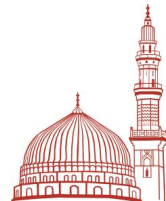
وكان لتشجيع العباسيون لحركة الترجمة إلى العربية بصورة كبيرة أثر خطير في الوقت ذاته، حيث ترجمت بعض كتب الفلاسفة الملحدين التي وقف حيالها علماء المسلمين فريقين:

١- فريق معارض محارب، حيث رأها تتعارض مع القرآن الكريم.

٢- وفريق أعجب بها إلى حد كبير.

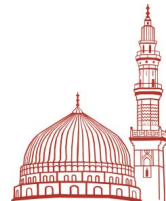
(١) الصالح. صبحي، دراسات في فقه اللغة، ص ٣٢٠، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى ١٩٦٠م.

(٢) عفاف سيد صبرة ومصطفى محمد الحناوي. دراسات في الحضارة الإسلامية، ص ٢٠٩.



في الوقت الذي ويرى البعض أن حركة الترجمة في العصر العباسي كانت أول وأعظم حركة ثقافية تجسدت فيها فكرة حوار الحضارات، ليس فقط لأن الترجمة شملت نقل التراث الإغريقي والفارسي والهندي.. أي التعامل مع ثقافات وثنية وعقلانية مختلفة، بل لأن هذه الحركة اعتمدت أساساً على مترجمين وعلماء مسيحيين ويهود وصابئة ومن كل الأجناس. وبهذا جسدت فكرة الحوار والتعايش شكلاً ومضموناً بين العرب المسلمين وبين غيرهم من الشعوب والجماعات العرقية والدينية^(١).

(١) عبد الناصر كعدان و محمد ناظم مهروسة. حنين بن إسحاق، ص ٢٧.





**الوحدة التاسعة:
المظاهر الفنية
في الحضارة الإسلامية**

مُحَاضِرَاتٌ فِي

تَارِيخِ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ



الوحدة التاسعة:

المظاهر الفنية في الحضارة الإسلامية



تعبّر الفنون والعمارة الإسلامية عن الازدهار الكبير الذي شهدته الحضارة الإسلامية، وقد تميزت هذه الفنون بالتنوع والإبداع، وقد استوحت الفنون الإسلامية في نشأتها وخصائصها مبادئ الإسلام وأحكامه. ولما اتسعت فتوح العرب واختلطوا بغيرهم من الأمم الأخرى، اتسع افق الفن في أعينهم، واستطاعوا أن يخرجوا صورًا فنية جديدة لا تخرج عن مبادئ الدين الإسلامي.

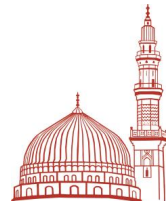
❦ خصائص الفن الإسلامي:

تتلخص أهم خصائص الفن الإسلامي في السمات والخصائص الآتية:

- ١- ارتباط الفن الإسلامي بالدين: فالفن ولد في خدمة الدين.
- ٢- مخالفة الطبيعة: فالفنان المسلم يواجه الطبيعة لكي يتناول عناصرها ويفككها إلى عناصر أولية يعيد تركيبها من جديد في صياغة جميلة وعذبة.
- ٣- عدم تصوير الكائنات الحية.
- ٤- تحويل الرخيص إلى نفيس.
- ٥- توظيف المنتج.

مُحَاضَرَاتٌ فِي

تَارِيخُ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ



- ٦- مساواة المنفعة بالجمال.
- ٧- التنوع والوحدة.
- ٨- الانصراف عن التجسيم والبروز.
- ٩- الفن الإسلامي يغلب عليه الطابع الزخرفي.

❁ أسباب ازدهار الفنون في الحضارة الإسلامية:

- يرجع ازدهار الفنون في الحضارة الإسلامية إلى أسباب عديدة أهمها:
- ١- مكانة الفن في الدين الإسلامي: فالدين الإسلامي لا يقيد الفن، ولا يحط من قدر الفنان بل يحثه على الاهتمام بكل الجوانب المختلفة.
 - ٢- التسامح مع الفنانين: وخاصة مع أهل الذمة.
 - ٣- تشجيع الفنانين: أدى تشجيع المسلمين حكام ومحكومين للفنيين سبباً في ظهور فنون متميزة مطبوعة بطابع الدين الإسلامي.

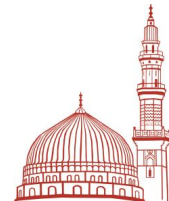
❁ أصول الفنون الإسلامية:

الفنون الإسلامية لم تنشأ من فراغ حضاري، فقد استمد الفن الإسلامي عناصره من أصول متنوعة شملت تراث الشعوب التي امتدت إلى بلادها الفتوحات الإسلامية فهناك أصول فنية رئيسية غلبت مؤثراتها على الفن الإسلامي تتمثل في ما يلي:

- ١- التأثيرات الفنية العربية القديمة.

مُحَاضَرَاتٌ فِي

تَارِيخُ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ



٢- التأثيرات الفنية الخاصة بحضارات مصر وسوريا وبلاد الرافدين.

٣- التأثيرات الفنية البيزنطية.

٤- التأثيرات الفنية الفارسية.

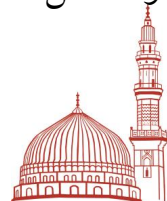
الفرق بين الفن في المفهوم الإسلامي والمفهوم الغربي:

إن هناك مفارقة واضحة بين المفهوم الإسلامي للفن والمفهوم الغربي له، فطابع الأمم الغربية التي ورثت هذا التراث المشحون بالإثم والفاحشة والكشف وقصص الجنس والشهوات. ومن منطلق مفهوم فرويد للجنس ودارون للحيوان ودوركايم للاجتماع، تشكل هذا الفن الغربي فكان منها ذلك التخت الضخم وتلك الأغاني الراقصة المتمائلة، وما تثير من الشهوات. فهذه الصورة الغربية التي تقدم بها الفنون في عصرنا وفي مجتمعنا لا يمكن أن تتطابق مع الصورة التي يضرب بها المثل عن عهد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو عهد الصحابة الأكرمين، فكيف يمكن أن يكون هذا أمرًا يدافع عنه أو يصور أنه مما سمح به الإسلام من الفنون وهي ليست تطورًا طبيعيًا لفنون الإسلام التي كانت في مراحل تطورها حريصة على ألا تخرج عن جوهر الإسلام ولا تصادم حدوده وضوابطه.

إن الحضارة الإسلامية لها مفهوم سمح كريم للفن مفهوم راق عفيف بعيد عن كل البعد عن الفسق والفاحشة، قائم على الخلق والكرامة وحماية العرض. للمسلمين، فليس في الإسلام بسماحته وسعة آفاقه رفض لمعطيات الحياة ولكنه من الناحية الأخرى يضع ضوابط وحدودًا لخطوات التعامل

مُحَاضِرَاتٌ فِي

تاريخ الحضارة العربية الإسلامية



وأساليب التنازل. فالإسلام يقر مفهوم الترويح عن طريق الفنون ووسائل إدخال البهجة على النفوس فذلك أمر مسلم به تسليماً كاملاً وحقيقاً في شريعة الإسلام ولكن وجه الاختلاف هو في الأسلوب الذي تعدم به هذه الفنون ووسائل أداؤها، وكيف يمكن أن تكون مؤازرة للفطرة لا مضادة لها، وأن تكون متقبلة من وجهة نظر الدين أساساً^(١).

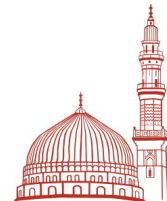
أهم الفنون الإسلامية:

من أهم الفنون الإسلامية ما يلي:

أولاً: الخط العربي:

يُعبّر الخط العربي الجميل على اختلاف أشكاله وصوره، عن ذوق فني رفيع جداً، يجمع بين إتقان التركيب، وجمال الصورة، ومهارة الأداء، ودقة الصنعة اليدوية التي يتمتع بها الخطاطون البارعون. وقد برع المسلمون براءة فائقة في كتابة الخط العربي، وظهر لهم فيه فن جمالي بديع فريد. واقترنت كتابة الخط العربي في المصاحف وغيرها بأعمال زخرفية بديعة ذات روعة وجمال فائقين. وكان البغداديون أول الأمر أساتذة إتقان الخط العربي والإبداع فيه وزخرفة الكتب. وامتد بعد ذلك هذا الفن إلى فارس، واكتسبت خراسان أهمية خاصة في كتابه الخط العربي، وظهر في فارس خط فارسي

(١) للمزيد ينظر: لن نقبل بمفهوم الغرب للفن والحضارة، لأحمد أنور سيد أحمد الجندي.



ابتكره الخطاط مير علي .

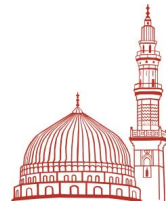
أسباب عناية المسلمين بالخط العربي :

- ١- الخط العربي الوسيلة الأساسية التي حفظ بها القرآن الكريم
 - ٢- الخط العربي كان الوسيلة الأولى للتعليم والتعلم عند المسلمين.
 - ٣- وجد المسلمون في الخط متنفساً لمواهبهم الفنية.
 - ٤- تعريب الدواوين^(١) . في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان أدى إلى استخدام اللغة العربية في الدواوين إلى إحلال الخط العربي في دواوين الأقطار المختلفة.
 - ٥- استخدام المسلمين للورق وتعلم صناعته أدى إلى الإقبال على نسخ الكتب وبالتالي العناية بالخط، والوصول به إلى مستوى فني رفيع.
- ومن أهم أنواع الخط العربي التي ازدهرت في الحضارة الإسلامية ما يلي:
- ١- الخط الكوفي.
 - ٢- الخط النسخي.
 - ٣- الخط الديواني.
 - ٤- خط الثلث.
 - ٥- خط الرقعة.

(١) فكان ديوان الخراج يكتب بالفارسية في العراق وفارس، وبالرومية في الشام، وبالقبطية في مصر.

مُحَاضَرَاتٌ فِي

تَارِيخِ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ



ثانيًا: العمارة (١):

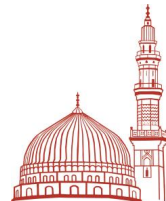
نشأت العمارة الإسلامية كحرفة بسيطة في البناء في أبسط أشكاله، ثم تطورت حتى كوّنت مجموعة الفنون المعمارية المختلفة. وفن العمارة من أهم مظاهر الحضارة، لأنها مرآة تعكس آمال الشعوب وأمانيتها، وقدراتها العلمية وذوقها وفلسفتها، ومن الحقائق الثابتة أن العمارة كانت دائمًا الصورة الصادقة لحضارة الإنسان وتطورها وانعكاسًا لمبادئه الروحية على حياته المادية، بما يكتب عليها - أي على العمارة - من كتابات وما ينقش عليها من نقوش.

وقد اشتمل الفن المعماري الإسلامي على عدة أنواعٍ منها: فن عمارة المساجد، وهو أرقى فن معماري عند المسلمين، وفن عمارة القصور، وفن عمارة البيوت، وفن عمارة المدارس، وقد برع المسلمون في فنون العمارة بكل أشكالها؛ لأنهم فهموا نماذج العمارة في الحضارات السابقة ثم طوروها بما يتناسب مع عقيدتهم ودينهم، ثم أبدعوا بعد ذلك نموذجًا إسلاميًا خاصًا بهم.

(١) روى البخاري وغيره عن خباب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: (إن المسلم ليؤجر في كل شيء ينفعه، إلا في شيء يجعله في هذا التراب). وهناك الكثير من الأحاديث التي تدم البناء ورفعته؛ وكان المحدثون رَحِمَهُمُ اللَّهُ يعقدون أبوابًا عن البناء وما ورد فيه. لذلك فإن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما اختط الكوفة أمرهم ببناء بيوتهم من قَصَب، فلما وَقَعَ فيها الحريق، استأذنوه في بنائها بالحجارة، فقال: (افعلوا، ولا يزيدنَّ أحد على ثلاثة أبيات، ولا تطاولوا في البنيان، والزموا السنة تلتزمكم الدولة). وهكذا كان عهد الراشدين والسلف، وهذه هي "العمارة الإسلامية".

مُحَاضِرَاتٌ فِي

تَارِيخِ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ



ووضع الإسلام لبناء المساكن والمدن والقرى آداباً منها:

- ١- اختيار المكان الجيد.
- ٢- أن تتوفر في الدور والبيوت وسائل السكن والراحة والطمأنينة من تهوية جيدة، وسعة في المكان، ووجود أماكن خاصة للنساء في البيوت.
- ٣- البساطة، فينبغي أن تكون دار المسلم بسيطة، فلا يسرف في بنائها وتزيينها.

ويرجع ازدهار العمارة في الحضارة الإسلامية إلى أسباب عديدة منها:

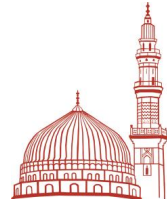
- ١- العامل الاقتصادي وتزايد إيرادات الدولة.
 - ٢- تشجيع الحكام وتنافسهم في البناء.
 - ٣- الاستفادة من عمارة البلاد المفتوحة.
 - ٤- ثراء المسلمين.
- ومن أهم مظاهر تطور العمارة في الحضارة الإسلامية ما يلي:
- ١- خدمة العمارة لاحتياجات المسلمين.
 - ٢- تطور عمران المدن وخدمتها للعلم.
 - ٣- تأثير العمارة الإسلامية في العمارة الأوروبية.
 - ٤- تداخل العمارة بفنون التزيين.

أ- المساجد:

أشرف العمائر الإسلامية هي المساجد ففيها تؤدى الصلاة وفيها تدرس العلوم، ولهذا فالحضارة الإسلامية هي حضارة المسجد. فكان المسجد

مُحَاضِرَاتٌ فِي

تَارِيخُ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ



أول المنشآت التي عني بها المسلمون. وكثرت المساجد وزاد انتشارها بتوسع الإسلام، وأصبح من المتبع أن يبنى مسجد أو أكثر في كل مكان فتحه المسلمون أو في كل قرية أو مدينة أسوها.

وأهم المساجد:

١- المسجد النبوي: بنى النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** المسجد النبوي بالمدينة،

وكان هذا المسجد بسيطاً، بما يتفق مع روح الدين الإسلامي، ومع قواعد وأسس البناء في الإسلام، وكان المسجد مربعاً، وصحنه الأوسط مكشوفاً، لا سقف عليه، أما جوانبه الأربعة فكانت مسقوفة، وكانت المساحة المسقوفة من الحائط المجاور للقبلة أكبر من غيرها.

٢- مسجد قبا: وهو أول مسجد بني في الإسلام بناه الرسول **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**

عام الهجرة من الأجر والحجارة، وهو الذي قال الله فيه: ﴿لَمَسْجِدٍ أُبَسَّ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾ (١). قيل هو مسجد قبا؛ لأن النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أسسه، وهو أول من وضع الحجر فيه بيده.

٣- المسجد الأقصى: ارتبط ذكر المسجد الأقصى عند المسلمين

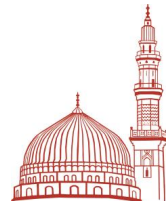
بمعجزة الإسراء والمعراج (٢). التي كانت بداية للصلة الفعلية بين

(١) سورة التوبة: ١٠٨.

(٢) كما ارتبط المسجد الأقصى باسم القائد البطل صلاح الدين الأيوبي الذي حرر

مدينة القدس، و طهرها من الصليبيين، عقب احتلال دام ٨٨ عاماً، فطهر قبة

=



الإسلام والحرم القدسي الشريف، حيث كان هذا المكان مسرى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومعراجه. وبعد ما يزيد على سبعة عشر عامًا من الإسراء والمعراج، كانت جيوش المسلمين تحاصر بيت المقدس في العام الخامس عشر من الهجرة، وبعد وفاة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بخمس سنوات بعد أن تسلّم الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بيت المقدس، كشف عن مكان الصخرة المباركة التي طمرت تحت الأتربة والنفايات، وتسبق المسلمون في مشاركته ذلك العمل حتى تم تنظيف المكان المبارك، وظهرت الصخرة، بنى عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ المسجد المعروف بالمسجد العمري وأصبحت الصخرة في مؤخرته.

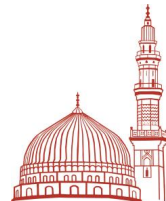
٤- الجامع العتيق: يقع بمدينة فسطاط مصر، ويقال له: تاج الجوامع، وجامع عمرو بن العاص، وهو أول مسجد أسس بديار مصر في الملة الإسلامية بعد الفتح.

٥- مسجد قبة الصخرة: تعد قبة الصخرة من أهم وأبدع آثار الأمويين، وهي آية في الجمال والبراعة المعمارية، وقد بناها عبد الملك بن مروان سنة ٧٢هـ، ويلاحظ عليها المبالغة في الزخرفة، والتأنق في

الصخرة من التماثيل والهيكل التي وضعت فوقها، وأزال الجدار الذي وضعه الصليبيون على محراب المسجد الأقصى، وأمر بتجديده، ونقل إلى المسجد الأقصى المنبر الذي أعده نور الدين زنكي لهذا.

مُحَاضِرَاتٌ فِي

تَارِيخُ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ



رسم الأشكال الجمالية، مما يوحي بدخول الفن في العهد الأموي مرحلة جديدة من الاهتمام بالزخرفة، والتفنن في إتقان الزخارف بشتى أنواعها مما يدل على تأثر الفن الأموي بالفنون المعمارية السائدة في ذلك الوقت.

٦- المسجد الأموي بدمشق: ويعد هذا المسجد من أهم فنون العمارة الإسلامية، فقد بناه الوليد بن عبد الملك بين عامي ٨٨-٩٦ هـ، ويعد مرحلة جديدة في دخول عنصر الزخرفة في بناء المساجد، والتي لم تعد تحتفظ ببساطتها المعهودة، ولعل هذا يعد تطوراً طبيعياً لتطور فن العمارة عند المسلمين.

ب- القصور:

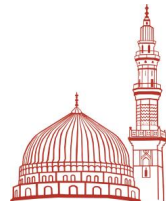
اشتمل الفن المعماري الإسلامي على عدة أنواع منها فن عمارة القصور، ومن أشهر هذه القصور:

١- القصور في عهد الأمويين: استحدث الأمويون نوعاً جديداً من المباني وهو القصور، ومنها قصر عُميرة^(١)، وقد بناه الوليد ابن عبد الملك ليستريح فيه عند خروجه للصيد، ومنها قصر الشمال الذي بناه الخليفة هشام بن عبد الملك، ومنها قصر المشتى، وقد كانت هذه القصور على درجة عالية من البراعة في التصميم وجودة الزخرفة.

(١) وكان قصرًا صغيرًا على بعد خمسين كيلو متراً من مدينة عمان عاصمة الأردن.

مُحاضرات في

تاريخ الحضارة العربية الإسلامية



وكان عهد الوليد بن عبد الملك عهد دخول العمارة الإسلامية ميدان الزخرفة، والتألق في البناء، وذلك بعد الاحتكاك بالحضارات الأخرى والتأثر بها.

٢- القصور في عهد العباسيين: اهتم العباسيين كذلك ببناء القصور الفاخرة، مثل: قصر الخليفة المعتصم في مدينة سامراء، وقصر المأمون، وغير ذلك. وهكذا نجد تأثر العمارة الإسلامية في العهد العباسي بالعمارة في الحضارات الأخرى والاهتمام بالزخرفة والإسراف في بناء القصور وتشييدها، مما يعد تطوراً لا يتمشى مع روح الاعتدال والبعد عن الإسراف الذي نهى عنه الإسلام.

ج- المدن:

بنى المسلمون مدن عديدة، ومنها مثلاً:

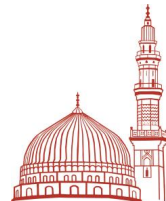
١- البصرة: بناها عتبة بن غزوان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(١)، في خلافة عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٢- الكوفة: مصرت بعد البصرة في سواد العراق سنة ١٧ هـ.

٣- الفسطاط: بناها عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في مصر، بأمر الخليفة عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ واختار لها موقعاً متميزاً على النيل، في الموضع الذي كان يشغله حصن بابلون.

(١) عتبة بن غزوان بن جابر المازني، حليف بني عبد شمس صحابي جيل مهاجري بدري، وهو أول من اختط البصرة، مات سنة ١٧ هـ.

مُحَاضِرَاتٌ فِي

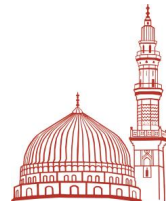


٤- مدينة بغداد: بنى الخليفة المنصور مدينة بغداد لتصير عاصمة العباسيين الجديدة، وفي بناء هذه المدينة برزت الدراسات الجيدة لاختيار الموقع والتخطيط قبل التنفيذ، فقد طلب الخليفة أبو جعفر المنصور رسم تخطيط لها على الأرض قبل إنشائها، وتخطيط مدينة بغداد دائري، ولها أربعة مداخل رئيسية محورية، واستمر بناء هذه المدينة من عام ١٤٥ هـ حتى عام ١٤٧ هـ وكان للمدينة سوران خارجيان؛ الداخلي منهما أسمك وأعلى، وكان يحيط بسور المدينة من الخارج خندق عرضه ستة أمتار. وكان يقع في قلب المدينة قصر المنصور، وكان يعرف باسم قصر الذهب، وهو قصر فخم لم يشهد المسلمون مثله من قبل، وبجوار القصر يوجد المسجد، وهو ملاصق لحائط القصر الشمالي الشرقي، وحول القصر توجد قصور الأمراء والمباني الحكومية.

٥- مدينة سامراء: وكانت تسمى (سُرَّ مَنْ رَأَى)، وكان مكانها قبل بنائها دير (مكان عبادة للنصارى) في الصحراء اشتراه الخليفة المعتصم من أصحابه وبنائها مكانه، وكانت هذه الأرض تقع على الضفة اليمنى من نهر دجلة، وأحضر المعتصم المهندسين فاختروا له مواقع القصور، وبنى لكل واحد من أصحابه قصرًا، وتم تخطيط شوارع المدينة كأحسن ما تكون الشوارع من ناحية الاتساع والطول، وأحضر من كل بلد من يجيد فن العمارة والزراعة وهندسة البناء والصناعة.

مُحَاضَرَاتٌ فِي

تَارِيخِ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ



د- الحمامات:

انتشرت الحمامات^(١). في أرجاء الدولة الإسلامية انتشاراً واسعاً وكانت الحمامات تُصمَّم هندسياً بحيث تتيح للمستحم أن ينتقل تدريجياً من الجو الحار إلى الجو البارد حتى لا يصاب بأذى، وكان الحَمَّام يُسَخَّن عن طريق إيقاد نار تحت أرضيته، كما كان يشتمل على أنابيب للماء الساخن والبارد داخل جدرانها!! وإذا كانت الحَمَّامات منتشرة لغرض الطهارة المهم دينياً وفطرياً فإن هذا لا يجعلنا ننسى الاستخدامات الجمالية لهندسة المياه (أو الهندسة الهيدروليكية).. فقد عرفت المنشآت المعماريَّة الإسلامية وجود النافورات المائية الجميلة وانتشارها بكثرة في أفنية القصور والمساجد الكبرى؛ لتضفي على المكان جمالاً وبهجةً، إلى جانب استخدام بعضها (في المساجد خاصَّةً) لأغراض الوضوء.

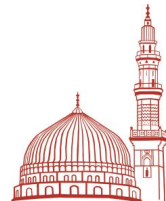
وتنقسم الحمامات إلى ثلاث أقسام:

- ١- البراني: وهو القسم البارد.
- ٢- الوسطاني: وهو القسم المعتدل.
- ٣- الجواني: وهو القسم الحار.

(١) الحمامات: مكان الاغتسال بالماء الحار، قد يكون الحمام عامًّا يدخله من شاء من الناس، وقد يكون خاصًّا في البيت لا يدخله إلا أهل البيت، وعند الإطلاق يراد به الحمام العام.

مُحَاضِرَاتٌ فِي

تَارِيخِ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ



ثالثاً: الرسم والتصوير:

لا يعرف كيف بدأ التصوير في الحضارة الإسلامية، ويبدو أن ظهوره كان في عهد الأمويين ومن آثار المسلمين في الفن التصوير والرسم وجود عدد كبير من المخطوطات المزينة بالصور ككتاب كلية ودمنة، وعجائب المخلوقات للقزويني.

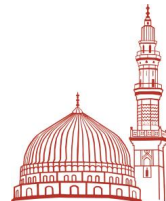
رابعاً: الزخرفة:

تعتبر الزخرفة لغة الفن الإسلامي، حيث تقوم على زخرفة المساجد والقصور والقباب بأشكال هندسية أو نباتية فوجد الفنانون المسلمون في الحروف العربية أساساً لـزخارف جميلة. فصار الخط العربي فناً رائعاً، على يد خطاطين مشهورين. فظهر الخط الكوفي الذي يستعمل في الشئون الهامة مثل كتابة المصاحف والنقش على العملة، وعلى المساجد، وشواهد القبور. ومن أبرز من اشتهر بكتابة الخط الكوفي، مبارك المكي في القرن الثالث الهجري، وخط النسخ الذي استخدم في الرسائل والتدوين ونسخ الكتب، لهذا سمي بخط النسخ. وكان الخطاطون والنساخ يهتمون بمظهر الكتاب، ويزينونه بالزخرف الإسلامية. كما كانت تزين المصاحف وتحلى المخطوطات بالآيات القرآنية والأحاديث المناسبة التي كانت تكتب بماء الذهب.

ومن الفنون الإسلامية صناعة التحف البللورية، كذلك تقدمت صناعة الرخام على طول العصور الإسلامية منذ عهد الأمويين. كما تقدمت صناعة

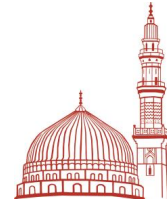
محاضرات في

تاريخ الحضارة العربية الإسلامية



الحفر على الخشب، ولاسيما حفر خشب المنابر والمقصورات ومساند المصحف والصناديق والأثاث وواجهات المنازل بقصد تزيينها^(١).

(١) عبدالمنعم ماجد، تاريخ الحضارة الإسلامية، ص ٢٦١، دار الإنجوى، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٧٣ م.





الوحدة العاشرة: تأثير الحضارة الإسلامية على النهضة الأوربية

مُحَاضِرَاتٌ فِي

تَارِيخِ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ



الوحدة العاشرة:

تأثير الحضارة الإسلامية على النهضة الأوربية

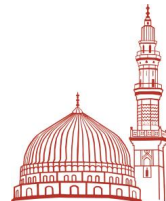


إن الحضارة الإسلامية عريقة العلوم والمعارف أصيلة المثل والقيم، بهرت العالم كله بمنظومتها المعرفية، وأقامت للبشرية صرحاً من المعارف والعلوم مازال شاخصاً شامخاً في ضمير العقل الإنساني. فقد وصل تأثير الحضارة الإسلامية إلى أصقاع واسعة في آسيا وأفريقيا وأوروبا على وجه الخصوص منذ القرن العاشر الميلادي؛ حيث أفاق الأوربيون علي أصوات علماء المسلمين في مساجد الأندلس يدرّسون العلوم المختلفة من طب وهندسة وفلك وفقه وتفسير ولغة وأدب وفلسفة وتراجم، بل إن أوروبا لم تعرف الفلسفة اليونانية إلا من خلال العلماء المسلمين عن طريق ترجمتها إلى العربية ثم إلى اللاتينية، وكانت أوروبا وبقيّة أنحاء المعمورة تعيش في إظلام حضاري وجهل وامتدت هذه الحضارة القائمة بعدما أصبح لها مصارفها وروافدها لتشع على الغرب وتطرق أبوابه. وانبهر فلاسفة وعلماء أوروبا من هذا الغيث الحضاري الذي فاض عليهم فثاروا علي الكنيسة وتمردوا عليها وقبضوا على العلوم الإسلامية من يقبض علي الجمر.

ولقد تلمست أوروبا الحضارة الإسلامية، فاستقت من روافدها العلوم والمعرفة من الفلك والجبر والهندسة والحساب والكيمياء والطب والزراعة، وسائر أنواع الفنون الحضارية. وبنى رجال أوروبا بما تعلموه في

مُحاضرات في

تاريخ الحضارة العربية الإسلامية



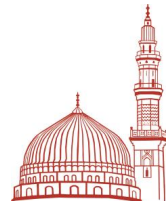
معاهد المسلمين بالأندلس، وبما نقلوه من علوم.. بنوا أسس النهضة الحديثة التي ظهرت بوادرها في القرن الثامن عشر، وازدهرت في القرن العشرين. . فكانت الحضارة الإسلامية حجر الزاوية في التقدم الأوربي وكان لمبادئ الحضارة الإسلامية دور في التأثير على النهضة الأوروبية والتمهيد للحضارة الأوروبية الحديثة^(١).

وحول أثر الحضارة العربية الإسلامية في النهضة الأوروبية، يقول الدكتور شوقي أبو خليل في كتابه الحضارة العربية الإسلامية وموجز الحضارات السابقة: (لقد كانت العصور الوسطى الأوروبية مظلمة، إلا البقاع التي وصلها الفتح العربي: الأندلس، صقلية، وجنوبي إيطاليا؛ فقد أنارت الحضارة العربية الإسلامية أرجاءها، وحركت عقول أبنائها، فليس من المصادفة أبداً أن تبدأ أوروبا نهضتها ويقظتها الفكرية من المناطق التي وصل إليها العرب،

(١) وهذه اليقظة المفاجئة أوقعت النفسية الأوروبية في مأزق حرج، إذ تصادم في داخلها دافع ومانع قويان: الأول دافع الاستمتاع بنور الإسلام والدخول في فردوس حضارته . والآخر مانع التعصب المقيت والعداوة الحاقدة للإسلام وحضارته تلك التي عمقتها الحروب الصليبية، وبلغت أقصى مداها في المد الإسلامي الذي قام به المجاهدون الأتراك. وكان المانع أقوى من الدافع فخرجت أوروبا من ذلك التناقض النفسي بالبحث عن وسيلة تتيح لها الخلاص من برائن السلطة الكهنوتية الطاغية دون أن تتخلى عن تعصبها وعداوتها للإسلام وأهله، ولم تكن تلك الوسيلة سوى عملية اجترار الماضي يبعث تراثها الوثني الإغريقي والالتصاق به لاسيما جوانبه الشهوانية البهيمية.

مُحَاضَرَاتٌ فِي

تاريخ الحضارة العربية الإسلامية



ذلك لأنهم أصحاب تراث حضاري عظيم).

ويضيف د. شوقي: (ولكن اقتباس هذه الحضارة الرائعة من قبل الأوروبيين كان أبتراً، وهذا الأخذ كان ناقصاً، لأنهم أخذوا الجانب العلمي المادي، وتركوا الجانب الروحي).

❦ والدليل على أن الحضارة الإسلامية انتقلت إلى أوروبا:

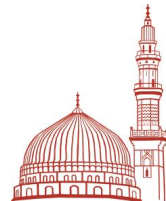
- ١- الكتب العديدة التي ترجمت من العربية إلى اللاتينية أو الإيطالية أو العبرية وتملأ رفوف المكتبات الأوروبية منذ زمن مبكر.
 - ٢- الألفاظ العربية التي بقيت في لغات أوروبا حتى وقتنا الحاضر وتوجد في اللغات الإسبانية والبرتغالية والإيطالية.
- ومن هذا كله يتبين أن الحضارة الإسلامية أسهمت بنصيب وافر في تقدم الإنسانية ولا زالت آثارها توجد حتى الآن في الحضارة الحديثة.

❦ وقد انتقلت الحضارة الإسلامية إلى أوروبا عبر عدة معابر هي:

- ١- تجار جنوة والبندقية: انتقلت المؤثرات الحضارية من العالم الإسلامي إلى أوروبا عن طريق تجار جنوة والبندقية. إذ اشتهرت جنوة والبندقية بأنها مدن تجارية كبيرة تملك الأساطيل القوية ما جعلها تسيطر على البحر المتوسط فنقلت سفنها إلى إيطاليا منتجات الشرق وشمال إفريقيا.
- ٢- الأندلس: نجح المسلمون في نشر الإسلام في شبه جزيرة أيبيريا، وظل

مُحاضرات في

تاريخ الحضارة العربية الإسلامية



الإسلام بها ما يقرب من ثمانية قرون، شهدت الجزيرة خلالها آيات من الحضارة الإسلامية، فانتقلت هذه المؤثرات عبر جبال البرانس إلى فرنسا عن طريق الطلاب الذين تعلموا على يد علماء المسلمين.

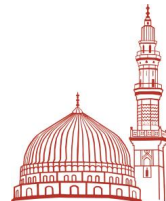
٣- صقلية وجنوب إيطاليا: تمثل جزيرة صقلية مع جنوب إيطاليا ثاني أضيق مناطق البحر المتوسط بين القارتين أوروبا وأفريقيا بعد مضيق جبل طارق، وبنجاح المسلمين في فتح جزيرة صقلية التي بقيت في يد المسلمين حوالي مائتي عام ومنها دخل المسلمون جنوب إيطاليا فمهدوا السبيل لنقل المؤثرات الحضارية الإسلامية عبر جنوب إيطاليا إلى باقي أوروبا.

٤- الحروب الصليبية: حيث نظمت دول غربي أوروبا في الفترة من عام ١١٠٠ م وحتى عام ١٣٠٠ م سلسلة من الحملات العسكرية التي سميت بالحملات الصليبية بهدف الاستيلاء على فلسطين من المسلمين. وامتدت^(١) في بلاد الشرق الأدنى الإسلامي حوالي

(١) وقد كان الدافع لهذه الحروب الصليبية هو الحقد النصراني على العالم الإسلامي ثم الطمع والجشع في غزو ونهب ثروات البلاد الإسلامية واتخاذ دعوى نصرنة النصرانية واسترجاع بيت المقدس ستارًا لذلك. ولم يكن باستطاعة النصارى أن يفعلوا ما فعلوا لولا الواقع المؤسف الذي كان يعيشه العالم الإسلامي: فالدولة العباسية كانت مقسمة وسلطات الحلفاء كانت شكلية، والدويلات المتفرقة تتقاسم أجزاء مختلفة من العالم الإسلامي.

مُحَاضَرَاتٌ فِي

تاريخ الحضارة العربية الإسلامية



قرنين من الزمان، عاش خلالها الأوروبيون في البلدان الإسلامية، فعاينوا مظاهر الحضارة الإسلامية سواء في العمارة المدنية أو العسكرية أو أدوات القتال وفنونه، فنقلوا عنهم بعض هذه المظاهر وتأثروا بها، وفي تلك الحروب احتك الصليبيون بالمسلمين وعرفوا عن كثب مزايا الحياة الإسلامية وفضائلها، وما تحويه من حضارة وعلم، فتأثروا بها تأثراً بالغاً، كما عملت الحروب الصليبية على بث النشاط في الحياة المدنية باستخدام أساليب المسلمين التجارية والصناعية، فقد عرف الصليبيون كيف يرسمون الخرائط للبحر المتوسط، وتعرف الصليبيون كذلك على آراء جديدة عن بلاد الشرق واختلاف أصقاعها^(١).

الحضارة الإسلامية ودورها في نهضة أوروبا:

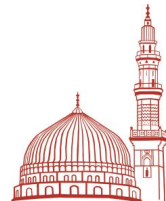
مرت أوروبا بعصور مظلمة^(٢) وقت نهضة المسلمين، ثم استفاقت من غفوتها في مطلع العصور الحديثة، لتأخذ بأسباب التقدم والتطور، لتصبح في

(١) الطويل يوسف العاصي إبراهيم الحملة الصليبية على العالم الإسلامي والعالم (الجزور - الممارسة - سبل المواجهة)، ج٣، ص ٢٤٢، صوت القلم العربي، مصر، الطبعة: الثانية، ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م.

(٢) من أبرز سمات هذه المرحلة الأخيرة - القرون الوسطى - الفساد، ومحاربة العلم والعلماء والتنكيل بهم والاضطهاد لهم، وتقرير أن البابا معصوم له حق الغفران.

مُحَاضَرَاتٌ فِي

تاريخ الحضارة العربية الإسلامية

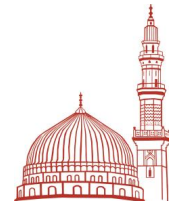


مقدمة دول العالم بفضل نهضتها الصناعية. ففي ظل الإرهاب الفكري الذي مارسته الكنيسة انصرف الفكر الأوروبي عن النظر في هذا العالم وفي الحياة الدنيا بتأثير آخر من تأثيرات الدين الكنسي المحرف. هذا اللون من التفكير صرف الفكر الأوروبي عن النظر في شئون العالم الأرضي والكون المادي في أضييق نطاق مستطاع. ولم يتطلعوا إلى زيادة الإنتاج. ومن ثم لم يسعوا إلى زيادة في العلم تمكنهم من زيادة الإنتاج أو تحسينه. كذلك لم يهتموا بزيادة معلوماتهم عن الكون المادي من حولهم من فلك أو رياضيات أو كيمياء أو فيزياء.. إلخ، لأن الأمر - في حسمهم - لا يستحق الاهتمام من ناحية، ولأن المعلومات التي تقدمها المصادر (الدينية) عن هذا الكون فيها كفاية لهم من ناحية أخرى. على هذا النحو الضيق المغلق المحصور كان الفكر الأوروبي فيما يسمى - هناك - بالعصور الوسطى المظلمة، التي استمرت زهاء عشرة قرون.

لقد أخذت أوروبا في نهضتها شيئاً كثيراً من الإسلام والمسلمين، فقد صحت أوروبا من غفوتها الطويلة بالاحتكاك الحربي والسلمي بالمسلمين. فعند المسلمين وجدوا العلم في كل المجالات في الطب والفلك والرياضيات والفيزياء والكيمياء إلى جانب العلوم الدينية الإسلامية التي كانت تدرس - جنباً إلى جنب - في الجامعات الإسلامية. ولم يكن العلم وحده هو الذي أخذته أوروبا عن المسلمين بجانب الرغبة في الحياة والرغبة في النهوض؛ إنما أخذت كذلك المنهج الذي تقيم عليه العلم، وهو المنهج التجريبي.

مُحَاضَرَاتٌ فِي

تَارِيخِ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ



قال روجر بيكون: (من أراد أن يتعلم، فليتعلم العربية، فإنها هي لغة العلم)^(١).

ويقول بريفولت: (لقد كان العلم أهم ما جادت به الحضارة العربية (يقصد الإسلامية) على العالم الحديث)^(٢).

✽ أثر الحضارة الإسلامية على النهضة الأوروبية الحديثة:

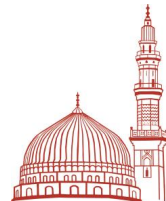
إنه ما من شك لدى المنصفين من المؤرخين، أنه لولا قيام الحضارة الإسلامية وازدهارها في العصور الوسطى في الشرق، لم تقم الحضارة الحاضرة، ولم يتمتع البشر اليوم بثمراتها.

إن الحضارة الإسلامية قد أثرت في أوروبا فعرفت أوروبا الطريق إلى النهضة بفضل مراكز الحضارة الإسلامية في الأندلس وصقلية وجنوب إيطاليا، التي كانت تشع نور العلم والمعرفة على القارة المستغرقة في دياجير الخرافة والجهل، فاستيقظ العقل الأوروبي من سباته، وأخذ يقتبس عن المسلمين طرائق البحث ومناهج التفكير التي تجعله يكد ويعمل في مجال اختصاصه دون وصاية ضاغطة.

أن الدعائم الأولى للنهضة الأوروبية الحديثة، ارتكزت على أسس متينة من الحضارة الإسلامية، التي تركت بصماتها واضحة في شتى مجالات الفكر

(١) حضارة الإسلام، جرونيباوم، ص ٨١-٨٢ من الترجمة العربية.

(٢) الخراشي. سليمان بن صالح، نقض أصول العقلانيين، ج٢، ص ١٣.



الأوروبي وعلومه، من ذلك شيوع مصطلحات عربية أو ذات أصل عربي في اللغات الأوروبية على اختلافها، وقد تأثر بذلك بخاصة اللغات الإسبانية والبرتغالية والإنكليزية. والفرنسية والإيطالية والألمانية، ونقل عن العرب العلوم والفلسفات العربية كما هي بأسمائها الأصلية، وفي أغلب الأحيان لم يشيروا إلى مصادرها، كما أخذوا عن العرب منهجهم العلمي في البحث^(١).
يقول غوستاف لوبون: "كان تأثير العرب في الغرب عظيماً، يرجع إليهم الفضل في حضارة أوروبا"^(٢).

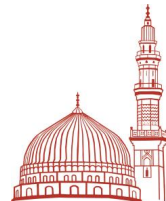
ويقول المستشرق الألماني شخت: "لقد تتلمذت أوروبا على العرب مدة "خمسة قرون" نهلت في أثنائها من حياض العلوم العربية، وبهذا أعدت نفسها لما تنتج الآن من البحوث العلمية الحديثة"^(٣).

لقد أفاق الأوربيون علي أصوات علماء المسلمين في مساجد الأندلس يدرّسون العلوم المختلفة من طب وهندسة وفلك وفقه وتفسير ولغة وأدب وفلسفة وتراجم، بل إن أوروبا لم تعرف الفلسفة اليونانية إلا من خلال العلماء

(١) حسين محمد كامل. أثر العرب والإسلام في النهضة الأوروبية، ص ٢٤، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر القاهرة ١٩٧٠.

(٢) الشمي. عجيل جاسم، نحو حضارة إسلامية مستقبلية أساسها الدين والعلم، ص ٢٤.

(٣) غوستاف لوبون. حضارة العرب. ترجمة عادل زعير، مطبعة عيسى بابي الحلبي، ص ١٧٩.

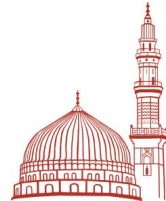


المسلمين عن طريق ترجمتها إلى العربية ثم إلى اللاتينية. وانبهر فلاسفة وعلماء أوروبا من هذا الغيث الحضاري الذي فاض عليهم فثاروا علي الكنيسة وتمردوا عليها وقبضوا على العلوم الإسلامية من قبض علي الجمر.

ولقد تلمست أوروبا الحضارة الإسلامية، فاستقت من روافدها العلوم والمعرفة من الفلك والجبر والهندسة والحساب والكيمياء والطب والزراعة، وسائر أنواع الفنون الحضارية. وبنى رجال أوروبا بما تعلموه في معاهد المسلمين بالأندلس، وبما نقلوه من علوم.. بنوا أسس النهضة الحديثة التي ظهرت بوادرها في القرن الثامن عشر، وازدهرت في القرن العشرين.

ومما يوضح مدى أثر الفكر الإسلامي على أوروبا ما نقل عن الفلاسفة الأوربيين أنفسهم من إقرار بذلك. يقول سلفادور نوجالس: (أنا مقتنع كل الاقتناع بأن هناك تأثيراً مباشراً للفلسفة الإسلامية في أوروبا في القرون الوسطى، بل أقول أكثر من ذلك: إنه لولا هذا التأثير الذي كان للفلسفة الإسلامية على الفلسفة المسيحية ربما ما كانت الفلسفة المسيحية تقدر على اجتياز تلك الخطوة العملاقة، التي نقدرها عند عباقرة الفلسفة المدرسية)^(١).

(١) ينظر: السلامة. حمود إبراهيم حمود. الفلسفة الحديثة ونشأتها، ص ٥.



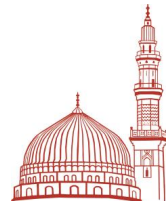
الآثار الاجتماعية للحضارة الإسلامية على أوروبا:

لم يقف تأثير الحضارة الإسلامية عند حد العلوم والثقافة ونحوها، بل تعداه ليشمل الحياة والسلوكيات في مجالات عدة، منها المظهر الخارجي حيث بدأت بعض الشعوب التي احتكت بالمسلمين تتأثر بهم في الملبس والنظافة حيث فرضت عليهم البيئة الإسلامية النظافة والسلوكيات الطيبة، حتى إن بعض أهل الأديان صاروا يقلدون المسلمين في ملابسهم، وأصبحوا يلبسون الأحذية. بل إن غطاء الرأس الذي كان عادة من عادات المشرق تسلل إلى بعض اليهود. كما انتقلت إلى أوروبا بعض العادات والتقاليد العربية والإسلامية مع نقل العلوم والثقافة، أو من خلال الحروب الصليبية، حيث عاش الصليبيون مدة طويلة في المشرق، وحدث التقاء واحتكاك كبير بينهم وبين مسلمي الشرق والحضارة الإسلامية، وعندما عادوا إلى أوروبا، عادوا محملين بأفكار وعلوم ومعارف الشرق الإسلامي، فحاكوا المسلمين في المأكل والمشرب والملبس.

وفي صقلية ذات الصبغة الإسلامية بعد أن فتحها المسلمون شاعت ألوان الحياة الإسلامية من حيث رؤية هلال رمضان والاحتفال بالعيدين والتزيي بالزي الإسلامي، وظهور الأسماء العربية الإسلامية على سكان هذه الجزيرة، وانتقلت تلك العادات الاجتماعية من جنوب أوروبا وصقلية إلى شمال أوروبا وغربها، التي ظهرت عليها الصبغة الإسلامية في الملبس والعادات وكثير من النظم الاجتماعية السائدة إلى يومنا هذا.

مُحَاضَرَاتٌ فِي

تاريخ الحضارة العربية الإسلامية



تأثير أنماط الزخرفة الإسلامية على بلدان أوروبا:

انتقلت بعض أنماط البناء والزخرفة الإسلامية وتصميم المنازل إلى بلدان أوروبا، وذلك بعد أن عاشت البلاد الإسلامية - وبخاصة الأندلس - نهضة عمرانية كبرى، إذ قامت مدن إسلامية جديدة، ونشطت حركة البناء والعمارة في المدن، وبنيت حولها الأسوار والحصون وأقيمت بها المساجد والدور والقصور والأسواق والأربطة وخزانات المياه، وظهر أثر الفن المعماري الإسلامي من خلال الزخرفة والنقوش والتصاميم الفريدة على هذه المباني^(١).

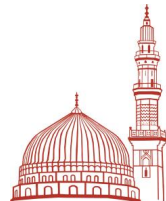
شهادات علماء الغرب في الحضارة الإسلامية:

لعل أقوى تعبير عن الإعجاب بالحضارة الإسلامية هو تلك المآثر العظيمة التي سجلتها أقلام غربية منصفة أبت إلا تذكير العالم بما قدمه المسلمون للحضارة الإنسانية. وفيما يلي نسوق أمثلة:

١- يقول كونستان جيورجيو: "لا يمكن أن نجد ديناً يحتل العلم والمعرفة فيه محلاً بارزاً كما كان الأمر في الإسلام".

٢- يقول المؤرخ ويلز: "كل دين لا يسير مع المدنية في كل أطوارها

(١) ينظر: السندي. فهد بن عبد العزيز صراع الحضارات (دراسة عقديّة في ضوء الكتاب والسنة) ص ٣٨٤، رسالة دكتوراه، إشراف: د. مازن بن صلاح مطبقاني، قسم الثقافة الإسلامية بكلية التربية - جامعة الملك سعود سنة ١٤٢٩ / ١٤٣٠ هـ.



فاضرب به عرض الحائط، وإن الدين الحق الذي وجدته يسير مع المدنية هو الإسلام".

٣- ويقول المفكر ليوبولد فايس: "لسنا نبالغ إذ قلنا إن العصر العلمي الحديث الذي نعيش فيه، لم يُدشّن في مدن أوربة، ولكن في المراكز الإسلامية في دمشق وبغداد".

٤- يقول الكاتب الفرنسي أناتول فرانس في كتابه الحياة الجميلة: "أسوأ يوم في التاريخ هو يوم معركة بواتيه^(١) عندما تراجع العلم والفن والحضارة العربية أمام بربرية الفرنجة، ألا ليت شارل مارتل قطعت يده ولم ينتصر على عبد الرحمن الغافقي".

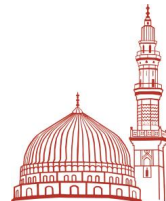
٥- ويقول جورج سارتون: "المسلمون عباقرة الشرق، لهم مآثرة عظيمة على الإنسانية، تتمثل في أنهم تولّوا كتابة أعظم الدراسات قيمة، وأكثرها أصالة وعمقاً".

٦- وتقول لويجي رينالدي: "لما شعرنا بالحاجة إلى دفع الجهل الذي كان يثقل كاهلنا، تقدمنا إلى العرب ومددنا إليهم أيدينا لأنهم كانوا الأساتذة الوحيدين في العالم".

(١) هي معركة بلاط الشهداء وقعت في أواسط تشرين الأوّل ٧٣٢م، وأواخر شعبان ١١٤هـ، وتثبت المراجع تفوق المسلمين على أعدائهم في بدء المعركة، ثم حدث اضطراب في صفوف المسلمين، أدى إلى الهزيمة.

مُحَاضِرَاتٌ فِي

تاريخ الحضارة العربية الإسلامية



٧- ويقول رينان: "ما يدرينا أن يعود العقل الإسلامي الولود إلى إبداع المدنية من جديد؟ إن فترات الازدهار والانحدار مرت على جميع الأمم بما فيها أوربة المتعجرفة".

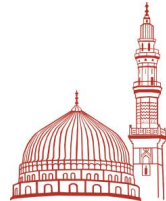
أوجه الخلاف بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية:

توجد أوجه خلاف عدة بين الحضارتين منها:

- ١- أن الحضارة الإسلامية ربانية المصدر؛ إذ جميع قيمها الحضارية مستمدة من كتاب الله تعالى وسنة رسوله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بينما الحضارة الغربية الرأسمالية بشرية المصدر؛ إذ جميع قيمها الحضارية مستمدة من عقول وأهواء وتجارب البشر.
- ٢- أن الحضارة الإسلامية قائمة على عقيدة التوحيد؛ بينما الحضارة الغربية النصرانية قائمة على عقائد الشرك والوثنية والجحود؛ فأشركوا مع الله تعالى آلهة أخرى، واتخذوا بعضهم بعضاً أرباباً ومشرعين من دون الله!
- ٣- أن الحضارة الإسلامية قائمة على مبدأ الإيمان والتصديق بجميع الأنبياء والرسل، بينما الحضارة الغربية النصرانية تؤمن ببعض الأنبياء والرسل، وتكفر وتجحد ببعض.
- ٤- أن الحضارة الإسلامية شاملة لجميع جوانب الحياة التعبدية، والأخلاقية، والاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، والعلمية. لا

مُحَاضَرَاتٌ فِي

تَارِيخَ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ



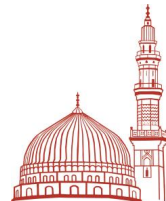
تنافر بين العقيدة الإسلامية وبين تلك الشمولية بخلاف الحضارة الغربية النصرانية القائمة على عقيدة وثقافة فصل الدين عن الدولة، والسياسة، والحياة، وحصر الدين في الجانب الاعتقادي وحسب، فالحضارة الغربية لم تعد تعرف من شؤون دينهم سوى الولاء والتعصب الطائفي الصليبي . ومن دون أدنى التزام بتعاليم ومبادئ الديانة النصرانية حتى بعد حصول التحريف لها . لعلمهم واعتقادهم أن دينهم المحرف الذي تلاعبت به أيدي الأحرار والرهبان ومنذ زمن لا يلبي حاجيات وتطلعات الشعوب والمجتمعات، كما أنه لا يصلح لشؤون الحكم والسياسة، ومناحي الحياة الأخرى!

وكتيجة لما تقدم عُرفت الحضارة الإسلامية بالمحافظة على القيم والأخلاق الحميدة التي شرعها الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** لعباده .. بخلاف الحضارة الغربية -كتيجة لما تقدم- فقد عُرفت بالتحلل، والتفسخ، والسفور، والإباحية . والشذوذ الأخلاقي (١).

العلاقات الدولية في الحضارة الإسلامية:

قدم الإسلام للمجتمع البشري أسساً للحياة، تكفل السلامة لهذا المجتمع، وإن اختلفت عقائد الدول وأديانها، واعتمدت تلك العلاقات على

(١) السندي. صراع الحضارات (دراسة عقدية في ضوء الكتاب والسنة) ص ٨.



العدل وهو القاعدة الأساسية في تنظيم علاقة المسلم بغيره وهو القيمة الأولى بين القيم الإسلامية.

فالحضارة الإسلامية التعاون بين الأمم في كل المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية، كما قدّم النظم المناسبة للتخفيف من ويلات الحروب، وكان ما قدمه الإسلام في مجال العلاقات الدولية هو أول تعليمات سامية في هذا المجال عرفتها البشرية.

الجانب السياسي: شرع الإسلام نظام المعاهدات، والسفراء، وتأمين الرسل المبعوثين إلى الدول الأخرى، وكتب رسائل الدعوة لهذه الدول.

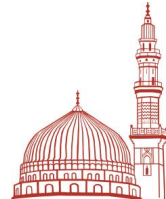
الجانب الاقتصادي: أباح الإسلام التعامل بالعملة الفارسية والرومية في بداية الأمر؛ حتى تم إنتاج عملة إسلامية خالصة تدريجياً، كما سمح بالتجارة الحرة، فكان التجار غير المسلمين يدخلون بتجارهم العالم الإسلامي، وعليهم أن يدفعوا بعض المال، وهو ما كان يعرف بالعشور، كما كان التجار المسلمون يدفعون عندما يدخلون أرضاً غير إسلامية بتجارهم.

الجانب الاجتماعي: أباح الإسلام للمسلمين أن يأكلوا طعام أهل الكتاب من غير ما حرم الله، وأن يقدموا لهم من طعامهم. وأباح للمسلمين أن يتزوجوا من نسائهم، وأن يتعاملوا معهم ببر وصدق وعدالة، وأن يسألوهم ما لم يظهر منهم عدوان أو خيانة، وأن يكونوا منهم على حذر.

الجانب الثقافي: أحل الإسلام للمسلمين أن يتبادلوا الثقافات مع غير المسلمين، وأن يتعلموا لغاتهم، بشرط أن يكون تبادل الثقافات بما لا

مُحَاضِرَاتٌ فِي

تَارِيخُ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ



يتعارض مع قواعد الشرع الإسلامي الحنيف، ولهذا وجدنا المسلمين الأوائل يتعلمون لغات غير المسلمين، لنشر الإسلام، وليأمنوا مكر أهل هذه اللغات بهم كما ترجموا كتبًا كثيرة بلغات مختلفة إلى اللغة العربية.

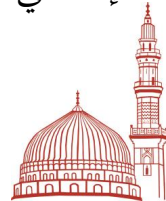
❁ تدهور الحضارة العربية الإسلامية:

هناك جملة من الأسباب التي أدت إلى تدهور الحضارة العربية الإسلامية وانحطاطها، بعضها داخلية وبعضها الآخر خارجية منها:

- ١- أسباب سياسية: من خلال ما أصاب العالم الإسلامي من تمزق في وحدته، إذ قامت على أنقاض الدولة الواحدة ممالك ودول في مشرق العالم الإسلامي ومغربيه.
- ٢- ظهور العصبية الاجتماعية: حيث عملت معاول العصبية القبلية، والعرقية، والطائفية عملها، وجزأت العالم الإسلامي إلى دول متناحرة.
- ٣- الضعف الاقتصادي: من جراء قيام أوروبا بحركة الكشوف الجغرافية وتحويل طريق التجارة عبر رأس الرجاء الصالح.
- ٤- ظهور التعصب المذهبي: أدى ظهور التعصب المذهبي إلى انصراف الناس عن العلم والفكر والثقافة وانشغالهم بالصراعات المذهبية.
- ٥- ضعف الاجتهاد عند العلماء: بسبب الصراعات الفكرية ضعف الاجتهاد عند العلماء وخفت نوره وتحفز تيار الجمود في المجتمع الإسلامي.

مُحَاضَرَاتٌ فِي

تاريخ الحضارة العربية الإسلامية



٦- تأثير القوى الخارجية: كالمغول والصليبيين الذين هاجموا الشرق الإسلامي. فقد دمر المغول عواصم العلم والثقافة والتجارة في شرق العالم الإسلامي مثل: سمرقند وبخارى كما استنفدت الحروب الصليبية الموارد الاقتصادية لدول المشرق العربي، التي حملت لواء الجهاد ضدهم، وبخاصة الدول الزنكية والأيوبية والمملوكية.

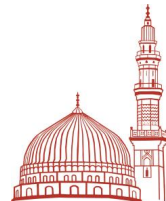
٧- أسباب أخلاقية: يرى فريق من الباحثين أن انصراف الطبقات الحاكمة والفئات المتحالفة معها، ولاسيما منذ العصر البويهي عن قيم الإسلام وأخلاقه ومثله، السياسية والاجتماعية والاقتصادية، يُعد عاملاً مهماً من عوامل انحطاط الحضارة الإسلامية، فالفصل بين الدين والحياة، وبين القيم والأخلاق الإسلامية والممارسات السياسية، أدى إلى الانغماس في الكثير من المفاسد والانحرافات الأخلاقية والأمراض الاجتماعية التي هدّت المجتمع من الداخل، واستنفدت قوى أبنائه العقلية والجسدية معاً. هذا فضلاً عن هيمنة ثقافة الخوف وقيم الخنوع والاستسلام للواقع، وانتشار الرياء والنفاق والتزلف الذي كانت تشجعه الطبقات الحاكمة.

❁ محاولات أعداء الإسلام القضاء على الحضارة الإسلامية:

حاول أعداء الإسلام غير مرة القضاء على الحضارة الإسلامية من خلال ضرب المراكز الثقافية للحضارة الإسلامية، ومن أعظم ما منيت به الحضارة

مُحَاضَرَاتٌ فِي

تاريخ الحضارة العربية الإسلامية



الإسلامية إسقاط الدولة العباسية، والاستيلاء على مهد حضارتها ببغداد في عام ٦٥٦ هـ. كما استخدمت أوروبا الصليبية في صراعها مع الحضارة الإسلامية في المرحلة الأخيرة عددًا من التكتيكات والأساليب الشيطانية في سبيل السيطرة على الأمة الإسلامية وتدمير الحضارة الإسلامية، منها التطويق البحري عن طريق الكشوف الجغرافية^(١)، ومنها إرساليات التنصير المسيحية الأوروبية. ومنها زرع مدارس الفكر الأوروبي والغربي في بلدان المسلمين عن طريق مؤسسات وأحزاب وصحف ومراكز إعلامية، ومنها الاحتلال العسكري.

ومن التحديات الخارجية التي تواجه الأمة الإسلامية في عصرنا الحاضر:

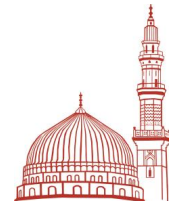
أولاً: العلمانية:

وهي حركة تهدف إلى صرف الناس عن الاهتمام بالآخرة إلى الاهتمام بالحياة الدنيا وحدها. وهي مذهب يرمي إلى نزع الدين من حياة المسلمين، وعزله عن حياة المسلمين، وجعله في جهة وحياة المسلمين في جهة أخرى. وكان لتسرب العلمانية إلى المجتمع الإسلامي أسوأ الأثر على المسلمين

(١) مثلت الكشوف الجغرافية بداية انفتاح القارة البيضاء على العالم، وخرجها إلى العالم بنمط جديد غلبت عليه الصبغة الاقتصادية. وكان لهذه الكشوف الجغرافية هدفان: الأول: تطويق العالم الإسلامي لإضعافه تمهيداً لضربه في الداخل والثاني: البحث عن طريق تجاري مع الهند لا يمر بديار المسلمين.

مُحَاضَرَاتٌ فِي

تاريخ الحضارة العربية الإسلامية



في دينهم وديناهم. وهاهي بعض الثمار الخيثة للعلمانية:

١- رفض الحكم بما أنزل الله، وإقصاء الشريعة عن كافة مجالات الحياة.

٢- تحريف التاريخ الإسلامي وتزييفه، وتصوير العصور الذهبية لحركة

الفتوح الإسلامية، على أنها عصور همجية تسودها الفوضى،

والمطامع الشخصية.

٣- إفساد التعليم وجعله خادمًا لنشر الفكر العلماني.

٤- نشر الإباحية والفوضى الأخلاقية، وتهديم بنيان الأسرة باعتبارها

النواة الأولى في البنية الاجتماعية، وتشجيع ذلك والحض عليه

وذلك عن طريق:

أ- القوانين التي تبيح الرذيلة ولا تعاقب عليها، وتعتبر ممارسة

الزنا والشذوذ من باب الحرية الشخصية التي يجب أن تكون

مكفولة ومصونة.

ب- وسائل الإعلام المختلفة من صحف ومجلات وإذاعة وتلفاز

التي لا تكل ولا تمل من محاربة الفضيلة، ونشر الرذيلة.

ثانيًا: الغزو الفكري:

وهو مجموعة الجهود التي تقوم بها أمة من الأمم للاستيلاء على أمة

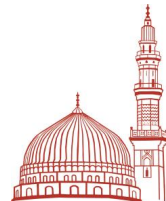
أخرى أو التأثير عليها حتى تتجه وجهة معينة ومن أهدافه الغزو الفكري:

١- اقتلاع العقيدة الإسلامية من قلوب المسلمين، وصرْفهم عن التمسك

بالإسلام.

مُحَاضَرَاتٌ فِي

تاريخ الحضارة العربية الإسلامية



٢- منع الإسلام من الانتشار خارج ديار المسلمين، وذلك لثلاث تأثيرات الأقطار الأخرى بمبادئ الإسلام وأصوله السمحة.

وأهم وسائل الغزو الفكري التي أُتبعَت في ضرب الإسلام من الداخل هي:

١- إثارة الخلافات والنزاعات وتضخيمها بين المسلمين.

٢- محاولة إفساد المسلمين في عقيدتهم وأخلاقهم، وإغراقها في متهات الشك.

٣- تجزئة المسلمين عن طريق إحياء العصبية والقوميات الجاهلية.

٤- دعم وتأسيس الحركات المعادية للإسلام كالبايعة والبهائية، والقاديانية.

ثالثاً: الاستشراق:

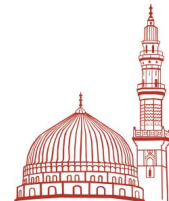
اكتسبت دراسة الاستشراق أهمية كبيرة لما تركه هذا الفكر من آثاراً سلبية في التاريخ الإسلامي تظهر في ما يثيره من شبهات للدين الإسلامي عبر انشطته المختلفة، متخذين العلم ستاراً لتحقيق أهدافهم في القضاء على الإسلام. وأبرز أهداف الاستشراق:

١- محاربة الإسلام بتشويه صورته، وصورة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وتشويه المعالم العامة للإسلام وحجب محاسنه، من خلال الطعن في حقيقة الإسلام والقرآن والنبوة.

٢- تعرية الأمة الإسلامية من مقومات وجودها من خلال العمل على

مُحَاضِرَاتُ فِي

تاريخ الحضارة العربية الإسلامية



عزل الشريعة الإسلامية. وإخماد روح الجهاد في نفوس المسلمين والركون إلى الراحة والدعة.

٣- التشكيك والتشويه لصورة وسيرة رجالات الإسلام الذين أخلصوا لدينهم وأمتهم.

٤- أضعاف ثقة المسلمين بتراثهم ومحاربة اللغة العربية.

٥- خدمة الاستعمار وتمكينه في البلاد الإسلامية.

رابعاً: التنصير:

وهو حركة دينية سياسية استعمارية بدأت بالظهور إثر فشل الحروب الصليبية بغية نشر النصرانية بين الأمم المختلفة في دول العالم الثالث بعامّة وبين المسلمين بخاصة بهدف إحكام السيطرة على هذه الشعوب.

يرجع انتشار التنصير في البلاد الإسلامية إلى أمور كثيرة، لعل من أهمها:

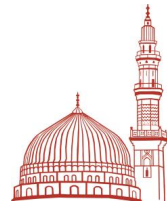
١- جهل المسلمين بدينهم وجهلهم بحقيقة التنصير.

٢- فقر بعض البلدان الإسلامية، حيث يدخلون عليهم عن طريق المساعدات.

٣- الذل الذي أصاب القائمين على مصالح الشعوب الإسلامية من أصحاب السلطة والكلمة وتوددهم إلى النصارى خوفاً وطمعاً، وتيسير أمر المنصرّين؛ للوصول إلى أماكن المسلمين تحت ضغط أو تشجيع الدول النصرانية الحاقدة.

مُحَاضَرَاتٌ فِي

تاريخ الحضارة العربية الإسلامية



٤- وصول بعض الشخصيات النصرانية إلى موقع التأثير في المسلمين إما ظاهراً وإما في الخفاء.

٥- الدعوة إلى تقارب الأديان، وهي حيلة لجرّ المسلمين للخروج من دينهم.

خامساً: الصهيونية:

وهي حركة سياسية عنصرية متطرفة، ترمي إلى إقامة دولة لليهود في فلسطين تحكم من خلالها العالم كله. ارتبطت الحركة الصهيونية الحديثة بشخصية اليهودي النمساوي هرتزل الذي يعد الداعية الأول للفكر الصهيوني الحديث والمعاصر الذي تقوم على آرائه الحركة الصهيونية في العالم.

وأهم أفكار الحركة الصهيونية:

١- تهدف الصهيونية إلى السيطرة اليهودية على العالم ، وتعتبر المنطلق لذلك هو إقامة حكومتهم على أرض الميعاد التي تمتد من نهر النيل إلى نهر الفرات.

٢- يعتقدون أن اليهود هم العنصر الذي يجب أن يسود كل الشعوب الأخرى.

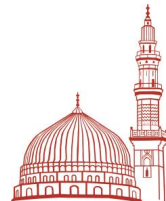
٣- يرون أن السياسة نقيض للأخلاق ولا بد فيها من المكر والرياء .

سادساً: العولمة:

هي نظام عالمي جديد يقوم على الإبداع العلمي والتقني وثورة الاتصالات بحيث تزول الحواجز والحدود بين الأمم والشعوب والدول

مُحَاضَرَاتٌ فِي

تاريخ الحضارة العربية الإسلامية



ويمسي العالم وكأنه قرية صغيرة، وهي أيضًا الدكتاتورية والتسلط القهري والفكري الذي ينادي بطمس الآخر. وتهدف إلى عدة أمور:

١- طمس هويتنا واقتلاعنا من جذورنا التاريخية، وذلك من خلال إحلال الثقافة الغربية محل ثقافتنا الإسلامية.

٢- الاستيلاء على اقتصاديات العالم عامة والأمة الإسلامية خاصة، عن طريق حصار الإنتاج للدول الفقيرة والضعيفة، والقضاء على نظرية الاقتصاد الإسلامي.

٣- محاربة المناهج التعليمية والتربوية في العالم العربي والإسلامي، ومحاولة تغييرها إلى نموذج يتناسب وطبيعة الفكر الثقافي الغربي.

٤- التحكم في مراكز القرار السياسي في دول العالم لخدمة مصالحهم، وذلك من خلال السيطرة السياسية الكاملة على دول العالم الثالث بل وعلى العالم كله.

٥- إلغاء النسيج الاجتماعي للشعوب وتدمير الهويات القومية والثقافية الخاصة لكل شعب، وتفتيت الدول وتحويلها إلى دول ضعيفة وكيانات هزيلة.

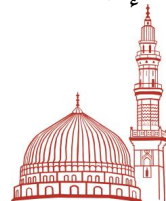
ومن أهم الآثار العقدية للعولمة الثقافية:

١- خلخلة عقيدة المسلمين، والتشكيك فيها وذلك عبر أساليب مباشرة وغير مباشرة.

٢- إضعاف عقيدة الولاء والبراء، والحب والبغض في الله.

مُحَاضَرَاتٌ فِي

تاريخ الحضارة العربية الإسلامية



٣- تقليد النصارى في عقيدتهم وذلك باكتساب كثير من عاداتهم المحرمة.

٤- نشر الكفر، والإلحاد.

سابعاً: الرأسمالية:

هي نظام اقتصادي ذو فلسفة اجتماعية وسياسية، يقوم على أساس إشباع حاجات الإنسان الضرورية والكمالية، وتنمية الملكية الفردية والمحافظة عليها، متوسعاً في مفهوم الحرية، معتمداً على سياسة فصل الدين نهائياً عن الحياة.

تقوم جذور الرأسمالية على شيء من فلسفة الرومان القديمة، يظهر ذلك في رغبتها في امتلاك القوة وبسط النفوذ. وقيل انها قامت في الأصل على أفكار المذهب الحر والمذهب الكلاسيكي. ولا يهم الرأسمالية من القوانين الأخلاقية إلا ما يحقق لها المنفعة ولا سيما الاقتصادية منها على وجه الخصوص.

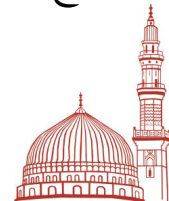
ثامناً: التغريب:

هو تيار كبير ذو أبعاد سياسية واجتماعية وثقافية وفنية يرمي إلى صبغ حياة الأمم بعامة والمسلمين بخاصة بالأسلوب الغربي وذلك بهدف إلغاء شخصيتهم المستقلة وخصائصهم المتفردة وجعلهم أسرى التبعية الكاملة للحضارة الغربية. ولقيام التغريب في البلاد الإسلامية أسباب كثيرة من أهمها:

١- انخداع بعض المسلمين وتأثرهم بالمنصرين والمستشرقين.

مُحَاضَرَاتٌ فِي

تاريخ الحضارة العربية الإسلامية



- ٢- استعانة بعض المسؤولين والمؤسسات من المسلمين بعلماء غربيين في شتى المجالات.
- ٣- عدم مراقبة تحركات النصارى في بعض البلدان الإسلامية وإطلاق الحبل على الغارب لهم.
- ٤- إنشاء مكاتب ومدارس وجمعيات تدعو إلى التغريب.
- ٥- ترجمة الكثير من الكتب الغربية إعجابًا بأشخاصها وتوزيعها في كل بلد للكبار والصغار.
- ٦- إثارة بعض القضايا ومهاجمة الإسلام من خلالها كقضية جواز الزواج بأكثر من واحدة وحق الطلاق للرجل والحجاب ومنع الاختلاط وحقوق المرأة وغير ذلك وتضخيمها والرد على الإسلام من خلالها بتلفيق الأكاذيب والشبهات الباطلة حولها.

تاسعًا: الماسونية:

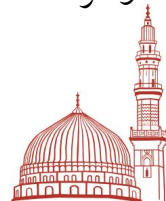
منظمة يهودية سرية هدامة، إرهابية تهدف إلى ضمان سيطرة اليهود على العالم وتدعو إلى الإلحاد والإباحية والفساد، وتتستر تحت شعارات خداعة (حرية - إخاء - مساواة - إنسانية) جلُّ أعضائها من الشخصيات المرموقة في العالم.

وأهم أفكار ومعتقدات الماسونية:

- ١- يكفرون بالله ورسله وكتبه وبكل الغيبات ويعتبرون ذلك خزعبلات وخرافات.

مُحَاضَرَاتٌ فِي

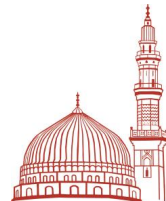
تاريخ الحضارة العربية الإسلامية



- ٢- يعملون على تقويض الأديان.
- ٣- العمل على إسقاط الحكومات الشرعية وإلغاء أنظمة الحكم الوطنية.
- ٤- إباحة الجنس واستعمال المرأة كوسيلة للسيطرة.
- ٥- العمل على تقسيم غير اليهود إلى أمم متنازدة تتصارع بشكل دائم.
- ٦- العمل على السيطرة على رؤساء الدول لضمان تنفيذ أهدافهم التدميرية.
- ٧- استعمال الرشوة بالمال والجنس مع الجميع وخاصة ذوي المناصب الحساسة.
- ٨- السيطرة على أجهزة الدعاية والصحافة والنشر والإعلام.
- ٩- دعوة الشباب والشابات إلى الانغماس في الرذيلة.

مُحَاضَرَاتٌ فِي

تَارِيخِ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ





خاتمة

مُحَاضِرَاتٌ فِي

تَارِيخِ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ



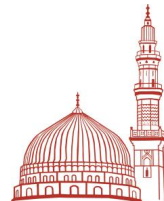
خاتمة



في الختام: أسأل الله **عَزَّوَجَلَّ** أن يوفِّقنا لما فيه رضاه، وأن يجعل هذا الجهد خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفع به إنه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** جواد كريم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

مُحَاضِرَاتٌ فِي

تَارِيخِ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ





أهم المصادر والمراجع

مُحَاضِرَاتُ فِي

تَارِيخِ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ



أهم المصادر والمراجع

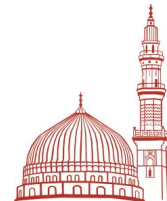


أولاً: أهم المصادر:

- ١- ابن الأثير. علي بن محمد بن الجزري. الكامل في التاريخ. تحقيق: أبي الفداء عبدالله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- ٢- البخاري. محمد بن إسماعيل. الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله وسننه وأيامه صحيح البخاري، تحقيق: محب الدين الخطيب وآخرون، المطبعة السلفية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ.
- ٣- الترمذي. محمد بن عيسى. سنن الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨م.
- ٤- ابن الجوزي. عبدالرحمن بن علي. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبدالقادر عطاء، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- ٥- ابن حجر العسقلاني. أحمد بن علي. الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: محمد بسيوني، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٦- السيوطي. عبدالرحمن بن أبي بكر، تاريخ الخلفاء، تحقيق: أحمد

مُحَاضَرَاتٌ فِي

تاريخ الحضارة العربية الإسلامية



بن شعبان، الطبعة الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، مكتبة الصفاء، القاهرة.

٧- الطبري. محمد بن جرير. تاريخ الطبري المسمى تاريخ الأمم والملوك. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢ م، دار المعارف، مصر.

٨- ابن كثير. إسماعيل بن عمر. البداية والنهاية، تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، دار هجر، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ، ١٩٩٨ م.

٩- ابن ماجه. محمد بن يزيد القزويني. سنن ابن ماجه، بيت الأفكار الدولية، الأردن، مؤسسة المؤتمن، الرياض، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

١٠- مسلم بن الحجاج. صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء التراث العربي، بيروت.

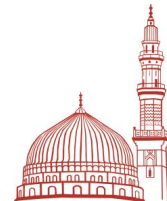
١١- ابن هشام. محمد بن عبد الملك، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الثانية، ١٣٧٥ هـ.

❦ ثانيًا: أهم المراجع:

١٢- أبو زيد شلبي. تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى.

مُحَاضَرَاتٌ فِي

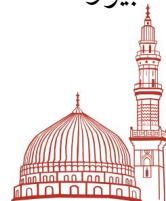
تَآرِخِ الحَضَارَةِ العَرَبِيَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ



- ١٣- الترباني. جهاد، مائة من عظماء أمة الإسلام غيروا مجرى التاريخ، دار التقوى، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
- ١٤- حسن إبراهيم حسن وعلي إبراهيم حسن. النظم الإسلامية، الطبعة الثالثة، ١٩٦٢م، مكتبة النهضة، القاهرة.
- ١٥- الخالدي. صلاح بن عبدالفتاح، الخلفاء الراشدون بين الاستخلاف والاستشهاد، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت.
- ١٦- الريس. محمد ضياء الدين، النظريات السياسية الإسلامية، الطبعة السابعة، ١٩٧٩م، دار التراث، القاهرة.
- ١٧- الزركلي خير الدين. الأعلام، الطبعة الخامسة عشر، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٢م.
- ١٨- الزحيلي. محمد، تاريخ القضاء في الإسلام، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- ١٩- السيد عبدالعزيز سالم. محاضرات في تاريخ الحضارة الإسلامية، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، ١٩٩٩م.
- ٢٠- السهيلي. نائف عيد، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، مكتبة ابن كثير، الكويت، ط الثانية، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- ٢١- السباعي. مصطفى، عظماءنا في التاريخ، المكتب الإسلامي، بيروت.

مُحَاضَرَاتٌ فِي

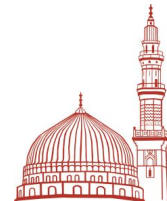
تاريخ الحضارة العربية الإسلامية



- ٢٢- الشجاع. عبد الرحمن. تاريخ صدر الإسلام رؤية جديدة لدراسة عصر النبوة والخلافة الراشدة، ط السابع ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م، الإحسان نت، اليمن، صنعاء.
- ٢٣- الشعبي أحمد قائد، وثيقة المدينة المضمون والدلالة، مكتبة الوسطية، صنعاء، الطبعة الثانية، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.
- ٢٤- الصلابي. علي بن محمد، السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة السابعة، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- ٢٥- الصالح. صبحي، دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، الطبعة: الطبعة الأولى، ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م.
- ٢٦- علي إبراهيم حسن. التاريخ الإسلامي العام، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.
- ٢٧- عفاف سيد صبرة ومصطفى محمد الحناوي. دراسات في الحضارة الإسلامية، مكتبة الرشد، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- ٢٨- عبد المنعم ماجد، تاريخ الحضارة الإسلامية، دار الإنجوى، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٧٣م.
- ٢٩- محمد عبد النور. محاضرات في النظم والحضارة الإسلامية، دار تريم للدراسات والنشر، حضرموت، اليمن، الطبعة الأولى، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٢م.

مُحَاضَرَاتٌ فِي

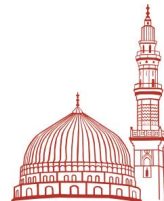
تاريخ الحضارة العربية الإسلامية



- ٣٠- محمد عجاج بن محمد تميم بن صالح بن عبد الله الخطيب، السنة قبل التدوين، دار الفكر للطباعة، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- ٣١- المطيري. حاكم، الحرية أو الطوفان - دراسة موضوعية -، للخطاب السياسي الشرعي ومراحل التاريخ، الطبعة الثانية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٨م.
- ٣٢- الناطور. شحادة وآخرون. الخلافة الإسلامية حتى القرن الرابع الهجري، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، دار الثقافة، ودار الأمل، الأردن.
- ٣٣- الوكيل. محمد السيد، الحركة العلمية في عصر الرسول وخلفائه، الطبعة الثانية، دار المجتمع للنشر والتوزيع جدة، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
- ٣٤- هيكل. محمد حسين، حياة محمد، دار المعارف، القاهرة.
- ٣٥- حسين محمد كامل. أثر العرب والإسلام في النهضة الأوروبية، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر القاهرة ١٩٧٠م.
- ٣٦- غوستاف لوبون. حضارة العرب. ترجمة عادل زعيتر، مطبعة عيسى بابي الحلبي.

مُحَاضَرَاتٌ فِي

تَارِيخِ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ





الفهرس

مُحَاضَرَاتٌ فِي

تَارِيخِ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ



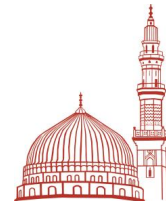
الفهرس



٥	مقدمة
١٠	الوحدة الأولى: الحضارة الإسلامية أصولها وخصائصها
٢٢	الوحدة الثانية: النظام السياسي في الحضارة الإسلامية
٨٦	الوحدة الثالثة: النظام الإداري في الحضارة الإسلامية
١١٦	الوحدة الرابعة: النظام القضائي في الحضارة الإسلامية
١٤٠	الوحدة الخامسة: النظام المالي والاقتصادي في الحضارة الإسلامية
١٥٣	الوحدة السادسة: النظام العسكري في الحضارة الإسلامية
١٦٨	الوحدة السابعة: النظام الاجتماعي في الحضارة الإسلامية
١٨٣	الوحدة الثامنة: المظاهر العلمية والفكرية في الحضارة الإسلامية
٢١٥	الوحدة التاسعة: المظاهر الفنية في الحضارة الإسلامية
٢٣١	الوحدة العاشرة: تأثير الحضارة الإسلامية على النهضة الأوروبية
٢٥٨	خاتمة
٢٦٠	أهم المصادر والمراجع
٢٦٦	الفهرس

مُحَاضَرَاتٌ فِي

تَارِيخِ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مَجْمَعُ

مُحَاضِرَاتُ فِي

تَارِيخِ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ



مُحَاضِرَاتٌ فِي

تَارِيخُ الْحَضَارَةِ العربية الإسلامية

الدُّكْتُور

عبدالعزیز سعید سالم بازعه

الطبعة القایة

١٤٤٥هـ - ٢٠٢٣م

